التناقض في التوراة

وأثره في الأعمال السلبية لليهود



تأليف

حامد عيدان حمد الجبوري

DKI

دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

التناقض في التوراة

وأثره في الأعمال السلبية لليهود

تأليف

حامد عيدان حمد الجبوري

DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Title: Al-tanāquḍ fi al-Tawrāt
wa-'aṯaruh fī al-'a'māl al-salbiyah lil-Yahūd
(The contradiction in Torah and its effect on the passivism of Jews)

Author: Ḥāmid 'Aydān Ḥamad al-Jabūri

Publisher: Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages: 288

Year: 2007

Printed in: Lebanon

Edition: 1st

الكتاب: التناقض في التوراة
وأثره في الأعمال السلبية لليهود

المؤلف: حامد عيدان حمد الجبوري

الناشر: دار الكتب العلميـــــة ـ بيروت

عدد الصفحات: 288

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنـــان

الطبعة: الأولى

ISBN 2-7451-5148-7 (10 dig)
ISBN 978-2-7451-5148-3 (13 dig)

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

الطبعـة الأولى
٢٠٠٧ م. ١٤٢٨ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

هاتف:١٢ / ١١/ ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+
فاكس:٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩)﴾ [البقرة: ٧٩].

الإهــداء

- إلى روح الشهيد أحمد الجبوري.
- إلى روح والدتي ووالدي براً وإحساناً.
- إلى كل من علمني وأحسن إلي.

المؤلف

***

جدول الرموز
التي استخدمت معظمها في هذه الرسالة

١) سفر التكوين: تك.
٢) سفر الخروج: خر.
٣) سفر اللاويين: لا.
٤) سفر العدد: عد.
٥) سفر التثنية: تث.
٦) سفر يشوع: يش.
٧) سفر القضاة: قض.
٨) سفر راعوث: را.
٩) سفر صموئيل: ا صم.
١٠) سفر صموئيل الثاني: ٢ صم.
١١) سفر الملوك: ١ مل.
١٢) سفر الملوك الثاني: ٢ مل.
١٣) سفر أخبار الأيام الأول: ١ أخ.
١٤) سفر أخبار الأيام الثاني: ٢ أخ.
١٥) سفر عزرا: عز.
١٦) سفر نحميا: نح.
١٧) سفر طوبيا: طو.
١٨) سفر يهوديت: يه.
١٩) سفر استير: اس.
٢٠) سفر أيوب: أي.
٢١) سفر المزامير: مز.
٢٢) سفر الأمثال: مثل.
٢٣) سفر الجامعة: جا.
٢٤) سفر نشيد الأناشيد: نش.
٢٥) سفر الحكمة: حك.
٢٦) سفر ابن سيراخ: سير.
٢٧) سفر أرمياء: أر.
٢٨) سفر مراثي أرمياء: مرا.
٢٩) سفر باروك: با.
٣٠) سفر حزقيال: حز.
٣١) سفر دانيال: دا.
٣٢) سفر هوشع: هو.
٣٣) سفر يوئيل: يؤ.
٣٤) سفر عاموس: عا.
٣٥) سفر عوبديا: عو.
٣٦) سفر يونان: يو.
٣٧) سفر ميخا: مي.
٣٨) سفر نحوم: نحو.
٣٩) سفر حبقوق: حب.
٤٠) سفر صفينا: صف.
٤١) سفر حجاوي: حج.
٤٢) سفر زكريا: زك.
٤٣) سفر ملاخي: ملا.
٤٤) سفر الماكابين الأول: ١ مك.
٤٥) سفر الماكبين الثاني: ٢ مك.
٤٦) سفر أشعياء: أش.

الرموز الأخرى

١) ج: الجزء.

٢) س: سنة المجلة.

٣) ص: الصفحة.

٤) ع: العدد.

٥) د: الدكتور.

٦) د.ت: بدون تاريخ.

٧) ك: الكتاب.

٨) ف: الفصل.

٩) م: المجلد.

١٠) ط: الطبعة.

١١) م: بعد السنة (ميلادي).

١٢) هـ: بعد السنة (هجري).

١٣) ق.م: قبل الميلاد.

١٤) ب.م: بعد الميلاد.

١٥) ت: توفي.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمد، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين مبلغي رسالات النجاة إلى يوم يبعثون، وعلى آله وأصحابه الغرّ الميامين.

أما بعد:

فإن الكتابة في أي موضوع لابد لها من خلفيات وأسباب، واختياري للكتابة في موضوع: «**التناقض في التوراة وأثره في الأعمال السلبية لليهود**»، وكان تأملي ومنذ وقت ليس بقريب في البحث عن مصادره، فوجدت غالبيتها مؤلفة في اللغات الأجنبية، إذ إني لم أستفد من هٰذه المصادر مباشرةً، وإن كنت قد استعنت بما نقل وعُرب من بعض أهم هٰذه المصادر عن طريق كتب عربية، وقد حاولت قراءة كتاب التوراة فلم يوجد فيه ما يشير إلى أنه كتاب سماوي مقدس، إذ إن اليهود وبعد وفاة نبيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجدوا الفرصة السانحة لئن يغيروا فيها ما يشاءون، وتحريف صيغ تعاليمها وأحكامها كأنما هي من تأليفهم أو من نظمهم أو تلحينهم، فأجهضوا على كل ما فيها من مفاهيم الحق والعدل، والأخلاق، وسلبوا قدسيتها، بحيث أصبحت كتاباً عادياً كما يؤلفونه من كتب، وبتحريفهم هٰذا قتلوها، وأقبروها إلى الأبد، لأنهم ملأوها بمفاهيم وأحكام ما أنزل الله بها من سلطان، بعد أن نسبوها إلى الله تعالى وكليمه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ زوراً وبهتاناً، ليعتقد الناس بصحتها، فكانوا يحرفون الكلمَ عن مواضعه حتى تناسب رغباتهم الشريرة وأنهم كتبوها وفق أهوائهم ومطامعهم، ورسمت طريقتهم في الحياة إلى أخر الدهر بعد أن حددت شخصية اليهودي، وطريقته في التعامل مع باقي الشعوب، لأن عقيدته لا تسمح له باحترام الأديان الأخرى، وأنها أديان وثنية باطلة، وأن الديانة اليهودية هي الديانة

الحقة، وأن الدنيا خلقت لهم، وشعوب العالم مسخرة لخدمتهم باعتبارهم هم شعب الله المختار وأحبابه وأبناؤه، ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء: ٤٣].

ومن هنا نلاحظ أثر التوراة على أعمالهم السلبية تجاه الشعوب، وان هٰذه المفاهيم تحتاج إلى دراسة أبعادها وما تنطوي تحتها من الخفايا والتي تخدم مصالحهم ومخططاتهم التوسعية الراهنة، ولا شك إن مسؤولية الباحث تزداد بدرجة ملحوظة مع الظروف التي تمر فيها بلاد المسلمين. ولاسيما بعد أن لمسنا جيداً أن هٰذه المخططات التوسعية التي لا تنتهي في زمن معين ولا في مكان أو حدود معينة.

فالمشروع التوسعي مستمر في ضوء ما احتوته توراتهم المحرفة من مفاهيم كتبت خصيصاً لمصلحة اليهود في العالم، وعلى حساب العرب والمسلمين. وعلينا كباحثين إدراك هٰذا الخطر والتنبيه عليه لعل الأمة ترص صفوفها، وتستفيق من نومها، بعد أن أدركنا جيداً أن اليهود قد استخدموا آلتهم الإعلامية ضد الحقائق من أجل إسكاتها، وخنقها، ومنعها، أو تحريمها. حتى نجد اليوم أن الحديث في مثل هٰذه الأمور يعتبر نوع من أنواع السذاجة والأحلام، وأنه من مخلفات الماضي، وذٰلك بتأثير إعلامهم في العقول والنفوس المريضة والذين يسيرون وراءهم، ويتبعونهم خطوة بخطوة.

وإيماناً بخطورة هٰذه المفاهيم على العالم أجمعه، وبعد الاتكال على الله تعالى، أقدمت على تكوين رؤية علمية أستطيع من خلالها أجعل نقطة البداية لمشروع رسالتي ولكي أستطيع أن أقدم شيئاً نافعاً في حقل دراسة الأديان أسوةً بعلمائنا رحمهم الله تعالى، وليكن بحثاً متواضعاً مع البحوث التي قدموها إخواننا وسبقونا بها.

هٰذا وقد تضمنت دراستي أربعة فصول مسبوقة بمقدمة ذكرت فيها مسوغات اختيار البحث، ومنهجيته، وأهمية الموضوع، وخطة البحث، والمراجع الأساسية التي اعتمدتها في البحث، ومن ثم مشكلات البحث، ثم عرجت إلى خاتمة أحاول من خلالها معالجة مسائل البحث وبخلاصة مركزة. هٰذا وإني أقصد مرضاة الله تعالى فإن أصبت فمن الله عز وجل، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان.

***

أولاً: أهمية الموضوع ومسوغات اختياره

١ - ضرورة التعريف بحقيقة زيف وتحريف التوراة.

٢ - الكشف عن العقيدة اليهودية الزائفة والمنحرفة.

٣ - الكشف عن الأثر السلبي في أعمال الشخصية اليهودية.

٤ - تسليط الضوء على الأطماع الصهيونية وفق ما جاء في التوراة المحرفة.

٥ - قلة الدراسات الجادة التي تنطلق من الفهم العربي والإسلامي لمخاطر هٰذا التحريف وفق تصور العقل الصهيوني المعاصر.

٦ - محاولة لفت أنظار الباحثين للتركيز على مثل هٰذه الدراسات. وخاصة في هٰذا الزمن الصعب، زمن العلوّ الصهيوني الاستعماري الأمريكي.

ثانياً: خطة البحث:

وقد قسمت فيها البحث على النحو الأتي:

(١) **مقدمة**: وفيها بيان أهمية الموضوع، ومسوغات اختياره، والمنهج المتبع فيه ومشكلات البحث.

(٢) **الفصل التمهيدي**: وفيه مسائل أحاول من خلالها أن أمهد لبحثي. وقد جعلته على أربعة مباحث.

(٣) **الفصل الأول**: وفيه تعريفات التناقض في التوراة، وبيان الألفاظ المرادفة للتناقض، وقد جعلته على أربعة مباحث.

(٤) **الفصل الثاني**: التناقض في الأسفار الخمسة وأثره، وقد جعلته على مبحثين.

(٥) **الفصل الثالث**: المقارنة بين ما جاء في التوراة والقرآن الكريم، وقد جعلته على خمسة مباحث.

(٦) **الخاتمة**: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها والتوصيات.

ويستطيع القارئ أن يتعرف على الموضوعات من خلال فهرس الموضوعات.

ثالثاً: المنهج الذي أتبعته في البحث:

١ - المنهج الاستقرائي:

من خلال استقراء المصادر والمراجع الأساسية، التي تطرقت لمفهوم التناقض والاختلاف في التوراة.

٢ - المنهج التاريخي:

من خلال تقصي جذور الفكر اليهودي العنصري من مصادره التاريخية القديمة والمعاصرة.

٣ - المنهج التحليلي:

من خلال تحليل النصوص وعرض بعض المقارنات كما جاءت في القران الكريم وما جاءت في التوراة، حول أثره في كتابهم السلبي على مجتمعهم.

٤ - المنهج النقدي:

من خلال نقد النصوص التي تستلزم النقد.

رابعاً: المراجع الأساسية التي اعتمدتها في بحثي وهي:

- كتاب الفصل في الملل والنحل. لابن حزم الأندلسي.
- كتاب التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. للدكتور موريس بوكاي.
- كتاب مقارنة الأديان «اليهودية». للدكتور أحمد شلبي.
- كتاب تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم. محمد عزة دروزة.
- كتاب القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان. حسن الباش.
- الظاهرة القرآنية والعلم. علاء الدين شمس الدين المدرس.

خامساً: مشكلات البحث:

١ - لقد اعتمدت في بحثي على النقل لأن طبيعة البحث تتطلب ذٰلك لكون الموضوع فيه نوع من التجريح وعلي أن أكون متحفظاً بذٰلك.

٢ - إن معظم المصادر المتعلقة بالبحث مؤلفة باللغات الأجنبية. مما جعلني لم أستفد منها مباشرة إلا من خلال ما ترجم أو عرب.

٣ - إن المصادر العربية أو المعربة نادرة جداً لٰكني قد حصلت على بعض الكتب من المكتبات الخاصة.

٤ - الوضع العام لا يساعد على الحركة بسبب تردي الوضع الأمني وكذٰلك سوء حالتي الصحية. هٰذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل التمهيدي

نستعرض في هٰذا الفصل، جملة من المسائل المهمة، ذات العلاقة الوثيقة بالبحث، لكي نتمكن من متابعة هٰذا البحث ومطالعته، ونحن على بصيرة بالأسس التي انطلقت منها هٰذه الدراسة. ولٰكن قبل ذٰلك لابد أن نشير إلى انه يتجاذب أي باحث وهو يبحث في صلب الموضوع إلى اتجاهين كل منهما يتجه بعكس الآخر..، أما الأول: فينطلق من العقل، والبحث الموضوعي أحد مقوماته المهمة وركائزه الواجبة، والثاني: فينطلق من العاطفة التي تملأ جوانح الإنسان وتسكن في مشاعره.

ولعل الكثير من الباحثين العرب الذين يعالجون القضايا ذات الصلة بالتوراة والكتب المقدسة الأخرى عند اليهود، وما حل بها من تحريف وتبديل، إذ أنهم يقعون في جملة من الهواجس والأفكار المتضاربة، ويقف الباحث حائراً بين أن ينطلق من عقله فيدقق ويبحث متخلياً تماماً عن أي عاطفة، أم يهرول وراء عاطفته، غير ملتفت لأية موضوعية علمية، وما يفرضه البحث العلمي من أسس وقواعد.

والباحث هنا ليس غريباً عن هٰؤلاء، فهو أيضاً يقع في الحيرة التي يقعون.. وتتقاذفه الهواجس من كل جانب، ولٰكنني أعتقد أن البحث السليم لابد أن يقوم على الأسس العلمية الحقيقية، وبكامل الدقة والموضوعية والإنصاف والتجرد، بالرغم من وجود العاطفة التي قد تشده حيث لا يمكن الاستبعاد منها بشكل دائم.

وأما القضايا التي نريد أن نجعلها فصلًا تمهيدياً فسنقسمها على أربعة مباحث وهي:

- **المبحث الأول**: نزول التوراة.
- **المبحث الثاني**: تدوين التوراة.
- **المبحث الثالث**: موقف العلماء من التوراة.
- **المبحث الرابع**: بنو إسرائيل والتوراة.

المبحث الأول
نزول التوراة

كان موسى عليه السلام عائداً من مدين إلى مصر، حينما بعثه الله رسولًا إلى فرعون، وذلك في ليلة ظلماء في صحراء سيناء. وأيده الله بمعجزات كثيرة،(١) وكان عمره - حينئذ - قد بلغ ثمانين سنة(٢). وقد دلت نتائج التنقيبات الأثرية على أن خروج نبي إسرائيل من مصر كان في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.(٣) وعليه فيكون نزول التوراة في هذا القرن، وقد حاول البعض تحديد سنة معينة لنزولها، ولكن تعوزهم الأدلة(٤) فقد قيل: إنها نزلت على جبل طور سيناء في اليوم السادس من الشهر الثالث بعد الخروج من مصر، وإن الإسرائيليين ما يزالون يحتفلون في اليوم (عيد الأسابيع والباكورة) تذكاراً لنزول التوراة(٥). أما التوراة - الحالية فتفيد أن أحكام الشريعة والوصايا العشر قد تلقاها موسى عليه السلام في طور سيناء ومصر وعبر الأردن(٦) في أوقات متفاوتة وأماكن

---

(١) للتفصيل يراجع: سورة البقرة ٩ - ٣٦، والأعراف ١٣٠ - ١٣٥، والإسراء، والنمل ٧ - ١٢، والقصص ٢٩ - ٣٥، والنازعات ١٥ - ١٩، وقارن بالتوراة (سفر الخرج ص٣ وص٤).

(٢) يراجع سفر الخرج ٧: ٧.

(٣) ينظر: سوسه مفصل العرب ٥٥٥ - ٥٥٧ وروديس، يسوع في زمانه ص٥٥٣ وقارن مع شنوده (زكي ... المحامي) موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية. مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٣م ٨/ ٢٧ - ٢٨، حيث كان الخرج سنة ١٤٤ ق.م.

(٤) ينظر سوسه، مفصل العرب ٥٥٥ وما بعدها.

(٥) ينظر: عزرا حداد، فصول من الكتاب المقدس، لجنة المدارس الإسرائيلية بغداد ١٩٤٧م ص٨٠، وأيضا موبال: التلمود ١/ ٥٩.

(٦) كان ابتداء وحي التوراة لموسى في جبل حوريب إذ كان موسى يرعى غنم كاهن مدين (حميه) (خر: ٣: ٤) ثم في مصر دفعات متراخية حسب الزمان إلى عبور إسرائيل البحر (خر: ١: ١٤) ثم في مساره (خر: ١٥: ٢٥) ثم في برية سيناء حيث أنزل المن بعد الخامس من الشهر الثاني لخروجهم من مصر (خر: ١٦:) ثم في أفيديم (خر: ٧) ثم عربات مؤاب على أردن أريحا (عد ٣٥: ١ - ٣٦) و(تث ٢٩: ١) ثم عبر الأردن (تث ١: ١ - ٤).

مختلفة، بدءاً باليوم من الثالث الشهر الثالث بعد الخروج[١] ومروراً باليوم الأول من الشهر الأول من السنة الثانية للخروج[٢] والأول من الشهر الثاني من السنة نفسها[٣] واليوم الرابع والعشرين من الشهر نفسه والسنة نفسها[٤]، وانتهاءً باليوم الأول من الشهر الحادي عشر من السنة الرابعة[٥] وعليه فإن تزول الوحي على موسى عليه السلام كان التدريج والتعاقب (منجماً) في مدة تزيد على إحدى وأربعين سنة[٦]. أما المفسرون المسلمون فأكثرهم يذكرون أن الإنجيل نزل دفعة واحدة، لقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ[٧] بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾[٨] فأستعمل صيغة التفعيل (التنزيل - نزل) مع القران للدلالة على التنجيم لأن التنزيل يكون مرة بعد أخرى، ففيه معنى التكرار والتكثير والاستمرار، وعبر بصيغة الأفعال (الإنزال - أنزل) عن التوراة والإنجيل للدلالة على نزولهما دفعة واحدة وهما قد أنزلا دفعة واحدة[٩] وقد يفهم خلاف هٰذا الرأي من بعض المفسرين[١٠] ويحددون نزول التوراة يوم النحر[١١] ويقول آخرون أنها أنزلت لست ليال من رمضان[١٢]. وكان موسى عليه السلام يتلقى مع الوصايا والنواهي تفسيرها أيضاً ويقوم بتلقينها لمعاصريه[١٣]، وكان موسى عليه السلام قد صعد جبل الطور (حوريب)، وبقى صائماً عليه أربعين يوماً[١٤] وليلة، ثم تجلى له الله، فخرَّ

---

(١) ينظر: خر ١٩: ١ - ٢٣.
(٢) ينظر: خر ١٤ - ولآو ١: ١ - ٢٧: ٣٤.
(٣) ينظر: عدا وأيضاً ٩: ١.
(٤) ينظر: عد ٩: ١٥ و١٠: ١١.
(٥) ينظر: تث ١: ١ - ٤.
(٦) ينظر: البلاغي، الهدى ١/ ١٢.
(٧) المراد بالكتاب هنا: القرآن الكريم، ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣/ ١٦٦.
(٨) ينظر: سورة آل عمران/ ٣.
(٩) ينظر: القرطبي، الجامع ٤/ ٥ وأبو السعود، إرشاد العقل ٢/ ٤، وأيضاً فتح البيان ٢/ ٤ والنسفي مدارك التنزيل.
(١٠) ينظر: ابن الخطيب (محمد محمد عبد اللطيف..) أوضح التفاسير، المطبعة المصرية القاهرة (بلا) ص١٩١ حيث يقول (إن التوراة كانت تنزل على موسى مكتوبة في الألواح) وهٰذا خلاف لا يعتدّ به.
(١١) ينظر: الزمخشري الكشاف، والرازي التفسير، ١٤/ ٢٣٦، وابن مسعود، إرشاد العقل ٣/ ٢٧٠.
(١٢) وهو حديث رواه الطبري (الإمام أبو جعفر بن جرير...) جامع البيان عن تأويل آي القرآن مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ٣٠/ ١٥٩.
(١٣) ينظر: مويال، التلمود، ص٦، هامش رقم (٤).
(١٤) ينظر: خر: ٢٤: و٣٤: ٢٧ - ٢٨.

صعقاً، ثم أفاق، فاصطفاه الله على الناس برسالاته،[1] وبكلامه، وأعطاه الألواح.

وكان في الألواح موعظةٌ وتفصيلٌ لكل شيء[2]، وكل من التوراة[3]، والقرآن[4] يسندان كتاب الألواح إلى الله تعالى. وقال بعض المفسرين المحدثين: إنما هٰذا الإسناد هو تشريف للمكتوب في الألواح، وهي مكتوبة بأمره تعالى[5]، وقيل: هي كتابه خلقها الله في الألواح[6] أما صحف موسى عليه السلام الوارد ذكرها في القرآن[7]، فالجمهور على أن المراد بها التوراة[8]، وقيل: هي صحف - عشر - نزلت على موسى عليه السلام قبل التوراة وهي ما عداها[9].

***

(١) وهي أسفار التوراة، ينظر أبي السعود، إرشاد العقل ٣/ ٢٧٠ ومدارك التنزيل للنسفي، ٢/ ١٢٨، وقصص الأنبياء، للشيخ عبد الوهاب،، دار أحياء التراث العربي بيروت ص٢١٧.

(٢) ينظر: سورة الأعراف/ من الآية ١٤٥.

(٣) ينظر: خر: ٣١: ١٨ و٣٤: ١ تث ١٠: ٢ و٤.

(٤) سورة الأعراف:١٤٥.

(٥) ينظر: خان، فتح البيان ٣/ ٤٠٦.

(٦) ينظر: المصدر نفسه.

(٧) يراجع سورة النجم الآية/ ٣٦، والأعلى (سبح) الآية/ ١٩.

(٨) ينظر: الطوسي، التبيان ١٠/ ١٣٣ والطبرسي، مجمع البيان ٢٧/ ٥٥، والبيضاوي، أنوار التنزيل ٥/ ١٠٤ وأباس السعود، إرشاد العقل ٨/ ١٦٣، والجرزي (الأمام أبو فرج الدين عبد الرحمٰن بن على بن محمد ...) زاد السير في علم التفسير، مكتبة الإسلامي دمشق - بيروت ١٩٦٧م، ٨/ ٧٨ وابن حيان (أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلس الشهرياني. حيان) البحر المحيط، مكتبة النصر الحديث، الرياض بلا ٨/ ١٦٥، والجواهر في تفسير القرآن الكريم، الشيخ طنطاوي مصطفى البابي الحلي القاهرة ١٣٥٠هـ ٢٣/ ٢٢٣.

(٩) ينظر: شلبي (محمود ...) حياة إبراهيم مكتبة القاهرة ١٨٦٧ ص٤٢٨.

المبحث الثاني
تدوين التوراة

سنتناول في هٰذا المطلب - بعد تمهيد عن وسائل الكتابة القديمة - توراة موسى عليه السلام، ثم توراة السامريين وأخيراً التوراة العبرانية (الحالية).

تمهيد: وسائل وطرق الكتابة في العصور القديمة:

أقدم طريقة للكتابة كانت عبارة عن الصور والرسوم غير المتقنة على جدران الكهوف، والصخور[1] وبعد بزوغ فجر المدينة بدأ الإنسان يكتب على أحجار القبور والتماثيل والمعابد ونحوها، بالحروف الهجائية أو الكتابة التصويرية، كانت هٰذه الصناعة متقدمة في مصر الفراعنة ثم أنشأ البابليون ألواحاً من الصلصال وكتبوا عليها بالخشب، ولٰكنها كانت ثقيلة وسريعة العطب. ثم صنع المصريون البابيروس (الورق أو الكاغد القديم) من البردي والحلفاء، وذٰلك بعملية خاصة وكتبوا عليها بالقلم والحبر، وعمم استعمالها في جميع أنحاء العالم القديم، وكانت خفيفة، لٰكنها سريعة العطب[2] ثم حظرت مصر تصديرها إلى العالم، فابتكر أهل برغاموم (في أسيا الصغرى) طريقة لتنظيف الجلود غير المدبوغة وهيأوها للكتابة على وجهيها. وبدأ يعم استعمال هٰذه الرقوق في كل مكان منذ سنة ١٧٥ قبل الميلاد وبعد القرن الثالث الميلادي حل الرق محل البابيروس تماماً[3] وكان اليهود يلصقون طرفي الرق على قضيبين ويلفون كل طرف على قضيب، حتى يلتقي النصفان في

(١) ينظر: مرشد الطالبين ص١٦ وما بعدها. والدبس، تاريخ سورية ج/ م/ ص١٤٧ - ١٤٨.

(٢) ينظر: تاريخ شعب العهد القديم ص٢٦ ونعات (الأب يوسف ...) بشرى الخلاص، الطبعة الثانية ١٩٨١ ص٣٥ ويشوي (الراهب مكسيهوس ...) كتابنا المقدس ص٢ وما بعدها.

(٣) ينظر: مرشد الطالبين ١٦ - ١٨ ودبلي، تاريخ شعب العهد القديم ص٢٦. ونعمات بشرى الخلاص ص٣٥.

وسط الكتاب، أو يلفون كل القطعة على قضيب واحد موصول بطرف واحد من الدرج[(١)] هٰذا وقد أستعمل البشر أشياء أخرى للكتابة عليها، كالكتان وأوراق الأشجار ونحوها. أما الكتابات فكان أكثرها موصولة الكلمات بعضها ببعض. اختلفت الأمم من جهة الكتابة، فكتب بعضهم من الشمال إلى اليمين كاليونان وبعضهم من اليمين كالعرب وبعضهم من الجهتين،أما الصينيون فكانوا وما زالوا يكتبون من فوق إلى أسفل[(٢)]. أما الخطوط القديمة فكانت على أنواع أشهرها:

(أ) **الهيروغليفية**: وهي على شكل صور الدبابات والطيور وأعضاء الإنسان ونحو ذٰلك، ولها أنواع مختلفة وعدد حروفها يجاوز الألف، فك رموزها - لأول مرة - الفرنسي يوحنا فرنسيس شامبوليون (ت ١٨٣٢) وذٰلك على (حجر رشيد) سنة ١٧٩٩م[(٣)].

(ب) **المسمارية**: سميت بذٰلك لأن هيئتها أشبه بمسمار أو زاوية، وهٰذه المسامير منها ما هي عريضة ومنها ما هي عمودية مفردة أو مكرره، وكانت مثل الهيروغليفية تصويرية الأحرف رسوماً مثلثة ثم عدلت فطبعت على الأحرف ونحوها ولها أنواع كثيرة، وتزيد حروفها على ٢٥٠ حرفاً وقد فك رموزها الأثري رولتسون على صخر كردستان سنة ١٨٣٥م[(٤)].

(ج) **الأحرف الهجائية**: وقد ظهرت بعد المسمارية بزمن طويل، ويدعى البعض أن الفينيقيين هم أول من أوجدوا هٰذا الاختراع العظيم وبذٰلك قبل عصر موسى عليه السلام. وكان عدد حروفهم اثنتين وعشرين حرفاً وعند هٰذه الكتابة تفرعت الأبجديات الأخرى[(٥)] وكانت أسفار التوراة (العهد القديم) تدون على لفائف من

---

(١) ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص٧٦١ - ٧٦٢.

(٢) ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص٧٦١ وأيضاً مرشد الطالبين ص١٨.

(٣) ينظر: الدبس: تاريخ سورية ج/ م/ ص١٣ - ١٦ وسيل، المرشد إلى الكتاب ص٣١ - ٣٢ ودأنمر (الأب يوسف ...المخلص) الأصيل الدخيل في نص العهد القديم، فقال منشور في مجلة الرسالة الخلصية ع٣ (١٩٥٦) ص٢٣٩ ودار المشرق، النجد في الأعلام ط٢٠ ص٢٨٨ وأيضاً ٢٣٧.

(٤) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ج/ م/ ص١٦ - ١٨ وسيل،المرشد إلى الكتاب ص٣١ - ٣٥ ودانمر الأصيل ولبدخيل ص٢٣٩ والأقباط الأرثوذكس، لمحة عن كتاب الكتب ص٢١.

(٥) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ج/ م/ ص١٤٩ وسيل المرشد إلى الكتاب ص٣١. وسوسه، مفصل العرب ص٣١٠ - ٣١٨ ودانمر، الأصيل والدخيل ص١٨.

أوراق البردي المصري، ثم استخدمت الرقوق أو الجلود في عملية التدوين ولم يدون اليهود أسفار كتبهم على الأحجار أو ألواح في الفخار أو الرصاص. وكانت الكتابة تأخذ شكل أعمده ومن اليمين إلى اليسار باستخدام أقلام خاصة بالخط المربع الآشورية. واستمر كتابة العهد القديم على هٰذه الصورة إلى حوالي القرن الثالث الميلادي حيث ظهرت كتابة المخطوطات على هيئة كتاب. ولم تزل اللفائف تستخدم في المعابد إلى يومنا هٰذا حيث تدون عليها أسفار التوراة الخمسة. وبعض الأسفار الأخرى كسفر (استير)، وكان اليهود يستغلون جميع الفراغات في الصفحة للكتابة مما ساعد على الوقوع في الكثير من الأخطاء والتداخل في المفردات والجمل[١]. ولقد استغرقت عملية جمع وتدوين أسفار التوراة (العهد القديم) فتره طويلة من الزمن تزيد عن ألف عام من (١٢٠٠ - ١٠٠م) تقريباً[٢]. ولم يكن (عزرا الكاهن) ومعاصريه قد تولوا جمع هٰذه الأسفار لوحدهم بل أن (العهد القديم) يحوي أسفاراً تعود إلى عصور متأخرة عن عصر (عزرا) مثل سفر دانيال الذي كتب عام (١٦٥ق.م) وأمتد عصر الجمع والتأليف لفترات طويلة[٣]. ويرى بعض الباحثين أن القاضي (صموئيل) هو أول من كتب الأسفار من اليهود الفترة الواقعة بين القرنين الثامن والتاسع ق.م[٤]. ويقرر (ويلز) أن الأسفار جمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس ق.م[٥]. إن تدوين أسفار التوراة (العهد القديم) قد استمرت لفترات طويلة تعرض اليهود خلالها إلى كثير من الوقائع والأحداث والهزائم أدت إلى تعرض كتاباتهم للفقدان والتلف والإحراق والنهب. وخضوعها للزيادة والحذف، حيث فقدت التوراة من تابوت العهد أيام سليمان عليه السلام وتعرضت القدس (أورشليم) للانقسام وحملات التدمير من قبل اليهود أنفسهم أو الآشوريين أو الأكديين[٦]، كما

---

(١) ينظر: د.فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية ص١٦ - ١٧. وعجاج نويهض، البروتوكولات، ج/ ص٢٠ - ٢١.

(٢) ينظر: د. سعدون محمود الساموك، موجز الديانتين،ص١٨.

(٣) ينظر: د. فؤاد حسنين علي: التوراة الهيروغليفية،ص١٥.

(٤) ينظر: د.فؤاد حسنين علي: المصدر السابق، ص٧٨.

(٥) ينظر: د.أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهود) ص٢٣٢.

(٦) ينظر: د. أحمد شلبي: المصدر السابق، ص٢٣٢ ود. فؤاد حسنين علي: التوراة الهيروغليفية ص١٥.

أن اليهود قد تبدلت طبائعهم وأخلاقهم وجنحوا إلى عبادة الأصنام والأوثان وداروا ظهورهم لأسفار موسى عليه السلام لكونها لا تنسجم مع طبائعهم وأخلاقهم، ولذلك فإنهم قد عمدوا إلى تدوين ما يناسب أوضاعهم من تاريخ وعقيدة أبان فترة الترحيل البابلي إذ مارس اليهود في بابل طقوسهم وشعائرهم الدينية وازدهرت مدارسهم وأكاديمياتهم فاستطاع حاخاماتهم تدوين أهم فصول التوراة والتلمود التي كان لها الدور البارز في تكوين الديانة اليهودية[١]. ويتفق الباحثون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين وقد قسم منه في مملكة (يهوذا) والقسم الأخر في مملكة (إسرائيل). وتم توحيده، بعد سقوط مملكة يهوذا[٢] لقد جمعت أسفار التوراة (العهد القديم) بمذهبيها البروتستانتي والكاثوليكي على مراحل متفاوتة وكانت أسفار الأنبياء (أشعيا، أرميا، حزقيال، دانيال عاموس، هوشع، عوبديا يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي (حجاي)، (زكريا، ملاخي) من أقدم الأسفار في عملية الجمع - على رأي بعض الباحثين - وقد اتخذت أسفار موسى عليه السلام الخمسة شكلها النهائي في الترحيل البابلي عام (٥٨٦ق.م) وتمت تنقيتها في القرنين اللاحقين وكتب سفر دانيال وعدد من المزامير في فترة الحكم السلجوقي بين عام (١٦٨ - ١٥٦ق.م) ورغم اتخاذ العهد القديم في شكله النهائي بين عهد (عزرا الكاهن) (٤٤٤ق.م) والغزو الروماني للمنطقة حوالي عام (٦٤ق.م) إلَّا أنه لم يكتمل إلَّا في مجمع (يامينا أوبينا) عام (٩٠م) الذي أعترف بمعظم الأسفار المعرفة بعد مناقشات مستفيضة بين أعضائه[٣] وقد اكتسب أجزاء العهد القديم صيغتها القانونية على مدى قرون طويلة فاكتملت قانونية (شرعية) التوراة حوالي (٤٠٠ق.م) والأنبياء حوالي (٢٠٠ق.م) أما الكتب فقد اكتسبت تلك الشرعية حوالي عام (٩٠م)[٤]. يتضح من خلال هٰذا العرض أن التوراة (العهد القديم) قد جمع ودون خلال فترات زمنية.

---

(١) ينظر: حميد عادل يزدين: تدوين الكتب المقدسة، ص٨٦.

(٢) ينظر: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان - اليهودية، ص٢٣٢.

(٣) ينظر: د. أحمد شلبي: ينظر المصدر السابق ص٢٣٣:د. عبد الوهاب محمد المسيري. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص٢٧٣ - ٢٧٤ والموسوعة الفلسطينية: إصدار هيئة الموسوعات الفلسطينية مجلد (٤) ص٥٨٩ - ٥٩٠.

(٤) ينظر: أحمد عبد الوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية.ص١٤.

تعرض فيها اليهود للكثير من الأحداث والتقلبات والتشتيت جعلهم يضيفون إلى أسفارهم المدونة كثيرًا من الأفكار والتعاليم التي تناسب أوضاعهم المختلفة وقد حققوا ذلك بعد أن أتيحت لهم في بابل الحرية الفكرية والدينية لممارسة طقوسهم وعباداتهم، حيث إنهم دونوا التوراة والتلمود وأفرغوا فيها آمالهم وغاياتهم معتمدين على الروايات الشفوية وما يتلقاها الخلف عن السلف في الجمع والتدوين فابتعدوا بذلك عن توراة موسى وشريعته وجاءوا بشريعة لا تمتّ بصلة إلى موسى. وكان للفترة الطويلة التي تجاوزت الألف العام عن زمن موسى وتعاقب العديد من الأجيال على جمع وتدوين التوراة قد جعل منها أسفارًا متناقضة لا رابط يربطها ولا سياق يؤلف بينها فكان أن اختلفت الطوائف اليهودية في شرعية العديد من الأسفار كما اختلفت الطوائف المسيحية مع اليهودية في صحة بعضها الأخر، وفي ذلك دلاله قاطعة على إن التوراة الحالية لا صلة لها بموسى عليه السلام. وقد أثار وصفها المرتبك العلماء والباحثين لدراستها والوقوف على صحة محتوياتها. فكانت أن تعرضت لنقد شديد لما احتوته من تناقض وتضارب في المحتوى والخروج عن مضامين الرسالات الحقة وبذلك يقول «لودس» في كتابه «إسرائيل...»: «إننا لا نستطيع أن نؤيد صحة رجوع تاريخ أي قسم من الأسفار الخمسة وحتى الوصايا العشرة إلى عصر موسى»[(١)].

وبهذا نكون قد أتممنا موضوع التمهيد في وسائل وطرق الكتابة في العصور القديمة وسنبحث في موضوع توراة موسى عليه السلام ثم توراة السامريين وأخيراً التوراة العبرانية (الحالية).

أولاً: توراة موسى عليه السلام:

تشير التوراة (الحالية) إلى أن موسى عليه السلام بعد أن كتب التوراة تامة كاملة سلمها إلى الكهنة (بني لاوي) حاملي تابوت عهد الرب، وإلى جميع شيوخ بني إسرائيل، وأمرهم أن يضعوها في التابوت لتكون شاهداً، عليهم، وأمرهم أن يقرؤوها في نهاية كل سبع سنين (عيد المظال) على مسامع كل إسرائيل،[(٢)] ثم مات

(١) ينظر: نقلًا عن أحمد سوسه: العرب واليهود في تاريخ، ص١٥٩.
(٢) ينظر: تث ٣١:٩ - ١١ , ٢٤ - ٢٦.

موسى عليه السلام عن مائة وعشرين سنة[(١)] ويقرر التلمود[(٢)] هو أيضاً: إن موسى تلقى التوراة في سيناء وسلمها ليشوع، ويشوع للشيوخ، والشيوخ للأنبياء والأنبياء سلموها لرجال الكنيس الأكبر (مجلس السنهدرين)، والمأثور عنهم ثلاث وصايا:

١ - تأنوا في الحكم.

٢ - وأقيموا تلامذة كثيرين.

٣ - واعملوا سياجاً للتوراة[(٣)].

وكما قلنا لقد وضعوا التوراة في التابوت إلى جانب الوصايا العشر (لوحي العهد) وعصا هارون ووعاء المن،[(٤)] ولذلك سمي التابوت أحياناً (تابوت الشهادة)[(٥)] وحين عبر العبرانيون نهر الأردن إلى أرض كنعان، كان الكهنة يحملون تابوت العهد أمام الشعب،[(٦)] ثم بقي مدة في خيمة الاجتماع في الجلجال وبعد ذلك نقل إلى شيلوه (سلوان) حيث بقي فيها بين ٣٠٠ و٤٠٠ سنة[(٧)] ثم وقع في أيدي الفلسطينيين بعد انهزام الإسرائيليين في معركة جرت بينهما قرب أفيق[(٨)] في منتصف القرن الحادي عشر قبل الميلاد[(٩)] فأخذه الفلسطينيون وأدخلوه في بيت ضمنهم واجون ثم أقاموه بقرية في أشدود[(١٠)] ثم أرسلوه إلى جت[(١١)]، ثم عقرون[(١٢)]، وهكذا بقي في

---

(١) ينظر: تث ٧: ٣٤.

(٢) التلمود: هو المصدر الثاني للفكر اليهودي بعد (التناخ = العهد القديم)، من الناحية النظرية ولكنه من الناحية العملية يعد المصدر الأول عند الفريسيين (الربانيين) وهم جمهور اليهود. للتفاصيل/ ينظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود، وإبراهيم خليل أحمد، إسرائيل والتلمود وأسعد رزوق، التلمود والصهيونية (وخاصة القسم الثاني) ومحمد صبري، التلمود شريعة بني إسرائيل وأبي صادق، التعليم المقدس أو تعاليم الحاخامين اليهود وزهدي الفاتح، فضح التلمود.

(٣) ينظر: التلمود، الفصل الأول، المشنة الأولى، ترجمة مويال ص٦١ وبشوي (الراهب مكسيمون) كتابنا المقدس ص٥ ومطرانية الأقباط الأرثوذكس لمحة عن كتاب الكتب ص٧، وظاظا، الفكر الديني اليهودي/ ١٥٤.

(٤) ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص٢٠٩ (تابوت العهد).

(٥) ينظر: خر: ٢٥: ٤٠، ١٦: ٢١.

(٦) ينظر: يش: ٣: ١٤ - ١٧.

(٧) ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص٢١٠.

(٨) ينظر: ١صم ٤: ١ - ١١.

(٩) ينظر: سوسة، مفصل العرب واليهود ص٣٤١.

(١٠) ينظر: ١صم ٥: ١ - ٢.

(١١) ينظر: ١صم ٥: ٥: ٨.

(١٢) ينظر: ١صم ٥: ٩.

بلادهم سبعة أشهر[١]، ثم بسبب المصائب والآفات التي لحقت بهم واعتقادهم بأنها من وراثة أرجعوه إلى العبرانيين[٢]. فوضع في بيت أبينا داب في قرية يعاربم عشرين سنة[٣] ثم عندما سكن داود أورشيلم إلى بيت عوبيد أدوم الحبتي لمدة ثلاثة أشهر[٤] ثم نقل إلى الخيمة المنصوبة له في مدينة داود[٥]. وبعد أن بنى الملك سليمان الهيكل جمع في أورشليم جميع شيوخ بني إسرائيل وكل رؤوس الأسباط، ورؤساء الآباء، وجميع رجال إسرائيل، وأصعد الكهنة واللاويون تابوتًا في مدينة داود (صهيون) إلى محراب بيت الرب في قدس الأقداس يوم العيد في شهمايتانيم (الشهر السابع) ولم يكن في التابوت إلَّا لوحا الحجر الذين وضعها موسى هناك في حوريب[٦] ثم لم يعرف مصير التابوت بعد ذٰلك[٧]. وقيل[٨]: لعل منس أزال التابوت في مكانه لأنه وضع تمثالًا منحوتاً محله في بيت الرب[٩]، غير أن يوشيا أرجع (تابوت القدس) إلى هيكل سليمان مرة أخرى[١٠]. ويقول يسس عبد المسيح: ولم يكن التابوت في الهيكل الثاني غير أننا لا نعلم هل أخذ عندما نهب البابليون أو أورشليم، أو اختفى ثم فقد؟ ويوجد تقليد عند الأثيوبيين يفتقر إلى إثبات وهو أن تابوت العهد موجود بأكسوم (في أثيوبيا)[١١] وعلى أي حال سواء عُرف شيء عن حال التابوت أولم يعرف وهو الأصح فان العهد القديم يصرح بوضوح تام بأن التوراة لم تكن في التابوت عندما فتحوه في عهد سليمان، واغلب الظن أنها فقدت أثناء وقوع التابوت في أيدي الفلسطينيين لأنهم كانوا من ألد أعداء الإسرائيليين، وقد وقعت بينهم معارك طاحنة وكثيرة، ولما حالف الحظّ الفلسطينيين في إحداهما وغلبوا الإسرائيليين أخذوا التابوت[١٢] ومن شأن الغالب أن يهتك ويفتك بمقدسات

---

(١) ينظر: ١صم ٦: ١.
(٢) ينظر: ١صم ٦.
(٣) ينظر: ١صم٧: ١-٢ وقيل: بعد مضي قرن تقريباً قام داود بإرجاع التابوت (ينظر: قاموس الكتاب ص٢٤).
(٤) ينظر: ٢ صم ٦: ٢-١١ وا أخ ١٣: ٥ ١٤.
(٥) ينظر: ٢ صم ١٢ ٦:١ وا أخ ١٥:١ و٢٥-٢٩.
(٦) ينظر: ١مل: ١-١٠ و٢ أخ ٥: ١-١٠.
(٧) ينظر: سوسه، مفصل العرب ص٣٤١.
(٨) ينظر: قاموس الكتاب ص٢١٠ (تابوت العهد).
(٩) ينظر: ٢ أخ: ٣٣: ٧.
(١٠) ينظر: ٢ أخ: ٣٥: ٣.
(١١) ينظر: قاموس الكتاب ص٢١٠ (تابوت العهد).
(١٢) وقيل كان ذٰلك في عهد الكاهن الأعظم القاضي الثاني عشر عيلي، سنة ٢٨٣١ العبرية. ينظر: مويال، التلمود ص١٣.

المغلوب وبخاصة إذا كان الإسرائيليون يعتبرون التابوت رمز نصرهم على الأعداء، فمن هنا نرى أن الفلسطينيين هم الذين أتلفوا التوراة وأضاعوها أثناء وجود التابوت في بلادهم تحت سيطرتهم[١].

أما لغة توراة موسى عليه السلام فما تزال موضوع دراسة وبحث وتدقيق وتحقيق من قبل المختصين وما تزال آثار حول هويتها المناقشات والمجادلات فالمعروف في تقليد اليهودي والمسيحي أن توراة موسى كانت باللغة العبرية، وإن الكتابة كانت معروفة عندئذ. ولٰكن بعض الدراسات المتخصصة أثبتت أن عصر موسى يسبق تكون اللغة العبرية بفترة طويلة. وبالتالي أن التوراة لم تنزل بالعبرية. بل بلغة معاصرة لموسى عليه السلام ومفهومه لديه ولدى شعبه لأنها أنزلت لهداية قومه فلا بد وأن تكون بلغتهم (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم...)[٢] أما ما هي هٰذه اللغة المعاصرة التي تكلم بها موسى عليه السلام وأبلغ بها رسالة ربه إلى قومه؟ فقد توصل الدكتور فؤاد حسنين علي: بعد أن قام بدراسة فاحصة ذات شعبتين إحداهما لغوية، والأخرى لاهوتية، إلى أن توراة موسى عليه السلام كانت باللغة الهيروغليفية وليست بالعبرية[٣]. فقد درس الظاهرة اللغوية وأحاط علماً بلغات شبه الجزيرة العربية (العربية الشامية) وتوصل إلى أن اللغة العبرية لم تعرف بهٰذا الاسم في التوراة ولا في الأنبياء ولا في الكتب، بل جاءتنا تحت اسم الكنعانية[٤] أو اليهودية[٥] فالكنعانية هي اللغة الأم، تفرعت عنها العبرية والمؤابية والفينيقية[٦]، أما زعم العبرانيين بان لغتهم هي لغة التوراة واللغة التي تكلمها موسى عليه السلام - هٰذا الزعم الذي اعتقده الكثيرون من الإسرائيليين وغيرهم من أبناء الملل الأخرى - فيحتاج إلى إثبات أن موسى عليه السلام قد عاصر اللغة العبرية وتعلمها وأتقنها، ولٰكن إذا ما رجعنا إلى تاريخ ظهور اللغة العبرية نجد أنها تكونت من الآرامية والكنعانية وكثير من اللغات الأخرى سامية وغير سامية حوالي عام ١١٠٠ قبل الميلاد فما بعدها وذٰلك بعد مضي فترة من الزمن على دخولهم أرض كنعان فالإسرائيليون لم

---

(١) ينظر: مويال، التلمود ص١٣.
(٢) سورة إبراهيم/ من الآية ٤.
(٣) ينظر: ٣ مل ١٨: ٢٦ وأش ٣٦: ١٣.
(٤) ينظر: ٢ ش ١٩: ١٨.
(٥) ينظر: ٣ مل ١٨: ٢٦ وأش ٣٦: ١٣.
(٦) ينظر: فؤاد حسنين، التوراة الهيروغليفية ص٥٨.

يعرفوا باسم العبرانية كشعب ولم يتكلموا العبرية إلا بعد استيطانهم أرض كنعان بل كانوا يتكلمون بلغات الشعوب المضيفة كالآرامية والمصرية والكنعانية مثلًا، فإذا عرفنا النبي موسى عليه السلام توفي قبل أن تظهر اللغة العبرية إلى الوجود لأكثر من قرن فلغته - إذن كانت ولاشك اللغة المصرية القديمة[١] ومن ناحية العقيدة نجد أن (يهوه) ينجلي لموسى عليه السلام في سيناء وبكلمة التخاطب بينهما بالمصرية القديمة لأن العبرية لم تكن قد ظهرت بعد، ولأن موسى عليه السلام كان قد ولد في مصر وسمي باسم مصري وتكلم المصرية وأتقنها قراءة وكتابة في البلاد الفرعونية، وكذٰلك شأن سائر الإسرائيليين الذين خرجوا معه من مصر فإنهم كانوا يتكلمون المصرية، ولو سلمنا بأن موسى لم يتكلم المصرية فإنه لم يتكلم العبرية بل إحدى اللغات أو اللهجات الآرامية أو الكلدانية[٢] والقصص المتعلقة بعقيدة (يهوه) التي ترجع إلى عهد تقديسه وليست كلها إسرائيلية، بل معظمها من الأساطير المصرية القديمة والبابلية والآشورية القديمة كقصة الخلق ورواية الطوفان وأسطورة برج بابل وغيرها[٣] ولفظ (يهوه) ليس له اتصال باللغة العبرية فهو أقدم منها بكثير إذن ليست العبرية لغة مقدسة ولم تنزل بها الشريعة[٤]. بل لعل أقدم ما وصلنا بالعبرية من التراث الديني هو قصيدة(دبوره)[٥] وليست التوراة[٦] وقد سبق إلى القول بذٰلك فرنسوا ماري أدواي فولتر (١٦٩٤ - ١٧٧٨) ومن تبعه، حيث أكد أنه لم يكن في عهد موسى وسيلة للكتابة عليها إلا بحفرها على الأحجار ونحوها وبخطوط هيروغليفية وبإيجاز شديد، وانه لا يمكن نسبة هٰذه الأسفار المنمقة إلى موسى عليه السلام وهو في البرية يتحول كل يوم من واد إلى أخر[٧] كما أن المستشرق

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ص٣ - ٥ وسوسه، مفصل العرب ص٣٤٠ - ٣٤١. وقد صمم لودس أن تكون لغة (اليهود) الآرامية أو الكلدانية قبل غزوهم فلسطين أما العبرانية فقد كانت لغة أهل فلسطين وتعلمها اليهود وأخذوها لساناً لهم بعد تمركزهم في فلسطين: ينظر: ناجي (سليمان...) المفسدون في الأرض دمشق ١٩٧٣ ص١٣.

(٢) ينظر: د. فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية ص٥ وص٥٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص٦.

(٥) ينظر: قض ٥: ولترجمة حال النبيه دبوره ينظر: قاموس الكتاب ص٣٦٨.

(٦) ينظر: د. فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية ص٨.

(٧) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ١/ ١٤٣ - ١٤٤ وفي هٰذا المعنى، دانمر، الأصيل والدخيل ص٢٣٥ - ٢٣٦.

الألماني مرثين هرتمان (١٨٥١ - ١٩١٨). هو أيضاً ذهب إلى أنه لم يكن من وسع العبرانيين إيجاد المواد اللازمة لاستخدامها في كتابة أسفار موسى، لأنه لم يكن يوجد غير نوع واحد من الكتابة في عهد موسى وكان حكراً على الكهنة فقط، أما العبرانيون فأنهم لم يعرفوا الكتاب إلا في عصر القضاة[١] وقد نحى منحى فؤاد حسنين علي الدكتور أحمد سوسه، فنفى أن تكون توراة موسى باللغة العبرية، وأكد على أنها كانت بالهيروغليفية[٢]. والتي هي نفس اللغة المصرية التي كتبت بها الشريعة على لوحي حجر.[٣] وبعد فحص هٰذه الأدلة بدقة تامة يظهر أن فولتير وهرتمان يقران بوجود الكتابة في عهد موسى عليه السلام وإن كانت محدودة، أما فؤاد وسوسه فإنهما يصرحان أن موسى كتب التوراة باللغة المصرية الهيروغليفية وكثير من العلماء الآخرين - اليهود والمسيحيين - يقرون بأن أول من كتب أفراد الشعب الإسرائيلي هو القاضي صموئيل[٤] ولٰكن إذا عرفنا أنه كتاب منزل من السماء وأن وسائل الكتابة كانت موجودة في عهد النبي موسى عليه السلام وإن كانت محدودة.

ثانياً: توراة السامريين.[٥]

للسامريين توراة باللغة العبرانية، ولٰكنها مكتوبة بالحروف القديمة على الهيأة الفينيقية، وهي غير الترجمة السامرية أو الآرامية التي كانت تتداولها أيديهم قديماً

---

(١) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ١/ ١٤٤.

(٢) ينظر: سوسه، مفصل العرب ص٣٣٩وص٣٤٠وص٣٤٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص٣٤١ وأيضاً ينظر: ص٤٧٠ - ٤٧٤.

(٤) ينظر: منهم يوسفيوس اليهود (٣٧ - ١٠٠م) في كتابه في (التاريخ اليهودي) وسكرور في (التاريخ والعهد القديم) ص٢٤٥ والأب مور في (مجلة الأبحاث الدينية) والأب فكتور في (الكتاب المقدس والمكتشفات الحديثة) والمطران يوسف الدبس في (تاريخ سورية ٢/ ٢٩٦) راجع: ناجي، المفسدون ص٥٩ وعن حياة صموئيل راجع: قاموس الكتاب ص٥٥٣ - ٥٥٤.

(٥) للتفاصيل عن السامريين. راجع القاموس ٤٤٩ - ٤٥٢ وشاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين ص١٢٢ وأيضاً: الشهرستاني، الملل والنحل ٢/ ٥٨ - ٥٩ وابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ١٨/ ١٩ وأحمد سوسة: مفصل العرب اليهود في تاريخ ٣٣٥ - ٣٣٨ و٨٤٠ ومجلة الجامعة (جامعة آل البيت) س١ ع٢ (الفلسفة التناسخية) ص١٠١ - ١٠٢، ومجلة العربي الكويتية ع٢٩ (١٩٦١) استطلاع عن نابلس (السامريون طائفة لا نظير لها في العالم) ص٨٣ - ٨٦.

وغير الترجمة العبرية التي هي في أيديهم الآن[١]، وتتألف من أسفار موسى الخمسة فقط، وتختلف عن التوراة العبرانية في أمور جوهرية كبيرة، جعلت من محرري قاموس الكتاب يختلفون باختلاف النص. يقول الدبس: (يختلف النص السامري عن النص العبري فيما يقرب من ستة آلاف موضع)[٢]. وقد عزوا (معظم هٰذه الاختلافات إلى أخطاء في النقل وقعت عن النساخ وقت الكتابة وإلى أخطاء متعمدة قاموا بها عن قصد وإصرار).[٣] وقد اجتهد العلماء في تحديد زمن ظهور هٰذه النسخة فلم يصلوا إلى نتيجة مرضية،[٤] (فلا يعلم أحد حق العلم متى تلقى السامريون التوراة؟)[٥]. ولٰكن جاء في العهد القديم[٦] أن الملك الآشوري سرجون أحتل عام ٧٢٢ ق.م مدينة السامرة (عاصمة مملكة إسرائيل في الشمال) وأَجْلى من اليهود عدداً كبيراً إلى نواحي حران والخابور وميديا وغيرها من مناطق إقليم كردستان، واسكن محلهم أقواماً أخرى من بابل وكوت وغيرهما فصار هٰؤلاء هم السامريون، وطلبوا من الملك أن يبعث إليهم كاهناً يعلمهم الشريعة فلبى طلبهم ومن هنا يقال أن توراة السامريين هي عن نسخة أتى بها هٰذا الكاهن.[٧] ويقول قاموس الكتاب المقدس، ربما ترجع هٰذه التوراة إلى العصر الذي طرد فيه مسى حفيد الياشيب (رئيس الكهنة وصهر سنبلط الحوروني) من أورشليم، والتجأ إلى السامريين، فبنى هيكلًا على جبل جرزيم لينافس هيكل أورشليم، في حوالي عام ٤٣٢ق.م[٨] وإذا كانت قانونية الأسفار الخمسة قد تقررت حوالي عام ٤٠٠ق.م فلا تكون التوراة السامرية في هٰذه الحالة متأثرة بالتوراة التي كانت في حوزة اليهود بعد ذٰلك التاريخ.

ويظهر أن الشقاق بين اليهود والسامريين قد وقع قبل تقرير قانونية أسفار

(١) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ١/ ١٨٥. (٢) ينظر: المصدر السابق نفسه. ص٤٥١.
(٣) ينظر: المصدر نفسه. ص٤٥١. (٤) ينظر: وجدي، دائرة معارف القرن العشرين ج-ص٧٠٢.
(٥) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ١/ ١٨٥.
(٦) ينظر: ٢مل ١٧: ١:١ - ١٨ وأيضاً قاموس الكتاب ص٤٤٩ - ٤٥٠ (السامره السامريون) وسوسه، مفصل العرب ص٣٣٥ و٥٨٦ وما بعدها.
(٧) ينظر: الأقباط الأرثوذكس، كيف وصلنا العهد القديم؟ دار ماجد القاهرة ١٩٨٣ ص٢٨.
(٨) ينظر قاموس الكتاب المقدس ص٢٥٨ وص ٤٥٢، والأقباط الأرثوذكس، كيف وصلنا العهد القديم ص٢٨، ينظر: القاموس (ص١١٠ - ١١١ - ١١٢٩) و(٤٨٦ - ٤٨٧) على التوالي.

الأنبياء[١]. ولما كان المسيح من اليهود العبرانيين فإن أتباعه من النصارى ضموا التوراة العبرانية إلى الإنجيل في مجلد واحد وسموه (الكتاب المقدس)، ولم يلتفتوا إلى التوراة السامرية،[٢] ولٰكن كثيرين من الآباء المسيحيين مثل جيروم وأوريجانوس يوسابيوس وغيرهم قد اقتبسوا من التوراة السامرية.[٣]، وكما أن كثيرين من محققي علماء البروتستانت، مثل كنى كان وهيلز وهيوبي كينت وغيرهم يعتبرون التوراة السامرية ويأخذون بها ومنها ويعتقدون أن اليهود قد حرفوا العبرانية، وكذٰلك جمهور علماء البروتستانت أيضاً يرجعون إليها أحياناً في بعض المواضع ويقدمونها على التوراة العبرانية[٤].

هٰذا وإن معظم الأدراج السامرية التي تمثل الأسفار الخمسة كلها أو جزءًا منها لا ترجع إلى ما قبل القرن العاشر الميلادي، مع أنه توجد نسخة تدّعى أن الأجزاء القديمة منها كتبت عام ٦٥٦ م وتوجد لدى جماعة من السامريين في نابلس نسخة خطية يقولون إنها نسخت عام ١٣ بعد فتح كنعان إلا أن جمهور العلماء يقولون أن الخط الذي كتبت به هٰذه النسخة يرجع إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وهٰذه الأدراج مكتوبة بالخط السامري الذي يشبه الخط الموجود على النقود التي وصلتنا من عصر المكابيين[٥].وقد كاد أن يكون أمر هٰذه التوراة مجهولًا عن العالم، في ظلمات الجهل حتى القرن السابع عشر الميلادي، حيث عثر العالم أيريوس على نسخة منها في الشرق فأخذها معه إلى بلاد الغرب، وفي الوقت نفسه عثر

---

(١) ينظر: القاموس، ص٤٥٢ وفي المرشد ص٢٨ أن الانشقاق حدث سنة ٤٣٧ ق.م وأن أسفار موسى كانت قد اتخذت قانون قبل ذٰلك.

(٢) ينظر: التوراة السامرية (العربية)مقدمة السقا، ص٧ - ١٢.

(٣) ينظر: القاموس ٤٥١، والدبس، تاريخ سورية ١/ ٢١١.

(٤) ينظر: الهندي، إظهار الحق. ١/ ٢١٨، ٢٣٨، والصادقي البشارات ١/ ٩٧.

(٥) عصر المكابيين: سميت بعصر المكابيين نسبة إلى العائلة المكابية، وهي أسرة يهودية ظهرت في فلسطين في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد تزعمت الثورة ضد السلوقين للقضاء على اليهودية وأرغام اليهود على الأخذ بالديانة الهلينيية الوثنية فكونت هٰذه الأسرة جيشاً سرياً في الجبال نظم عن طريق حرب العصابات وتمكنت من التغلب على الجيش السلوقي والحصول على حكم ذاتي في أورشليم، قد أستمرت سلالة هٰذه الأسرة على رأس السلطة ١٣٠ عاماً بين عام ١٦٧، ٣٦ ق.م، ينظر: د. أحمد سوسة المفصل ص٨٧٧.

السفير الفرنسي في تركيا (المسيوها دوسانس) على نسخة أخرى منها فأخذها معه إلى فرنسا[١]. كما عثر (بطرس دلافالي) على نسخة منها في دمشق سنة ١٦١٦ م وهي التي طبعت في المجموعتين الباريسية ١٦٤٥م واللندنية سنة ١٦٥٧ م[٢]، فأثار نشرها اهتمام المحققين وكتبوا عنها بحوثاً طويلة وكثيرة[٣].

وقد قام الكاهن السامري: أبو الحسن إسحاق الصوري بترجمة التوراة السامرية من اللغة العبرانية (السامرية القديمة) إلى اللغة العربية في مدينة نابلس، ولٰكنها جاءت قديمة وركيكة، فلم يحسن الربط بين الجمل، ولم يراع قواعد اللغة العربية في أواخر الكلمات أحياناً ولم يضع أرقاماً للأديان ولا فواصل بين الجمل، كما ولم يقسمها إلى إصحاحات. ولهٰذه الترجمة مخطوطة قديمة بخط يد أبي البركات، وقد وجد في نهاية السفر الثاني (الخروج) منها أنه أنجز. (في العشر الأوسط من شهر رمضان من شهور سنة أربع وثمانيين وسبعمائة)[٤]: وكما يبدو فإن هٰذا التاريخ هو حسب التقويم الهجري الإسلامي. وهٰذه المخطوطة الأصلية موجودة لدى الأستاذ (أسعد سيد أحمد)[٥] ولها نسخ مصورة كثيرة عند عدد من العلماء والباحثين في مختلف بلاد العالم[٦] ولعل هٰذه الترجمة هي نفس الترجمة العربية التي أشار إليها قاموس الكتاب المقدس بقوله: (وفي حوزة السامريين ترجمة عربية أيضاً ترجمت في القرن الحادي عشر أو الثاني عشر)[٧]. وقد طبعت التوراة السامرية في ترجمتها العربية (هٰذه) لأول مرة بعناية الدكتور أحمد حجازي السقا عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م بالقاهرة.

ثالثاً: التوراة العبرانية (الحالية).

يذكر لنا التاريخ أنه قد حصلت لليهود وقائع كثيرة تعرض فيها كتابهم

---

(١) ينظر: وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ح ص٧٠٢ وقارن مع مقدمة التوراة السامرية ص١٧.
(٢) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ١/ ٢ ص١٥٨ ع ٢١١.
(٣) ينظر: التوراة السامرية، السقا، المقدمة ص ١٧ - ١٨.
(٤) ينظر: المصدر نفسه/ ص٢ - ٢٨ - ٢٩.
(٥) ينظر: وهو مدير دار الأنصار بمصر للطبع والنشر التي نشرت التوراة السامرية (العربية).
(٦) ينظر: التوراة السامرية، السقا، المقدمة، ٢٩ - ٣٠.
(٧) ينظر: مادة التوراة السامرية ص٤٥٢.

المقدس (توراة موسى) عدة مرات للحرق والنهب والانعدام، وكانت أُولاها في عهد القضاة عندما وقعت التوراة في أيدي الفلسطينيين ثم فقدت ولم تكن في التابوت حينما فتح في عهد الملك سليمان، ثم بعد الانقسام ارتد بنو إسرائيل إلى عبادة الأوثان وتركوا التوراة وراء ظهورهم، وفي ذٰلك يقول الأقباط الأرثوذكس: (..حدث في أيام الانحلال الديني بعد انقسام أمة اليهود إلى مملكتين، أن اليهود نسوا كتبهم المقدسة وأهملوها..)[(١)]. وقد تعرض (بيت المقدس) للنهب مرتين قبل عهد (أحد) أحد ملوك يهوذا[(٢)]، وفي حملة (نبوخذنصر) الثانية عام **٥٨٦** ق.م فقدت التوراة وانتهى أثرها، وأخذ اليهود العبرانيون إلى بابل، وهناك مارس اليهود شعائرهم الدينية وواصل كهنتهم أعمالهم اللاهوتية، فكان لهم النصيب الأكبر في تكوين الديانة اليهودية (الحالية). فقد حرر الكهنة في بابل أهم فصول التوراة باللغة العبرية المعروفة (بأدامية التوراة)[(٣)]، وهٰؤلاء الكتبة - وهم كبار الكهنة والحاخامين اليهود الذين عاصروا مملكة يهوذا في أواخر أيامها قبل السبي الأخير (**٥٨٦** ق.م) بصفتهم علماء ذٰلك العصر - كانوا يحسنون اللغات القديمة كالسومرية والكتابيتين المسمارية والهيروغليفية وقراءة الرقم الطينية في شتى المواضيع وبمختلف اللغات والخطوط[(٤)]. فالقصص والشرائع والأساطير والأشعار الموجودة في التوراة مستقاة من المصادر الأدبية القديمة لمختلف الثقافات التي أطلع عليها كتبة التوراة ومن المعتقدات والتقاليد الاجتماعية التي عاشوها ومارسوها فعلًا في مصر وفلسطين وبابل فهي مصرية وكنعانية وبابلية الأصل[(٥)].

---

(١) ينظر: الأقباط الأرثوذكس، كيف وصلنا العهد القديم ص١٦.

(٢) ينظر: الهندي، إظهار الحق، ١/ ٣٢٥-٣٢٦.

(٣) وهي لهجة مقتبسة من الآرامية، وهم يحفظونه إلى يومنا هٰذا ويسمونه الآن بالخط الآشوري المربع (سوسه، مفصل العرب ... ص**٣٤٢ - ٣٤٣**) وكان اليهود في بابل يتكلمون اللغة الآرامية بعد إنشادها في جميع البلاد الشرقية وظلوا يتكلمون بها حتى بعد عودتهم إلى فلسطين، أما العبرية فقد اقتصرت إلى الكتب الدينية المقدسة فقط، وينظر: سوسه، مفصل العرب واليهود من التاريخ ص٣٤٥.

(٤) ينظر: سوسه، مفصل العرب واليهود في التاريخ ص٣٤٢-٣٤٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص٣٤٣ - ٣٤٤، وينظر: ندره اليازجي، رد على اليهودية، واليهودية المسيحية ص٢٧.

وبذٰلك فالتوراة الحالية ليست التوراة الأصلية المنزلة على موسى عليه السلام لأن التاريخ قد أثبت إن التوراة الحالية دونها مؤلفون كثيرون في أزمان مختلفة وبلغات عديدة وذٰلك بعد موسى عليه السلام بأكثر من سبعة قرون.(١) وهٰذه الحقيقية قد اعترف بها وأكدها كثير من العلماء المحققين اليهود والمسيحيين والمسلمين وغيرهم.(٢) فقد أعترف العالم اليهودي (سيلفر) بأن التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى الأصلية في أي ناحية. وحتى الوصايا العشر التي يكاد بجمع العلماء على أنها الشيء الوحيد المتبقي من التوراة الأصلية لم تكن في شكلها ومضمونها الحاليين كتلك التي أتى بها نبي الله موسى عليه السلام.(٣) وقال الفيلسوف اليهودي سبينوزا (١٦٧٧م): (إن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة (التوراة الحالية) بل إن مؤلفها شخص أخر عاش بعده بزمن طويل وأن موسى كتب سفراً مختلفاً)(٤) وقد ساق عدة أدلة على قوله هٰذا منها، تسلسل هٰذه الأسفار ومحتوياتها فهو يثبت لنا ويرينا بسهولة أن الذي كتبها شخص أراد أن يروي تاريخ اليهود القديم، فجميع النصوص والترتيب الذي تتعاقب فيه الروايات يدل على أنّ كاتبها مؤرخ واحد وله غرض محدد(٥) ثم ذكر إن هٰذا المؤرخ - الذي هو عزرا -(٦) (ولم يفعل أكثر من أنه جمع روايات موجودة عند كتاب متعددين وفي بعض الأحيان كان يقتصر على نسخها ونقلها على هٰذا النحو إلى الخلف دون فحصها أو ترتيبها). ولعل موته

---

(١) ينظر: سوسه: في طريق إلى الإسلام، المطبعة السلفية القاهرة ١٩٣٦ ص٨٢.

(٢) ينظر: سهيل ديب: التوراة تاريخها وغاياتها ص٧ وغوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص٧٢ وأيضاً السموٴل بن يحي بن عباس المغربي، بذل المجهود من إقحام اليهود ص١٢ (من تقديم: محمد أحمد الشامي).

(٣) نقلًا عن سوسه، مفصل العرب واليهود في التاريخ ص٣٤٤.

(٤) ينظر: رسالة اللاهوت والسياسة ترجمت وتقديم دكتور حسن حنفي ومراجعة دكتور فؤاد ذكريا. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر. القاهرة ١٩٧١ ص٢٦٦. ودويدار (الدكتور بركات عبد الفتاح...) الوحدانية مع دراسة في الأديان والفرق مطبعة السعادة القاهرة ١٩٧٧ ص٣٦.

(٥) ينظر: رسالة من اللاهوت والسياسة ترجمة تقديم الدكتور حسن حنفي ومراجعة دكتور فؤاد زكريا ص٢٧٦، ينظر: دويدار: الوحدانية مع دراسة الأديان والأديان والفرق ص٣٤.

(٦) ينظر: (سفري عزرا ونحميا والقاموس ٦٢١ - ٦٢٢ وزكي شنوده موسوعة تاريخ الأقباط الأرثوذكس ٨/ ١٤٧ - ١٤٨. وعجاج نوهض، بروتوكولات حكماء صهيون ٣/ ٦٤ - ٧١.

المبكر هو الذي منعه من إتمام عمله هٰذا بعناية وإتقان.[١] فالاعتقاد السائد لدى اليهود - الآن - هو الذي جمع أسفار التوراة الحالية ونظمها هو الكاهن عزرا الكاتب حوالي عام ٤٤٤ق.م.[٢]، وقد تحدث سولوف عن كيفية كتابة التوراة بصيغتها الحالية قائلًا: «عرض«عزرا» الكتاب على الحاكم «نحميا»[٣] فكرة تكون مجلس رباني الدين الموسوي لدراسة ما بين أيديهم من نسخ التوراة القديمة وتمحيصها وإقرار نسخة منقحة من التوراة وهكذا تم تأليف هٰذا المجلس قبل الفين وأربعمائة سنة ضم جماعة أطلق عليها (رجال وأعلام الكنيس الأعظم) (anshe keneset ha gedolon) فكان أول كتاب وضعه هٰذا المجلس هو التوراة (الحالية) (torah)، ويطلق عليه اسم (كتاب موسى الخمسة) ويحتوي إلى الأسفار التالية التكوين والخروج والأحبار والعدد وتثنية الاشتراع».[٤] وأكد لودز (بأننا لا نستطيع أن نؤيد صحة رجوع تاريخ أي قسم من الأسفار الخمسة وحتى الوصايا العشرين إلى عصر موسى لأن ما ورد من روايات في هٰذه الأسفار قد يعرض أكثر من أسفار التوراة (يقصد بها العهد القديم) إلى تكرار وإعادة تصنيف إلى تغيير وتوسيع مستمرين على مر العصور)[٥] ثم قال:(أن الوصايا العشرة أدخلت في سفر الخروج وسفر التثنية وفي وقت متأخر حيث ظهرت في الكتابات اليهودية في القرن السابع قبل الميلاد).[٦] وذكر نورتن أنه لا يوحد الفرق بين اللغة والأسلوب اللذين كتبت بهما أسفار التوراة وبين اللغة والأسلوب اللذين في سائر كتب العهد القديم التي كتبت في عهد أطلق فيه سراح بني إسرائيل من أسر بابل، مع أن بين العهدين حوالي (٩٠٠) سنة

---

(١) ينظر: رسالة من اللاهوت والسياسة د.حسن حنفي ص٢٨٣، وينظر دويدار: الوحداثية مع دراسة في الأديان والفرق ص٣٤.

(٢) ينظر: شنوده. موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ٨/ ١٤٧ وقاموس الكتاب المقدس ص٦٢١ وأيضاً ارنيست رينان: تاريخ شعب إسرائيل طبعة باريس (الفرنسية) سنة ١٩٢٧م ٢/ ٥٠ وما بعدها.

(٣) ينظر: (سفر عزرا ونحميا والقاموس ٩٦١ - ٩٦٣ وبروتوكولات حكماء صهيون ٣/ ٧١ - ٧٨.

(٤) ينظر: سولوف (مردخاي آي...) كيف نما الشعب اليهود؟ (بالإنكليزية) نقلًا عن: عرض للكتب الذكور تعلم: شريف يوسف من مجلة العرب الكويتية العدد ١٠٨ (رجب ١٣٨٧هـ تشرين الثاني ١٩٦٧) ص١٠٧.

(٥) نقلًا عن سوسه، مفصل العرب واليهود في التاريخ ص٣٤٤.

(٦) ينظر: المصدر نفسه/ ٣٤٤..

ولذٰلك أكد (ليئوسلن): (أن هٰذه الكتب القديم كلها قد صنعت في زمان واحد)[١].

ولذٰلك - ومنذ القرن السادس عشر المسيحي - أثيرت مجادلات عنيفة ومناقشات جادة بين أعلام الكتاب المقدس حول تأليف موسى للأسفار الخمسة،[٢] وقد غير الكثير من العلماء - المتخصصين بدراسة العهد القديم - آراءهم في: من هو مؤلف هٰذه الأسفار؟[٣] فالعدد الأكبر من مفسري الكتاب المقدس العصريين من الكاثوليك والبروتستانت يجمعون على القول. أن المنطق والعلم لا يسلمان أن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى هي من تأليف رجل واحد،[٤] لذا ارتأى بعض العلماء أنها جمعت من كتابات سابقة أو أن مؤلف الأسفار الخمسة أو جامعها اعتمد على تلك الكتابات السابقة ومنها وضع الأسفار الخمسة كما هي بين أيدينا اليوم[٥] وذٰلك لأن هٰذه الأسفار الخمسة تحتوي على كثير من المراجعات والاختلاف في الإنشاء والاتجاه الفكري، وبعض التناقض في الشرائع والازدواجية في الرواية الواحدة كقصتي الخلق[٦]، والطوفان،[٧] والاختلاف في اسم الله (ألوهيم ويهوه)،[٨] وشواهد أخرى كثيرة[٩] تدل على أن جزءًا كبيراً منها كتب في عصور متأخرة بعد عهد موسى بزمان طويل،[١٠] لأنه ليس في هٰذه الأسفار ذاتها نص واحد يؤكد أن موسى هو كاتبها كلها.[١١]

---

(١) نقلًا عن: الصادقي، البشارات ١/ ١٠٥.

(٢) ينظر: دانمر، الأصيل والدخيل في النص العهد القديم ص٢٣٦ هامش رقم (١).

(٣) ينظر: سيل، المرشد إلى الكتاب المقدس ص٧٤. وأيضاً قاموس الكتاب المقدس ص٣٤٨.

(٤) ينظر: دانمر، الأصيل والدخيل في نص العهد القديم ص٢٣٦ هامش رقم (١).

(٥) ينظر: سيل، المرشد إلى الكتاب المقدس ص٧٤.

(٦) هٰذه القصة جزءان، الأول في (تك ١: ١ - ٢: ٣) يستعمل اسم الجلالة (الله) والثاني في (تك ٢: ٤ - ٢٥) ويستعمل اسم الجلالة (الرب الإلٰه)، (ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص٣٤٥).

(٧) للطوفان روايتان في التوراة امتزجتا معاً حتى في أصفر فقره، ذٰلك بشكل مكشوف تنفر عنه العقل والسليقة وتناقص إحداها الأخرى (تك ٦: ٥ -٨: ٢٢)، ينظر: أيضاً قاموس الكتاب ٥٨١ - ٥٨٤.

(٨) ينظر: الهامش رقم (١) أعلاه والقاموس ص١٠٧.

(٩) ينظر: تك ١٢: ٦ و٣٦: ٣١ وما يليه وتث ١٧: ١٤ و٣٤: ٥ - ٨ و١٠.

(١٠) ينظر: دانمر، الأصيل والدخيل ص٢٣٦ هامش (١) وسيل، المرشد ٧٤ و٧٥.

(١١) ينظر: قاموس الكتاب المقدس ص٣٤٨.

لذا فأنهم درسوا النص العبراني درساً مشبعاً وحللوه تحليلًا علمياً ولغوياً دقيقاً، فرأوا أنه منسوج من (نحو) أربع وثائق أو (تقاليد) تتماشى معها جنباً إلى جنب، لكل منها إنشاؤه وأسلوبه الخاص يميزه عن غيره، كتبت من القرن العاشر إلى الخامس قبل الميلاد.(١) ولٰكنهم مع هٰذا ومع اعترافهم أن موسى (أو مؤلف الأسفار الخمسة) قد اعتمد على أصول مكتوبة واستعمل مخطوطات سابقة لزمانه، وأن هٰذه الأسفار في شكلها الحالي قد جمعت في زمان بعد زمان موسى بكثير،(٢) وأنه جاء بعد من أضاف إلى ما كتب المعلومات التي وصلت إلينا، وأن الجمع والتدوين قد انتهى في أوقات متفاوتة.(٣) مع كل هٰذا، قالوا: لا يستنتج من ذٰلك بالضرورة، أن كاتبها لم يكن موسى، فهٰذا لا ينقض كون موسى كاتبها،(٤) وذٰلك باعتبار أن موسى هو مؤسس ديانة وباعث أمة ومعلن دستور ورواية،(٥) فهو الذي نظم الشعب وسن له الشرائع والطقوس ووضع في القرن الثالث عشر ق.م النواة التاريخية والتشريعية للأسفار الخمسة كلها، وأن هٰذه (النواة الموسوية) قد نمت وتطورت مع توالي العصور، وتفرعت إلى تقاليد متعددة وجداول متشعبة(٦) إلى أن تكون من هٰذه (الكتب) المجموعات الكبرى للأسفار الخمسة،(٧) ومن هنا سميت بـ(الأسفار الخمسة) بأسفار موسى أو شريعته أو ناموسه أو كتبة توراته.(٨) وهكذا فبعض المسيحيين مع اعترافهم بالتطورات التي طرأت على التوراة واشتراك غير واحد في كتابتها يرجعونها في الأساس إلى موسى عليه السلام وفي ذٰلك يقول الدكتور مراد كامل: (ويوافق العلماء الكاثوليك على أن الأسفار الخمسة قد تكون جمعت من مصادر مختلفة وربما اشتملت على تغير وإضافات متأخرة، ولٰكنهم يصرون

---

(١) ينظر: دانمر الأصيل والدخيل في نص العهد القديم ص٢٣٦٧ هامش رقم (١).

(٢) ينظر: سيل، المرشد ص٧٥.

(٣) ينظر: ديلي، تاريخ شعب العهد القديم ص٦١.

(٤) ينظر: سيل: المرشد ص٧٥ والقاموس ص٣٤٩.

(٥) ينظر: ديلي، تاريخ شعب العهد القديم ص٦١ وسيل، المرشد ص٧٦.

(٦) ينظر: هيريان شتراك، المدخل إلى العهد القديم، طبعة ميونيخ (الألمانية) الرابعة سنة ١٨٩٥ ص١٥ - ٤٠. نقلًا عن: ثروت أنيس الأسيوطي، فلسفة القانون ٢/ ٢٦٩.

(٧) ينظر: ديلي، تاريخ شعب العهد القديم ص٦١.

(٨) ينظر: سيل، المرشد ص٧٦.

على أنها صادرة أساساً عن نبي الله موسى عليه السلام [١]. أو على الأقل الأكبر منها.

وهٰذا الإصرار منهم لا معنى له، فهو تقليد أعمى، بل عناد عتيق وتكبير وتكبر صارخ في وجه الواقع والمكتشفات الأثرية والمعطيات العلمية الحديث، وأن هٰذا الإصرار أنما أتى بعد الاعتراف بأنه (ليس في الأسفار الخمسة ذاتها نصٌّ واحد يؤكد أن موسى هو كاتبها كلها.[٢] وبعد التحقيق والتدقيق العميق لمفسريهم الكبار بأن إصحاحات وأعداد كثيرة من التوراة الحالية ليست من كلام موسى عليه السلام بل أنها ملحقة بالتوراة في فترات مختلفة ومن كتاب مجهولين لا نعلم عن حالهم شيئاً. فضلًا عن أنه يوجد في التوراة الحالية ما يؤكد - بوضوح وبلا أدنى شك - أن موسى عليه السلام لم يكتبها.

❋❋❋

(١) ينظر: دانمر، الأصيل والدخيل ص٢٣٦ هامش (١) وأيضاً القاموس ص٣٤٨.

(٢) ينظر: الدبس، تاريخ سورية ١/ ١٤٣.

المبحث الثالث
موقف العلماء من التوراة

منذ ظهور التوراة وعلماء التاريخ يبحثون عن مصدرها وحقيقة المعلومات التي وردت فيها، ...ولٰكن لم يكتب النجاح لبحوث هٰؤلاء العلماء في العصور القديمة لافتقارهم إلى وسائل البحث والتنقيب آنذاك. وأن الكنيسة المسيحية احتضنت التوراة ككتاب مقدس، وبذٰلك أضفت عليها ثوباً من الحرمة والقدسية مما منع المس بها أو حتى مجرد مناقشه محتوياتها، وهكذا ظلت التوراة بفضل الكنيسة - معصومة من النقد لعدة قرون.[١] ولٰكن في القرون الثلاثة الأخيرة ولاسيما في القرن الماضي - عندما كثرت المكتشفات العلمية الحديثة، ظهرت للوجود حقائق علمية كانت مجهولة في السابق كالمكتشفات المصرية والآشورية والكلدانية وغيرها - كسر علماء النقد الحاجز الذي وضعته الكنيسة بينهم وبين الكتاب المقدس، فوجهوا إليه انتقادات شديدة وكثيرة مبنية على نتائج المعارف والمعطيات العلمية الحديثة[٢] حملت الكثيرين من علماء الكتاب المقدس المتخصصين يغيرون موقفهم وآراءهم في مسألة: من هو مؤلف أسفار التوراة الخمسة؟[٣] وقد ظلت اليهودية والمسيحية لقرون طويلة تعتبران، أن موسى نفسه هو كاتب التوراة[٤] في صورتها الحالية[٥]، ولربما اعتمدنا في دعواهما هٰذه على بعض الفقرات الواردة في التوراة نفسها[٦] وفي الإنجيل، وباقي كتب العهد الجديد[٧] إذن كان

---

(١) ينظر: ناجي، المفسدون في الأرض ص١٠. (٢) ينظر: المصدر السابق ص١٠.

(٣) ينظر: سيكل سيل، المرشد إلى كتاب، ص٧٤.

(٤) ينظر: بوكاي (موريس) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف القاهرة سنة ١٩٧٨ ص٢٦، ومراد كامل، الكتب التاريخية ص٧.

(٥) ينظر: سيل، المرشد ص٧٤.

(٦) ينظر: مثلًا(خر ١٧: ١٤ وعد ٣٣: ٢ وكث ٣١: ٩)، (أكتب هٰذا تذكار في الكتاب)، و(كتب موسى مخارجهم في رحلاتهم حسب قول الرب)، (كتب موسى هٰذه التوراة).

(٧) بنظر: مثلًا: روم ١٠: ٥.

من الصعب دحض خرافة تمتعت بالتأييد الذي أتى به المسيح نفسه في العهد الجديد[١] بل منذ القرن الأول ق.م وجد من يدافع عن الرأي القائل بأن موسى قد كتب الأسفار الخمسة كلها، مثل: (فلافيوس جوزيف)، والفيلسوف اليهودي (فيلون الإسكندري) (٢٠ ق.م - ٥٤م)[٢]، فالتراث اليهودي الذي امتثل له عيسى والرسل كان مقبولًا حتى نهاية القرون الوسطى وكان الرافض الوحيد لهٰذه الدعوة (أبين أسرا - ABENESRA) في القرن الثاني عشر، وفي القرن السادس عشر أشار (كارلتشاد CARL STADT) إلى استحالة أن يكون موسى عليه السلام قد كتب بنفسه كيف مات؟[٣] وهناك نقاد آخرون رفضوا أبوة موسى عليه السلام على الأقل لجزء من الأسفار الخمسة وعلى وجه الخصوص ريشاد سيمون في دراسته (التاريخ النقدي للعهد القديم) سنة ١٦٧٨م، هٰذه الدراسة التي أثارت ضجة وسخطاً كبيرين لأنه كان قد أكد فيها على الصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب في أسفار التوراة الخمسة[٤].

والنقاد يدينون لـ (جان أستروك)[٥] (JEAN ASTRUC) للبرهان الحاسم الذي قدمه في دراسته التي أكد فيها بشجاعة تامة على تعدد المصادر للتوراة فقد لاحظ وجود نصين جنباً إلى جنب في سفر التكوين يحتوي كل منهما على خاصية مختلفة في تسمية الرب، إذ يسميه أحدهما بيهوه، ويسميه الثاني بألوهيم، ولم يكن أستروك أول من أشار إلى هٰذه التفرقة عام ١٧٥٣م[٦] كما نقل ذٰلك ديورانت[٧]، بل أن الازدواجية والتكرار في قصة الخلق[٨] اكتشفها الناقد فيترينكا عام ١٦٨٣م، ومن بعده الناقد فييتر عام ١٧١١م ثم أثبته أخيراً الناقد أستروك عام ١٧٥٣م[٩] ثم قام أيخهورن (١٧٨٠م - ١٧٨٣م) بنفس الاكتشاف بالنسبة للأسفار الأربعة الأخرى من التوراة، ثم جاء أيلجن عام ١٧٩٨م ولاحظ أن أحد النصين اللذين ميزهما الفيلسوف أستروك وهو النص

(١) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ص٢٨. (٢) ينظر: المصدر نفسه ص٢٧.

(٣) تث ٣٤: ٥ - ١٢، وينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ص٢٧.

(٤) ينظر: ديفو في ترجمة لسفر التكوين طبع سنة ١٩٦٢نقلًا عن بوكاي، دراسة الكتاب المقدس/ ٢٧،٢٨.

(٥) ينظر: جان أستروك هو: طبيب لويس الخامس عشر، نشر دراسته هٰذه عام ١٧٥٣م، وكانت بعنوان (قرائن عن المذكرات الأصلية التي يبدو أن موسى قد أستخدمها لتحرير سفر التكوين).

(٦) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ص٢٨. (٧) ينظر: ديورانت، قصة الحضارة/ ٢/ ٣٦٨.

(٨) ينظر: تك ١: ١ - ٤أ، وتك ٢: ٢ - ٤ب. (٩) ينظر: ناجي، المفسدون في الأرض ص١٦.

الألوهيمي - ينقسم هو الأخر إلى قسمين وبهٰذا تفتت تماماً أسفار التوراة الخمسة[١].

إذن معالجة الكتب المقدسة من خلال علم الدراسة النقدية للنصوص شيء قريب العهد، فبالنسبة للعهدين القديم والجديد، ظل الناس يقبلونهما على ما هما عليه طوال قرون عديدة، ولم تكن تؤدي قراءة الكتب المقدسة إلَّا إلى اعتبارات مدحية وكان مجرد التعبير عن أي روح نقدية إزاء الكتاب المقدس خطيئة لا تغتفر، وكان القساوسة هم وحدهم الصفوة التي تستطيع بغير عناء أن تكون لديها معرفة إجمالية عن التوراة والأناجيل، أما عامة العلمانيين فلم تكن تتلقى إلَّا نصوصاً مختارة خلال الطقوس الدينية أو عبر المواعظ في الكنائس[٢]، وكان للكنيسة ورجال الدين عدة طرق وأساليب لإقناع قراء الكتاب المقدس بأنه وحي وأنه كلام الله وأنه كتب بإلهام من روح القدس، منها:

١ - سد الباب في وجه السائلين وذٰلك بالقول: أن مؤلفه هو الرب، وأحياناً كان يقال: (إن هناك تفاصيل قد أضافها بشر إلى النص الأول وأن الطابع المشكوك فيه لفترة ما في هٰذا النص لا تحرق (الحقيقية) العامة التي تنبع منه)[٣]، فالغالبية العظمى من قراء الكتاب المقدس وجدت في المعلومات التي تقدمها الكنيسة في مقدمة طبعات الكتاب وفي الضمانات التي أعطتها الكنيسة عبر القرون كافية لئلا تثار في ذهنهم مسألة نقاش صحة الكتاب المقدس.

٢ - صرف النظر برشاقة عن دعاوى النقد، والدفاع عن النص كلمة كلمة ومحاولة إقناع الناس عن طريق إحاطة النص بتصريحات واعتبارات مديحية مستعينا في ذٰلك بحجج كبيرة غير متوقعة في غالب الأحيان، لكي يضفي غلالة من النسيان على ما يرفضه المنطق[٤] وبذٰلك يتحرف انتباه القارئ عن المشكلة الأساسية

---

(١) ينظر: موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، ص٢٨.

(٢) ينظر: بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص٩. (٣) ينظر: المصدر نفسه ص١٧.

(٤) ينظر: وإن كان بعض المعلقين المسيحيين قد قبلوا بعض الأخطاء في التوراة ولم يترددوا في مواجهة المسائل الشائكة فيما يكتبون، مثل الأب ديفو الذي قبل بوجود هٰذه الانتقادات الموجهة إلى التوراة بل أفاض حتى في البحث عن وجهاتها إلا أن (عادت بناء أحداث الماضي عديم الأهمية في نظرهم. (ينظر: بوكاي، دراسة الكتاب المقدس ص٥٥).

الخاصة بحقيقة الرواية ليتجه إلى مشاكل أخرى[١]. فالموقف المديحي هٰذا يبرر ويغطي كل تعسفات وتعديلات البشر لنصوص التوراة فيما يختص بالأمور الإلٰهية، فكل تعديل يصبح مشروعاً طالما كان هناك مرحماً دينياً، وبذٰلك تتحول الأسطورة الشعبية والرواية الوهمية إلى حدث إلٰهي المستوى.

وبهٰذا الشكل بررت تعديلات (الكهنوتيين) في القرن السادس ق.م التي أدت إلى الروايات الوهمية المعروفة في التوراة[٢] وموقفهم هٰذا الذي يهدف إلى تبرير الاحتفاظ في نصوص الكتاب المقدس ببعض المقاطع الباطلة خلافاً لكل منطق، يسئ كثيراً إلى الأيمان بالله لدى بعض العقول المثقفة، وإن كان له تأثير على غالبية المسيحيين حيث ظلت في جهالة تامة من أمر تناقض الكتاب المقدس مع المعارف الدينية الأساسية المشهورة جداً[٣].

٣ - رأى عدد كبير من المعلقين المسيحيين أنه من يشرحُ الأخطاء والأمور غير المعقولة وتناقضات الروايات في التوراة، وذٰلك بتقديم الاعتذار الذي يقول: إن كُتّاب التوراة كانوا معذورين في تقديم تصريحات ترتبط بعوامل اجتماعية لثقافة أو لعقلية مختلفين، وذاك مما أدى إلى ظهور (الأنواع الأدبية الخاصة) هٰذا التعبير الذي غطى كل المصاعب، حيث عزوا كل تناقض بين نصين إلى الطريقة الأدبية الخاصة لكل كاتب في التعبير، ومما لاشك فيه إن هٰذه الحجة ليست مقبولة لدى الجميع، فهي تفتقد فعلاً الجدية والواقعية، ورغم ذٰلك فأنها لم تقع بعد - تماماً - في غياهب النسيان في عصرنا. بل لها دعاة مدافعون وخاصة بالنسبة للأناجيل[٤].

٤ - صرف النظر عن التاريخ في التوراة (حسب قواعد النوع التاريخي الذي يمارسه المحدثون، ورفض أي فحص قد تقوم به علوم الجيولوجيا والمعطيات

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص٥٦.

(٢) وذٰلك مثل ما فعله الكاثودينال دانيلو في مقالة (الطوفان والتعميد والحكم) في مجلة (الله لحي) حيث قدم قصة الطوفان بأسلوب تقليدي وأثنى على النص سيلًا من التقريبات المديحية، وغمض العين عن الأخطاء التاريخية الكثيرة في هٰذه القصة التي تخالف الواقع والعلم (ينظر: موريس بوكاي. دراسة الكتب المقدس ص٥٥ - ٥٦ - ٥٧.

(٣) ينظر: بوكاي ص١٠ و٦١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص٥٨.

الخاصة بما قبل التاريخ على روايات التوراة، بحجة أن التوراة - في نظرهم - لا تنتمي إلى أي - نوع - من هٰذه الدراسات العلمية)[١] وقالوا: (إذا أردنا أن نقابلها بمعطيات هٰذه العلوم، فإننا لن ننتهي إلَّا إلى تعارض غير حقيقي أو إلى توافق مصطنع)[٢].

إذن (يجب عدم اختيار الكتاب المقدس بآراء الناس العلمية فالمعرفة البشرية ليست دليلًا يركن إليهِ)[٣]، فالمتخصصون في عصرنا يجتهدون في الدفاع عن نص التوراة أمام أي اتهام بالغلط، بأي ثمن كان، حتى وإن بدا واضحاً أنه غير مقبول تاريخياً أو علمياً. هٰذا بالنسبة للروايات التي لا تتفق مطلقاً مع المعطيات العلمية، أما التي قد يمكن التحقق منها اليوم كبعض الأحداث التي وقعت في عصر الآباء الأولين، فإنهم يستشهدون بالمعارف الحديثة لمساندة الحقيقية في التوراة[٤]. وهٰذا ما فعله المطران الدبس[٥].

٥ - تضليل العامة بإظهار الأمور أمامهم على غير حقيقتها، فقد كتب رجال الدين مقدمات للكتاب المقدس المخصص للعامة سكتوا فيها عن الأمور لأساسيه الخاصة بتدوين الكتاب، بل ساقوا الأمور بشكل غامض ومخالف للواقع، فقللوا من شأن أمور حيوية هي بأمس الحاجة إلى الدراسة العميقة والبحث الجاد، اكتفوا من الكتب التي أصابها التعديل برمتها وعدة مرات - كما حدث لأسفار موسى عليه السلام الخمسة - أكتفوا منها فقط التفاصيل الإشارة إلى تفاصيل أضيفت إلى بعد تحرير النص أو مناقشات حول فقرة عديمة الأهمية في هٰذا السفر أو ذاك[٦]، فمن نظر في

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ص٥٨.

(٢) ينظر: مدخل إلى سفر التكوين، للأب ديفو/ ص٣٥ نقلًا عن بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ص٥٨، وفيه أيضاً يقول الأب ديفو أن الشكوك التي غيمت على هٰذه الروايات يجب أن تخلي المكان أمام الشهادة المؤيدة التي بها التاريخ أو علم الآثار الشرقية بمعنى كما قال بوكاي - إذا كان العلم مفيداً في توكيد رواية التوراة فلا بأس، أما إذا دحضنا فإن الرجوع إليه غير مقبول.

(٣) ينظر: الزهوايت،الصراع العظيم في سيرة الآباء والأنبياء بيروت ١٩٦٢، ص٩٣.

(٤) ينظر: بوكاي، دراسة الكتاب المقدس.ص٢٥ - ٢٦.

(٥) ينظر: من كتابة:تاريخ سورية الدين والدنيوي، الجزء الأول الجلد الأول ص٦٥ و(ص١٨٢ فضل ٨ عد ٢١١).

(٦) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة.ص٢٥ - ٢٦.

مؤلفاتهم التي كتبوها للخاصة وليس للعامة الجمهور سيدرك جلياً أن مسألة أسفار الكتاب المقدس مسألة أكثر تعقيداً مما كان يظن بداية. فالقارئ لطبعة الكتاب المقدس الحديثة التي ترجمة إلى الفرنسية،[١] سيكتشف أن نبرة الحديث مختلفة جداً، وسيعلم جيداً أن العهد القديم كالعهد الجديد يغير مشاكل لا يخفي المفسرون عناصرها التي تسبب النزاع[٢].

مع ذٰلك فأن الفترة السابقة على عصر الظلام المفروض شهدت مفكرين اتخذوا مواقف منطقية من الكتب المقدسة. قبل القديس أوغسطين، فأنه قد عرف - في عصر آباء الكنيسة - مشاكل خاصة بنقد النصوص، ولذٰلك قال في خطابه رقم ٨٢: (إن مؤلفات الكتب المقدسة هٰذه التي تعرف بالقانونية هي فقط التي تعلمت أن أعطيها انتباهاً واحتراما كاعتقادي الحازم بأنه ليس هناك أحد من كتابها قد أخطأ.

فعند ما ألتقي في هٰذه الكتب بدعوى تبدو مناقضة للحقيقة فإنني عندئذ لا أشك في أن نص (نسختي) لا يحتوي على خطأ أو أن المترجم لم يترجم النص الأصلي بشكل صحيح أو أن مقدرتي على الفهم بالضعف)[٣]. ويبدو أن هٰذا الرجل كان يتمتع بإدراك سليم وبحاسة نقدية فاحصه ولٰكن لإيمانه بعقيدة «العصمة من الخطأ» أرجع الخطأ الموجود في النص المقدس إلى سبب إنساني فاستبعد أن يكون أصل الدعوى المناقضة إلٰهياً، لأن الله لا يمكن أن يعلم البشر بما لا يتفق والحقيقة لهٰذا كان على استعداد لأن يستبعد من أي نص مقدس ما كان يمكن أن يمكن أن يبدو له واجب الحذف، ولم تكن في عصره إمكانيات مقابلة نصوص التوراة بمعطيات العلم متاحة، فالتقليد كان هو السائد، والنص يقبل كما هو[٤]، ولٰكن مع ذٰلك فرؤية القديس الرحبة هٰذه تبعث على شجاعة النقاد في عصره وتعتبر عامل رفع وتشجيع لنقادنا للقيام بالمقابلات والبحوث التي لم تكن ممكنة في ذٰلك العصر. ثم بدأ علماء اللاهوت المعاصرون يجتهدون في مراجعة المفاهيم

---

(١) ينظر: ترجمت تحت إشراف رئاسة مدرسة الكتاب المقدس بالمقدس.

(٢) ينظر: بوكاي، دراسة الكتاب المقدسة ص١٧ - ١٨.

(٣) ينظر: بوكاي، دراسة الكتاب المقدسة ص١٧ - ١٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص٥٧ و٦١.

الكلاسيكية للحقيقة للتوفيق بين نظرية الحقيقة في التوراة والطابع غير الصحيح لبعض الوقائع الواردة في روايات العهد القديم، أي التوفيق بين ما لا يقبل التوفيق، وذلك مثل أ.لوركز في الكتاب: «ما هي حقيقة التوراة؟» (١٩٧٢) الذي لاحظ أن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني (قد حذر من إعطاء أي قواعد للتمييز بين الخطأ والحقيقة في التوراة، وهناك اعتبارات أساسية تشير إلى الاستحالة هٰذه، حيث أن الكنيسة لا تستطيع أن تتخذ قراراً بصحة أو زيف المناهج العلمية بحيث تستطيع أن تحل مبدئياً وبشكل عام مشكلة حقيقية الكتاب المقدس)[١]. فموقف الكتاب المسيحيين من الأخطاء العلمية في نصوص التوراة هي التي جعلت الأوساط الدينية المسيحية تشعر أثناء انعقاد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني بضيق وحرج شديدين تجاه كتب العهد القديم، فإنه بعد المناقشات الطويلة والمجادلات الكثيرة أعترف المجتمعون بأغلبية ٢٣٤٤ صوتاً ضد ستة أصوات بأن (هٰذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان، ومع ذٰلك ففيها شهادة عن تعليم الهي)[٢] وقد علق الأسقف (فيبر) على هٰذه الوثيقة الرسمية بقوله: (لا شك في أن بعض أسفار التوراة اليهودية تحتوي على مرمى وقتي وبها شيء كامل)[٣]، وهكذا ظهر المجمع المسكوني المذكور تحفظاً واضحاً حول أسفار العهد القديم. وهناك بعض الأمور يمكننا أن نسميها الأسباب والدوافع التي حفزت العلماء إلى دراسة نصوص التوراة وتحليلها ومناقشاتها، من ثم توجيه نقد صارخ إليها، وأخيراً الخروج بنتائج تؤكد سطحية ووهمية أمور كثيرة في التوراة كان يظن ولقرون طويلة - إنها حقائق ثابتة، موحى بها من السماء، ومن هٰذه الأسباب والدواعي:

١ - تصادم بعض روايات التوراة بالحقائق العلمية، فيعد التطور والتقدم اللذين حققهما العلم الحديث لاحظ العلماء والمفكرون أن بعض معطيات التوراة

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ص١٩ و٥٨.

(٢) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ص٥٩ - ٦٠، وفي الترجمة التي نشرتها المطبعة الكاثوليكية في بيروت بلبنان جاء نص العادة هكذا (وأن هٰذه الأسفار، وأن احتوت أموراً غير كاملة وزمنية، فأنها تطلعنا إلى طريق تربوية الهيئة حقيقية)، (ينظر: الوثائق المجمعة ...)، (دستور في الوحي الإلٰهي - الفصل الرابع ١٥ ج٢/٣٠٨.

(٣) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ص٦٠.

تناقص نتائج المكتشفات العلمية الحديثة. وكانت أكثر متناقضات التوراة وضوحاً مع العلم والواقع تدور حول ثلاث نقاط جوهرية[١]:

أ) تاريخ خلق العالم ومراحله.

ب) تاريخ ظهور الإنسان (الأول) على الأرض.

ج) قصة الطوفان.

فمثلًا حددت التوراة (سفر التكوين) تاريخ ظهور الإنسان الأول (خلف آدم) على الأرض بحوالي ٣٧ أو ٣٨ قرناً قبل المسيح لٰكن علم الآثار أكتشف أعمالًا بشرية ترجع تاريخها بلا أي شك إلى ما قبل الألف العاشر قبل التاريخ المسيحي، وإيماناً من العلماء بأن هنالك اتفاقاً بين الكتب المقدسة والعلم وحقائقه، فأنهم أنكبوا على دراسة نصوص التوراة، وخرجوا بنتيجة وهي أن معطيات التوراة الخاصة بقدم الإنسان غير صحيحة[٢] فهاجموا الكتاب المقدس باسم الجيولوجيا أو باسم نظرية التطور والنشوء[٣].

٢ - وجود الكم المتراكم من الأخطاء والمتناقضات والأمور غير المعقولة والتنافرات والتكرارات والازدواجية في بعض القصص التوراتية[٤] فقد وجد

(١) قارن بما في (سيل) المرشد إلى الكتاب المقدس ص٤٨ - ٥٠. حيث هناك اعتراضات أخرى وجهت إلى سفر التكوين وقد حاول القس سيكل سيل أن يدفع هٰذه الاعتراضات بحجج وهمية ولكنه أخفق في ذٰلك، حيث ذكر أن سفر التكوين ليس كتاباً في علم الطبيعيات، وأنه من الخطاء السعي للحصول على تاريخ بدء الخليفة بجمع أعمار أبناء آدم العشرة الذين عاشوا قبل الطوفان لأنه لم يقصد به إعطاء تاريخ متسلسل، بل قصد به تعريفنا بعشرة أسماء ذات أهمية عاش أصحابها بعد آدم.

(٢) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة، ص١١، ١٢، ٤٠، ٥٠ وداغر، الأصيل والدخيل ص٢٤٥ - ٢٤٦.

(٣) ينظر: غريغوديوس (الأنبا..)، الكتاب المقدس كتاب كل العصور، مطبعة دار العالم العربي القاهرة ١٩٧٣ ص١٣، وقد أعترف الأب يوسف داغر المخلص بأن عمر الأجداد هو من صعوبات التوراة الأشد تعقيداً، وقد وجد - حسب رأيه - الحل الأنسب لها، وذٰلك أنه بعد اعترافه بأن النصوص الثلاثة العبرانية والسامرية تختلف في عدد سنيء عمر الأجداد. اختلافا كبيراً يقارن بين التوراة ولوائح من بابل.

(٤) مثل قصة الخلق وقصة الطوفان فلكل حادثة واحدة منها روايتان مختلفتان ممتزجتان أو محبوكتان معاً (المرشد ص٧٤).

العلماء في التوراة فقرات تناقض فقرات أخرى بكل صراحة ووضوح، مما حملتهم على البحث في هٰذه النصوص، فتوصلوا إلى أنها ترجع إلى مصادر متباينة، وأنها عدلت وحورت عدة مرات، وألحقت بها إضافات وزيدت عليها تعليقات مختلفة بمرور الزمن ومن خلال نسخها بعضها من بعض، فجمعت بين المتناقضات التي لا تجتمع ولا تتفق والعلم، وقد أشار بعض رجال الدين - مثل الأب ديفو - إلى هٰذه التناقضات الكثيرة والنقاط المتناحرة والإشكاليات المتعددة بمنتهى الأمانة وروح العلمية[١]، وذٰلك مثل:

الاختلاف في الأسماء التي يشار بها إلى الله ﷻ[٢]، ومثل التناقض الموجود في سفر التكوين[٣] حيث قرر الرب أن يكون عمر الإنسان محدوداً بمائة وعشرين سنة، وفي السفر نفسه[٤].

نجد أن نسل نوح العشرة عاشوا من ١٤٨ سنة إلى سنة ٦٠٠[٥]، فكشف العلماء إن التناقض يرجع إلى أن العبارة الأولى: مأخوذة من المصدر اليهودي. والثاني: من المصدر الكهنوتي، وقد نجد أن بعض مقاطع هٰذا النص متداخلة بشكل جلي في النص الأخر، وقد جمع المصدران أحياناً بشكل متنافر جداً، فقد قطع كل نص أصلي إلى فقرات أو عبادات قصيرة جداً - قد تصل إلى جملة واحدة - وتعاقب عناصر كل المصدر لآخر بحيث أنك تنتقل من مصدر الآخر في رواية الطرفان[٦] مثلًا سبع عشرة مرة، ذٰلك خلال مائة سطر تقريباً من النص - الفرنسي -[٧]. وهكذا قد ثبت فعلًا أن سفر التكوين وحده يرجع إلى مصادر ثلاثة[٨].

---

(١) ينظر: الأب ديفو مدخل إلى سفر التكوين (١٣ - ١٤) نقلًا عن بوكاي/ ص٣٩، وفريزر (جيمس جورج...) الفلوكلور في العهد القديم، الهيئة المصرية العامة - لكتابه القاهرة/ ١٩٧٢م ١/ ١١١ - ١١٣.

(٢) ينظر: د. مراد كامل، الكتب التاريخية، ص٥١، وسيل: المرشد إلى الكتاب، ص٧٤.

(٣) ينظر: تك: ٦: ٣.

(٤) ينظر: تك: ١١: ١٠ - ٣٢.

(٥) ينظر: تك: ١١: ١٠ وما بعدها.

(٦) ينظر: تك: ٦و٧و٨.

(٧) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ٣١، ٤٠، ٥٢ وفريزر، الفلولكلور ١/ ٢٦ - ٢٨ و١١١ - ١١٣ وسيل، المرشد إلى الكتاب ص٧٤ أمثلة أخرى في مراد كامل، الكتب التاريخية ص٣٧ - ٣٩.

(٨) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ص٣.

٣ - المشاكل الأخلاقية، لقد وجد العلماء في الكتاب المقدس (التوراة) أخباراً باردة وأقاصيص داعرة؟[١] وأنها تنسب الأخلاق الفاسدة والتصرفات الخيانية والمعاصي والذنوب إلى بعض الآباء والأتقياء (الأنبياء) الأقدمين، مثل: نسبة الكذب إلى إبراهيم عليه السلام طمعاً في المال، عندما أدعى أن (سارة) هي أخته وليست زوجته، ليكون له خير من فرعون بسببها[٢]. وأن لوطاً شرب الخمر فسكر وزنى ببنتيه فولدت البكر منه موأب والصغيرة «بن عمي»[٣]. وأن نوح شرب الخمر وتعرى، فأبصر كنعان عورة أبية[٤]. وأن روبين أتى بزوجة أبيه وسريته (بلهه) وقد سمع أبوه يعقوب بذلك[٥].

وأن يهوذا زنى بكنته ثامار فولدت منه توأمين وهما فارض وزارح[٦]، وأن يعقوب صارع مع الله طوال ليلة كاملة وقوى عليه[٧]!! وأن يعقوب كذب وغش وخدع أباه إسحاق؟ وسلب أخاه عيسو منه حقه (البكورية)[٨]. فنال خلسة بركة يعقوب التي كانت من حق أخيه الكبير عيسو[٩]. وأن يعقوب عليه السلام تغاضى عن أضام زوجته راحيل التي سرقتها من بيت أبيها[١٠] وأن هارون هو الذي صنع العجل الذهبي ليكون إلٰهاً لبني إسرائيل، ودعاهم إلى عبادته[١١]. وغير ذٰلك فقد نظر العلماء النقاد في هٰذه الأمور وأشباهها واستبعدوا إتيان هٰؤلاء الأنبياء والصالحين لهٰذه الأعمال السيئة والأفعال القبيحة واقترافهم هٰذه الآثام والخطايا التي ننكرها نحن اليوم - ونفر منها ونستهجنها ونصغر فاعليها. فكيف بهم وهم الصفوة المختارة؟ بالتالي استحالوا أن يكون مصدرها إلٰهيا لأنها تستبعدها العقول بل تمنع

---

(١) ينظر: غوستاف لوبون: اليهود في التاريخ الحضارات الأولى ص٢٢.

(٢) ينظر: تك ١٣:١٢ و١٩. والتوراة تذكر أنها كانت أخته من أبيه وليست من أمه ثم صادرت زوجة له تك: ٢٠: ١٢.

(٣) ينظر: تك ١٩: ٣٠ - ٣٨.

(٤) ينظر: تك ٩: ٢١ - ٢٢.

(٥) ينظر: تك ٣٥: ٢٢.

(٦) ينظر: تك ٣٨:/ .

(٧) ينظر: ٢٢:٣٢ - ٢٩.

(٨) ينظر: تك ٢٧:/.

(٩) (فيعقوب في التوراة رجل مادي ذكي لبق)، ينظر: (فريزر - الفلوكلور في العهد القديم: مقدمة المترجمة. د نبيلة إبراهيم ١/ ٦).

(١٠) ينظر: ٣١: ١٩ و٣٢ و٢:٣٥ و٤ وقد أجيب:بأن يعقوب لم يعلم بأمرها.

(١١) ينظر: خر ٣٢: ٢ - ٦.

من وقوعها، ولم يقتنعوا بالتبريرات التي أعطيت لهٰذه الأعمال من مثل قولهم: إن نمو الإنسان الروحي والأخلاقي كان بطيئاً، وأن الإنسان ضعيف أو أن المحيط الذي عاش فيه هٰؤلاء الآباء كان وثنياً...[١] وما إلى ذٰلك.

٤ - تطور التخصصات العلمية العميقة والدراسات المتفحصة الجادة المبنية على المناهج العلمية الحديثة ووجود العقول المفكرة الشجاعة. وذٰلك مثل «فريزر» الذي استطاع من خلال القراءة المتفحصة للتوراة ومن خلال تخصصه العميق في علم الأنثروبولوجيا أن يحصر ما في التوراة من تقاليد وعادات وتصورات بدائية وأن يقوم بتحليلها وفحصها واستبيان كنهها عن طريق المنهج الأنثروبولوجي[٢] المقارن والوصول أخيراً إلى إبراز ما في التوراة من بقايا معتقدات وديانات قديمة ألحقت بالدين السماوي تشويهاً كبيراً فمثلًا توصل إلى أن كتاب سفر التكوين قد خلطوا بين قصة الخلق الأصلية وبين المعتقدات والتصورات البدائية وكانت النتيجة أن نسبت إلى الرب صفات لا تليق بوحدانيته وألوهيته وجلالتِهِ[٣] ومن هنا نقد التوراة نقداً صارخاً.

٥ - تعدد أساليب الإنشاء في التوراة، والفرق البين في اللغة والأسلوب والفكر بين أجزاء مختلفة من هٰذه الأسفار، وعدم تجانس مفردات بعضها مع بعض الآخر، وتوفر مظاهر الزيادات والنواقص الغزيرة في نصوص الأسفار المكررة لبعض التشريعات، فهي تدل صراحة على تعدد الأيدي التي عملت فيها، وتفرض وجود مصادر مختلفة فضلًا عن خلو سفر التكوين الذي نسب إلى موسى عليه السلام، حتى من عبادة واحدة تشير إلى علاقته أو تدوينه إياه، كما تزخر الأسفار الأربعة الأخرى بعبارات توحي بأنها لم تكتب من قبل موسى عليه السلام، خلافاً لما زعمته المصادر اليهودية. فقد وجد النقاد أنّ في التوراة (الأسفار الخمسة) فقرات تدل

---

(١) ينظر: سيل، المرشد إلى الكتاب ص٥١ - ٥٣ وابن كونه، تنقيح الأبحاث ص٥٣ وما بعدها وإبراهيم خليل أحمد، إسرائيل فتنة الأجيال مكتبة الوعي العربي القاهري ١٩٦٩ ص٢٤٠ وما بعدها وأيضاً: البلاغي الهدنى ١/ ٦٦.

(٢) المنهج الأنثروبولوجي: هو علم الإنسان يدرس نواحي النوع الإنساني وكل الظواهر من حيث تعلقها بالإنسان. وللمزيد من المعلومات: ينظر: الموسوعة العربية الميسرة/ ص٢٣٥.

(٣) ينظر: فريزر: الفولكلور في العهد القديم، وترجمة د.نبيلة إبراهيم (مقدمة المترجمة) ١/ ٥ - ٦.

على خطأ نسبة هٰذه الأسفار إلى موسى عليه السلام، فأدركوا من ذٰلك إنها ليست من تأليفه وإنما نسبت إليه لتتخذ منه القدسية والمكانة والقوة ومن هٰذه الفقرات:

أ) تك ٣٦: ٣١ التي تدل على أنها كتبت في عهد ملك بني إسرائيل أو بعده وهو متأخر عن موسى عليه السلام بعشرات السنين.

ب) تك ١: ١ التي فيها عبادة (عبر الأردن) والتي لا تصدر إلَّا عن كاتب كان في كنعان فعلًا[١]. كل هٰذا أمتنع العلماء والناقدون بأن نسبة التوراة الحالية لأشخاص معينين أو عهود محددة مجرد زعم مزيف ودعوى باطلة لا تمت إلى الحقيقية بصلة[٢]، وذٰلك لتوافر الأدلة على أن الأسفار الخمسة ليست في الأصل من يد كاتب واحد[٣].

٦ - كون الأسفار الخمسة (التوراة) القاعدة الأساسية للعهد القديم والدين اليهودي بأسره، فأنه تفسير تاريخ سياسي وديني يعتمد كله إلى تاريخ تأليف التوراة وتحديد مصادرها والقيمة التي تعلقها عليها، أذن فلا عجب إذا كانت التوراة موضوع جدل ونقاش، ...

فصعوبة قبول هٰذا الترتيب في التأليف (أي وضع التوراة في أول العهد (القديم) أدت قرب نهاية القرن الثامن عشر إلى فحص نقدي شامل للموضوع[٤].

٧ - الصراع الموهوم الذي ظهر بين العلم والدين في أوربا، فقد أجمع المؤرخون على أن العلماء الكونيين لقوا من رجال الدين في أوربا (طوال عهود القرون الوسطى) ما يلقاه الخصوم من الخصوم. حيث أُسست محاكم خاصة لمحاكمة رجال العلم وأقطاب الفكر على آرائهم وأفكارهم التي يراها رجال الدين مخالفاً لعقيدة الكنيسة ونهجها وطبيعتها، وكان على العالم المخالف أن يتوب وإلَّا ألقي به حياً في النار أو رمي به من مكان عال إلى مكان سحيق فيهلك، وبهٰذه الطريقة لقي كثير من رجال الفكر والتجديد والعبقرية مصرعهم، وأدى هٰذا الصراع بالمفكرين إلى دراسة

---

(١) ينظر: أحمد شلبي، اليهودية ص٢٣٠.

(٢) ينظر: ناجي، المفسدون ص١٧ وسيل، المرشد إلى كتاب ص٧٤.

(٣) ينظر: سيل، المرشد إلى كتاب ص٧٤ وكيف وصلنا العهد القديم ص٤٢.

(٤) ينظر: مراد كامل، الكتاب التاريخية في العهد القديم ص٥١.

الكتب الدينية المقدسة وبالتالي نقدها وبيان ما فيها من زيف[١].

٨ - ظهور الجماعات والحركات المناوئة للأديان، كالعلمانية التي هي مذهب أوربي مناهض للدين ويعتبر الأديان كلها أساطير[٢]. كالماسونية[٣].التي لا تعترف بالأديان وتعد إلى أزالتها وإبادة المتدينين من الوجود، وتحررهم من أواصر الدين وإقامة الحكومة التي لا تعرف الله. وما آلت جهداً في القضاء على مظاهر الدين، وهٰذا هو غايتها الأساسية والحقيقية[٤]، فكانت لهٰذه الاتجاهات وأمثالها أثرها البين في ضعف الوازع الديني لدى الناس وبالتالي تشجيعهم على تحليل نصوص الكتب المقدسة ونقدها وفرز ما فيها من أخطاء علمية وتاريخية... وقد شعر ناشرو التوراة أيضاً بالأمر فإنهم كانوا - قبل العصر الحديث - يقدمون للقراء - في مقدمات توضيحية للتوراة - جداول وقوائم بتواريخ الأحداث التي وقعت منذ خلق العالم وحتى عصر النشر بالاعتماد على التوراة، والتواريخ كانت تختلف قليلًا بحسب العصور ومن نسخة إلى أخرى، مثل ما فعلوا في نسخة (فولكات كليمنتين) (Vulgate clementine) سنة ١٦٢١ م وتوراة (والتون = walton) متعددة اللغات سنة ١٦٥٧م وفي العصر الحديث حذف الناشرون هٰذه القوائم

(١) ينظر: طبارة، روح الدين الإسلامي ص٢٥٩ - ٢٦٠. وخالد محمد علي الحاج، الكشاف الفريد ٢/ ٢٩٨ - ٢٩٩. وأنظر كذٰلك، محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم المدنية محمد علي صبح - القاهرة - ١٩٥٤.

(٢) العلمانية: اصطلاح يقصد به ما ليس دينياً أو كهنوتياً، ولعله من لفظ العالم، ينظر: أصولها إلى ردود الفعل الثورة مارتن لوثر في السنة ١٥٢٠ م على البابا وانتقاده الشديد له لبيعه صكوك الغفران للعصاة والخاطئين من المسيحيين مقابل مال كثير، فيضمن لهم دخول الجنة للمزيد: ينظر: خالد محمد علي الحاج، الكاشف الفريد ١/ ٧٢٧ وما بعدها.

(٣) الماسونية: جمعية سياسية وجدت في أوروبا لإزالة المستبدين من رؤساء الدين كالباباوات والملوك وكانت سرية والمؤسسون لها كانوا من اليهود والنصارى هم زعماؤها وهي من أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور وصهيونية النشاط وفي أهدافها السرية ضد الأديان جميعها، ينظر: السقا (محمد صفوت ...) وأبو جيب (أمين سعدي ...)الماسونية منشورات رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة ١٩٨٠ م ص١٨٠ - ١٨٤، ينظر أيضاً: أبي صادق، الماسونية بلا قناع، دار البصري بغداد ١٩٦٧ ص٢٦٤ وعبد الحليم إلياس الخوري، الماسونية ذٰلك العالم المجهول. دار العلم للملايين بيروت ص٢٢ وص١١٢.

(٤) ينظر: خالد محمد علي الحاج، الكشاف الفريد في معاول الهدم ونقائض التوحيد ١/ ٣٤٥ - ٣٨٣.

والتقديرات الوهمية لتعارضها مع المكتشفات العلمية المعطيات الحديثة التي حددت تاريخ خلق الإنسان الأول (آدم) بعصر سابق بكثير من الذي حدده الكهنة اليهود في القرن السادس فبل الميلاد في التوراة بسبعة أو ثمانية وثلاثين قرناً قبل المسيح فعرفوا أنه تقرير خاطئ بلا أي جدل[١]. فلهٰذه الأسباب وغيرها أتفق أكثر العلماء المعاصرين على أن التوراة كتبت بعد عدة قرون من عهد موسى عليه السلام[٢]. وبذٰلك نسفوا الثقة العمياء التي أعطوها لهٰذا الكتاب طويلًا[٣].ويرى علماء المسلمين أن التوراة هي ما أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام ليبلغه قومه كي يهتدوا، وأنهم لم يحفظوا جميع ما بلغوا به بدليل قوله تعالى: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾[٤]. حيث تناولوا التوراة بالنقد، وشككوا في نسبتها إلى موسى عليه السلام فلعل العالم الجليل ابن حزم الأندلسي، هو من أهم العلماء المسلمين الذين تناولوا هٰذا الموضوع بمزيد من البحث والدراسة. إذا كان له السبق والريادة في دراسة الأسفار المقدسة، دراسة نقدية تحليلية وافيه، د. محمد الشرقاوي إن دراسات ابن حزم، النقدية المبكرة قد استوجبت تقدير العلماء في الشرق والغرب وقد لخص ابن حزم آراءه النقدية بشكل كامل ووافٍ في كتابه الشهير: «**الفصل في الملل والأهواء والنحل**».

وفيه أثبت تحريف التوراة من عدة وجوه، هٰذه أهمها[٥]:

إحداها: ادعاء كل من اليهود والسامرية - وهي إحدى فرقهم - أن بأيديهم التوراة الصحيحة.

ثانيها: ما ذكر في التوراة من إساءات بالغة ومنكره في حق المولى عز وجل، من تشبيه وتجسيم، مما لا يليق بمقام الألوهية.

ثالثها: ما ورد في نصوص التوراة من معلومات خاطئة وتناقضات كثيرة.

رابعها: ما احتوته التوراة، من تشويه لأنبياء الله، من اتهامهم بفعل الفواحش

---

(١) ينظر: بوكاي، دراسة الكتب المقدسة.ص٥٠ - ٥١. (٢) ينظر: ناجي، المفسدون في الأرض.ص١٤.

(٣) المصدر نفسه ص١٥. (٤) سورة المائدة. الآية ١٣.

(٥) لمزيد من تفصيل ابن حزم لهٰذا الموضوع، يراجع: الفصل الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) القاهرة، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح ج١، ص٩٢ - ١١٤ وما بعدها.

والكفر، وغيرها من الموبقات، كل ذٰلك دفع الباحثين والعلماء قديماً وحديثاً، مسلمين وغيرهم - للتوقف والتساؤل عما إذا كانت التوراة - بنصها الحالي كتاباً مقدساً ووحياً من عند الله؟! ومن المعروف،أنه لكي يكون الكتاب - أي كتاب - مقدساً، لا بدله من شروط مهمة وهي:

١ - أهم هٰذه الشروط: أن يكون هٰذا الكتاب من عند الله سبحانه وتعالى.

٢ - أن يحتوي هٰذا الكتاب ما يتناسب مع جلال الله وعظمته، وقدسيته.

٣ - أن يكون كاتب هٰذا الكتاب أحد الأنبياء المعروفين،أن يقدم الدليل القاطع على ذٰلك.

٤ - أن يصل إلينا - هٰذا الكتاب - عن طريق السند المتصل، الموثوق به [(١)].

ولابد من التوجه إلية بالفحص والتدقيق، وتسليط ضوء النقد عليه، وإخضاعه بشكل دقيق لوسائل العلم وأدواته الفاحصة. إن الحديث عن عدم صحّة التوراة، وما يثار حولها من شكوك تطال زمن تدوينها، كتابها، وقيام هٰؤلاء الكتاب بالتحريف والتزوير والاختلاف، وذٰلك لكي تتناغم والشخصية اليهودية المريضة، وتتوافق ومخططات اليهود ضد الإنسان والحق والعدل على الأرض. ويرى رحمة الله بن خليل الهندي، أنها مجموعة من الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود، وقام أحبارهم بجمعها وتدوينها، دون أي نقد لهٰذه الروايات[(٢)].

***

(١) ينظر: يردان بدران، التوراة ... العقل ...العلم والتاريخ، (دمشق) ص٣١.

(٢) ينظر: رحمة الله بن خليل الرحمٰن الهندي/ إظهار الحق/ ١/ ١٠.

المبحث الرابع
بنو إسرائيل والتوراة

يسمى اليهود أنفسهم شعب التوراة، ولهٰذا يقرر باحثوهم أن أي شخص يفشل في دراسته للتوراة أو في التدريب على آدابها، يجب أن يدفع عن هٰذا الفشل احتقاراً وازدراء ينصب عليه من كل بني إسرائيل وعلى العكس من ذٰلك أولئك الذين برهنوا على مقدرتهم على استيعابها والانتفاع بأدبها ودراستها، فهٰؤلاء يكافؤون بشرف التقدير والاحترام من المجتمع الإسرائيلي كله، إن الإحاطة بالتوراة هي الجوهرة التي لا تقدر بثمن وهي ثروة بني إسرائيل وإذا فرض أن بني إسرائيل سلبت أموالهم وأمتعتهم وكل مصادر ثرائهم وبقت لهم التوراة ما بقيت لهم، وفي سبيل المحافظة على التوراة ورعايتها يرخص كل غالٍ ويهون كل صعب وإلٰه إسرائيل سيكون خير عون لشعبه إذا ما حافظوا على كتابه المقدس، وكل جهد يبذل من أجل التوراة ويكون نصيبه الفشل، فإن باذله لابد أن يكون متأكداً من حسن الثواب من الله، ومع هٰذا فخدمة التوراة ينبغي ألا تقدم نظير جزاء، بل ينبغي أن تكون متعة في نفسها وأن يترك الجزاء يجيء من نفسه من يهوه ومن شعب يهوه. ذٰلك هو إحساس اليهود تجاه التوراة وذٰلك هو ما يدور بخلدهم عن كتابهم المقدس[١].

ويقتبس (آرثر هركز بيرك) اقتباسات من الرياثين عن قيمة التوراة نورد هنا بعضها، لنظهر إلى أي مدى كانت أهمية التوراة عند بني إسرائيل (أرثرهركزبيرك)إن التوراة تضمن لدارسها بها أسمى مكانه في المجتمع الإسرائيلي، فإن التوراة عند بني إسرائيل كانت وجوداً ثانياً، وكانت دولة شامخة وروحانية رفيعة، تضاف أو تعني عن دولتهم الدنيوية، فقد أصبحت التوراة خلال مدة النفي مركزاً التف حوله بنو إسرائيل، وتبعوا إرشاداته في السر والعلانية، وإن المثل يقول:

(١) ينظر: مقارنة الأديان/ اليهودية/ د. أحمد شلبي/ ص٢٤١.

«إسرائيل والتوراة شيء واحد» ليس مجرد مثل سائر، ولا يستطيع غير بني إسرائيل، أن يدركوا كنهه، فمعنى التوراة في أهميته الوطنية لا يفهم لغير بني إسرائيل ومحتويات التوراة ليست فقط ديناً أو عقيدة أو أخلاقاً أو تشريعاً أو علماً بل ليست كل هٰذه مجتمعة، إنها شيء أكثر جداً من كل هٰذا عند بني إسرائيل، إنها حياتهم ودنياهم في الماضي والحاضر والمستقبل، والتوراة - في الفكر الإسرائيلي - الوسيلة والأداة التي خلق بها العالم، فيها ولأجلها خلق الإلٰه الدنيا، ولذٰلك فهي أقدم من هٰذا العالم، إنها أسمى فكرة وأنها الروح الحية للدنيا كلها، وبدونها ليس للدنيا بقاء، ودراسة التوراة أهم عند بني إسرائيل من بناء معبد والإلمام بها يضع صاحبه في مكانة أسمى من الكهنة ومن الملوك، ودارسها يضمن لنفسه النجاح، وبها يسمو الإنسان على كل البشر، ولو أشتغل بها فأنه يصبح في مكانة أسمى من مكانة الكاهن، والفاسق الأثيم إذا حفظها يأخذ مكانه أسمى من رجل الدين الذي يجهلها(١) واحتوت أسفار العهد القديم (التوراة) وعوداً مختلفة عند بني إسرائيل بتمليكهم فلسطين.

(أرض - الميعاد)، فجاءت الأخبار والقصص والشرائع في (العهد القديم) تدور حول هو (الأرض)، وتؤكد بإقامة (دولة يهودية) في فلسطين إنما هو تحقيق لنبؤات الكتاب المقدس وتعبير حي عن إرادة إلٰهية وردت على لسان أنبياء بني إسرائيل ورسلهم(٢) وقد تمسكت الصهيونية بهٰذه الوعود واتخذت منها أساساً وحججاً لتنفيذ خططها التوسعية في المنطقة العربية معتمدة بذٰلك على مساعدة الدول الاستعمارية التي جعلت من الصهيونية من أهم قواعدها في المنطقة كي تستطيع النفوذ من خلالها للسيطرة على الموارد الاقتصادية وموارد الطاقة التي

---

(١) Judaism: Arthur Herzeberg P.P ٧٢ - ٧٣.

(٢) ينظر: د. مراد كامل، إسرائيل في التوراة والإنجيل - معهد الدراسات العربية العالمية، (ط٢) دار المعرفة - القاهرة ١٩٦٧، ص ٦٣ - ٦٤، وينظر: د. جورجي كنعان: وثيقة صهيونية في العهد القديم ص٢٧ - ٢٨، وينظر: الفريدجيوم: الصهيونية في الكتاب المقدس: من كتاب إسرائيل في الكتاب المقدس لمجموعة من علماء اللاهوت، ترجمة حسني خشبة - معهد البحوث والدراسات العربية - قسم البحوث والدراسات الفلسطينية القاهرة ١٩٧٢ ص٢٧ وما بعدها.

تزخر بها المنطقة العربية(١).

واشتمل العهد القديم على كثير من الوعود والعهود الإلٰهية التي منحها الله نوحاً عليه السلام وأبناءه من بعده، وتورد التوراة هٰذه العهود بصورة مستمرة ومتكررة فتمنح بعض الأبناء حقاً دائماً لا ينقص وتحرم آخرين من هٰذا الحق بدون ذكر سبب أو علة لهٰذا المنح أو الحرمان(٢) بدأت عهود التوراة مع نوح عليه السلام ونسله حيث ذكرت أن الرب قد أبرم معه عهوداً متعاقبة شملت أيضاً بنيه ونسله، ولٰكنها جنحت إلى تخصيص العام وتقييد المطلق، وبدأت تميل إلى إخراج بعض أبناء نوح من الشمول في تلك العهود، وتحاول إخراجهم منها تحت أعذار عديدة كي تبعدهم من الاستفادة مما أصحاب إخوانهم، فتذرعت بغضب الرب، أو لعنته لبعض أبناء نوح، أو غير ذٰلك مما أفقدهم نصيبهم من تلك العهود تروي التوراة أن الله أقام عهداً مع نوح عليه السلام ونسله: «ولٰكن أقيم عهدي معك، فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك، ومن كل ذي جسد أثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستيفائها معك ذكراً وأنثى(٣) لقد اعترفت التوراة أن العهد مع نوح ونسله كان عاماً ومطلقاً: وكلم الله نوحاً وبنيه قائلًا: وها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم... وضعت قوسي في السحاب فتكون علاقة ميثاق بيني وبين الأرض...»(٤).

وناقضت التوراة نفسها حينما أخرجت حاماً من بين أخويه سام ويافث وجعلتهُ الابن الملعون بعد أن ألحقت به الفعل القبيح في عين أبيه فاستحق كما تذكر التوراة لعنة أبيه الذي دعا لهُ أن يكون عبداً لإخوتهِ(٥)، وحام بن نوح عليه السلام هو أبو كنعان الذي ينتسب إليه أصحاب أرض فلسطين (الكنعانيون) الذين أعتبرهم كتاب التوراة أبناء لابن الملعون، بينما هم قد أوصلوا نسبهم إلى سام بن نوح عليه السلام ليرتبط نسبهم بشخصية لها قدسيتها أي (إبراهيم) عليه السلام على عكس حام، وبذٰلك

(١) ينظر: د. مراد كامل، إسرائيل في التوراة والإنجيل، ص٢٤، ٦٣، ٦٤.

(٢) ينظر: د. جورجي كنعان، وثيقة الصهيونية في العهد القديم ص ٢٧ - ٢٨.

(٣) ينظر: تك: ٦: ١٨ - ١٩.

(٤) ينظر: تك: ٩: ٨ - ١٧.

(٥) ينظر: تك: ٩: ١٨ - ٢٧.

أرادوا أن يجعلوا أصلهم كريماً مختاراً بين شعوب الأرض تتدفق عليه البركات بينما العبودية واللعنة من نصيب الشعب والأمم الأخرى، وبهٰذا كانت تلك اللعنة وصمة عار يلقيها اليهود في وجه الذين يريدون إقصاءه وأبعاده من أية صلة بأرض فلسطين وكانت هٰذه اللعنة الأولى في التاريخ البشري التي جعلها اليهود مقياساً لهم للتمييز عن الشعوب والأمم[١]، وإبرام، أو إبراهيم كما تسميه التوراة[٢]، (هو من أجمع اليهود على اعتباره الأب الأكبر لعشائرهم جمعاً)[٣] وهو الحفيد التاسع من سلسلة أبناء سام[٤].

وقد ولد في مدينة أور الكلدانية التي تقع في أقصى الجنوب وهي اليوم قرب مدينة الناصرية جنوب العراق وتروي التوراة ولد بعد مرور(٣٥٠) عاماً على طوفان نوح عليه السلام، وعلى ذٰلك أن يكون ميلاده في العام (١٩٩٦) ق.م[٥]، وللتوراة في إحدى رواياتها أن إبراهيم أرتحل من (حاران) بعد موت أبيه الذي نسميه (تارح) متوجهاً بأمر الرب إلى (أرض كنعان)، وكان بصحبته زوجته ساراي (سارة) وابن أخيه (لوط) وما يمتلكون وكان عمره آنذاك (خمسة وسبعين) عاماً على ما ترويه التوراة[٦] (وقال الرب لإبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم أسمك وتكون بركة)[٧].

---

(١) ينظر: د. جورجي كنعان، وثيقة الصهيونية في العهد القديم ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) ينظر: تك: ١١: ٢٧ ، وتك ١٧: ٥، ٦.

(٣) ينظر: محمود نعناعة: المشكلة اليهودية، وهل تحلها إسرائيل، الجزء الأول، المكتبة الأنجلو - مصرية، القاهرة ١٩٧٢، ص٧٠.

(٤) ينظر: د. جورجي كنعان، وثيقة الصهيونية في العهد القديم ص٢٩، ونسب إبراهيم كما وردته التوراة هو إبراما بن كارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أزمك شاد بن سام: ١١، ١٠ - ٢٦.

(٥) ينظر: محمود نعناعة: المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟ ص٧٠، والذي يشير إلى أن مدينة أور كانت مركزاً كبيراً لعباده القمر حيث كان يعبده أبو إبراهيم وبنوه، أكدت ذٰلك المكتشفات الآثارية في كل من (تل الحريري) و(توزي) والتي أفادت بأن قصة تمثل حياة القرنيين الثامن عشر والسابع عشر ق.م.

(٦) المصدر نفسه/ ص٧١.
(٧) ينظر: تك: ١٢: ١ - ٣.

الفرع الأول: إبراهيم والوعد:

جاء أول وعد صريح بإعطاء فلسطين (أرض - كنعان) لنسل إبراهيم عليه السلام حينما كان في شكيم (نابلس حالياً)[١] كما جاء في سفر التكوين (وأجتاز إبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مودة، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض، وظهر الرب لإبرام وقال:

لنسلك أعطي هٰذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له، ثم نقل من هناك إلى الجبل الشرقي بيت أيل ونصب خيمته، وله بيت أيل من المغرب وعاي من المشرق فبنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب، ثم أرتحل إبرام ارتحالًا متوالياً نحو الجنوب[٢].

ثم تكرر وعد الرب لإبراهيم عليه السلام ثانيه بعد خروجه من مصر وانفصال لوط عليه السلام عنه.

فقد ذكرت التوراة: وقال الرب لإبرام: بعد اعتزال لوط عليه السلام عنه. أرفع عينيك وأنظر من الموضع الذي أنت فيه شمالًا وجنوباً وشرقاً وغرباً. لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد. وأجعل نسلك كتراب الأرض حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يعد.

قم أمشِ في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيها)[٣]، وتشير التوراة أن الرب قد أكد وعده لإبرام حين تكلم معه في أرض كنعان (وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور والكلدانيين ليعطيك هٰذه الأرض لترثها)[٤].

تدرجت التوراة في إبراز الوعد الإلٰهي لإبراهيم عليه السلام، فأخذت مراحله تتضح شيئاً فشيئاً فأصبحت تشير إلى وعود الرب بالعهود أو المواثيق، فتحددت معالمه

---

(١) ينظر: د. مراد كامل: إسرائيل في التوراة والإنجيل، ص٢٤، وينظر: الفريد جيوم: الصهيونية في الكتاب المقدس: في الكتاب المقدس: من كتاب إسرائيل في الكتاب المقدس. ترجمة حسني حبشه ص٢٨

(٢) تك ١٢: ٦ - ٩.

(٣) تك ١٣: ١٤ - ١٧.

(٤) تك ١٥: /

واتضحت حدوده حيث جاء فيها (في ذٰلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلًا: لنسلك أعطي هٰذه الأرض من نهر مصر إلى نهر الكبير نهر الفرات، (القينيين، والقنزميين، والقدمونيين، والحيثين، والفرزيين، والرفائيين، والأموريين، والكنعانيين، والجرجاشيين، واليبوسيين)[(١)].

ويلاحظ أن العهد قد بدأ أكثر وضوحاً وحمل إشارة صريحة وواضحة لتحديد الأرض الموعودة وأصبح كالميثاق قوة، ولو أن الوعد لم يزل لغاية تلك الفترة وعداً غيبياً لانعدام وجود أحد الطرفين المتعاهدين وهو (نسل إبراهيم عليه السلام) الذي لم ير النور بعد؟[(٢)]، وحينما عقد إبراهيم عليه السلام عهداً مع الرب باختتانه، وعده الرب بجميع أرض كنعان (ملكاً أبدياً) له ونسله من بعده (وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم أبدياً. لأكون إلٰهاً لك ولنسلك من بعدك، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلٰههم[(٣)]، وقد جعل الرب ختان الذكور من نسل إبراهيم هو علامة العهد بينه وبينهم كما تروي التوراة[(٤)].

تعاقبت الوعود الإلٰهية وتتابعت كما تصورها التوراة، فقد أكد الرب وعده لإبراهيم عليه السلام بسبب فداء إسحاق فقد جاء فيها (أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت قولي)[(٥)].

الفرع الثاني: تحويل الوعد ليعقوب:

أوردت التوراة نصوصاً كثيرة تشير إلى تحويل الوعد ليعقوب حيث إن الوعود والعهود المقطوعة لإبراهيم ونسله وجعلها قاصرة على شمول إسحاق فقط

---

(١) تك ١٥: ١٨ - ٢٠.

(٢) ينظر: د. مراد كامل: إسرائيل في التوراة والإنجيل، ص٢٥، ومحمود نعنانة: المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟ ١/ ٨٦.

(٣) تك ١٧: ٧ - ٨. وما بعدها.

(٤) عن التزام اليهود بعاده الختان يقول الحاخام (هرتس): (أن ولاء بني إسرائيل للاختتان كنظام حيوي وأساسي في الدين اليهودي واحتفاظهم به وتمسكهم به لا يعرف.

(٥) تك: ٢٢: ١٧ - ١٨.

دون إسماعيل عليه السلام أو غيره، فحاولت تلك النصوص تخصيص الحكم العام الذي يميز ما قطع لإبراهيم من عهود إلٰهية.

فذكرت التوراة أن الله تجلى لإبراهيم عليه السلام وأمره بالاختتان كسنة مستمرة له ولنسله وعلامة عهد بينه وبينهم فقال الرب لإبراهيم عليه السلام (... بل سارة امرأتك تلد لك أبناً وتدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده، وأما إسماعيل فقد سمحت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً أثني عشر رئيساً وأجعله أمة كبيرة، ولٰكن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هٰذا الوقت من السنة الآتية)[1].

ويستفاد من هٰذه النصوص أن إسحاق بن إبراهيم من زوجته سارة قد أختص بالعهد دون إسماعيل الابن البكر لإبراهيم عليه السلام من زوجته «هاجر»، وتروي التوراة في عدة مواضيع من أسفارها أن الله قد أكد اختصاص إسحاق بوعوده دون غيره حيث أن الرب ظهر لإسحاق عند ارتحاله إلى أبي مالك ملك الفلسطينيين في جرار عند اشتداد الجوع والقحط أرض كنعان (وظهر الرب وقال لا تنزل إلى مصر أسكن في الأرض التي أقول لك، تغرب في الأرض فأكون معك وأبارك لك ولنسلك أعطي جميع هٰذه البلاد وأني بالقسم الذي أقسمته لإبراهيم عليه السلام أبيك، وأكثر نسلك كنجوم السماء، وأعطي نسلك جميع هٰذه البلاد، ونتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أن إبراهيم عليه السلام سمع قولي وحفظ لي أو أمري وفرائضي وشرائعي. فأقام إسحاق في جرار)[2].

أكد الرب وعده لإسحاق عندما ظهر له مره أخرى حين ارتحاله من جرار إلى بئر السبع حيث أقام فيها كما تروي التوراة[3].

الوعد ليعقوب عليه السلام:

هيأت التوراة المناخ النفسي الملائم لتحويل الوعد إلى يعقوب عليه السلام دون غيره من أبناء إسحاق فذكرت أن الله تجلى لرفقة زوجة إسحاق عند تزاحم التوأمين

---

(١) تك: ١٧: ١٩ - ٢١.
(٢) تك: ٢٦: ٢ - ٦.
(٣) تك: ٢٦: ٢٤ - ٢٥.

في بطنها (فقال لها الرب في بطنك أمتان، ومن أحشائك يفترق شعبان، شعب يقوي على شعب كبير يستعبد صغيراً)[١].

وأنجبت رفقة ولدين سمي الأول (عيسى) وقد حكم عليه (يهوه) أن يكون عبداً لأخيه مستعبداً له وسمي الثاني (يعقوب) الذي جعلته التوراة المتمتع الوحيد الوصيد بالوعد الإلٰهي واختصته وذريته بمكاسب هٰذا الوعد دون غيره من أخوته، حيث سلكت التوراة في تحويل العهد إليه الحيلة والمخادعة كي، يحصل على مباركة أبيه وتمليكه أرض كنعان[٢].

فبارك إسحاق يعقوبَ بعد أن سلك الأخير أبشع الطرق في الغش والاحتيال والمخادعة، فكانت مباركة إسحاق له قد تحققت (فليعطك الله من ندى السماء، ومن دسم الأرض، وكثمرة حنطه وخمر ليستعبد لك شعوب وتسجد قبائل، وكن سيداً لأخوتك وليسجد لك بنو أمك، وليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين)[٣].

أما نصيب «عيسو» من الوعد فكانت دعوة إسحاق التالية «... بلا دسم الأرض يكون مسكنك وبلا ندى السماء من فوق، وبسيفك تعيش، ولأخيك تستعبد، ولٰكن يكون حينما تجمع أنك تكسر نيره من عنقك»[٤]، كذٰلك أكد إسحاق مباركة يعقوب عند ارتحال يعقوب إلى فدان أدام ليتزوج من بنات خاله (لا بان)، (والله القدير يبارك ويجعلك مثمراً ويكثرك فتكون جهوداً من الشعوب ويعطيك بركة إبراهيم لك ولنسلك معك. لترث أرض غربتك التي أعطاها الله لإبراهيم)[٥].

وتابعت التوراة اهتمامها وتركيزها على محور الأرض واختصاص يعقوب بملك رقيتها بما أوردت من عهود متكررة قطعت له حيث ظهر له الرب عند خروجه من بئر السبع إلى حاران ومنحه الأرض بقوله: (... الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك، ويكون نسلك كتراب وتمتد غرباً وشرقاً وشمالًا وجنوباً، ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض)[٦].

---

(١) تك: ٢٥: ٢٣.
(٢) تك: ٢٥: ٢٩ - ٣٣، وتك ١ - ٢٧.
(٣) تك: ٢٧: ٢٨ - ٢٩.
(٤) تك: ٢٧: ٣٩ - ٤٠.
(٥) تك: ٢٨: ٣ - ٤.
(٦) تك: ٢٨: ١٣ - ١٤.

وأكدت التوراة المواعيد ليعقوب بعد زواجه بنتي خاله (لا بان) في منطقة قدان آوام[١]، وفي أثناء رجوعه من تلك المنطقة (هاران) أمره الرب بإبدال اسمه إلى (إسرائيل) بعد مصارعة طويلة عند مخاضه (يبوق) بين يعقوب وملاك إلٰهي على صورة البشر[٢].

الفرع الثالث:

نقض الادعاءات الصهيونية في تخصص يعقوب ونسله بالوعد الإلٰهي، رغم تواتر نصوص التوراة وتأكيدها على تمليك أرض فلسطين (أرض - الميعاد)، ومحاولة كتاب التوراة تطويع مختلف نصوصها تبعاً لأهدافهم وخدمة لأطماعهم التوسعية في الاستحواذ على الأرض وحرمان أصحابها الشرعيين من التمتع بحقهم في امتلاك أرضهم وممارسة السيادة عليها، تهافتت هٰذه الادعاءات في ضوء الحق والعدل والقانون ورفضها أيضاً المنطق السليم والعقل المتزن. ويستدل على بطلان هٰذه الادعاءات بما يلي:

١ - لفظة (لنسلك)[*]:

تشمل (مسلمين ومسيحيين) فهم نسل إبراهيم عليه السلام عن طريق ابنه البكر (إسماعيل) من هاجر المصرية، والذي إليه تنتسب كثير من القبائل العربية باعتراف التوراة ذاتها[٣]، وبهٰذا يشمل الوعد جميع نسل إبراهيم عليه السلام بلا استثناء ويدخل ضمنه أيضاً أبناء إبراهيم من زوجته (قطورة) والذين كانوا يؤلفون كثيراً من القبائل العربية شمال الجزيرة[٤].

وقد اعترفت التوراة بصريح العبارة باعتبار إسماعيل من ذرية إبراهيم ونسله إذ جاء فيها (وابن الجارية هاجر) أيضاً (أجعله أمه لأنه نسلك)[٥] فكان وعد الله لإبراهيم ونسله وعدا عاماً شاملًا غير قابل للتجزئة يتمتع أبناء إسماعيل فيه بالحقوق كافة أسوة بإخوانهم أبناء إسحاق دون تمييز بينهم لأنهم جميعاً بحق ذرية

---

(١) تك: ٣١: ٣، ١٣، ١٨.
(٢) تك: ٣٢: ٢٢ - ٢٩، تك ٣٥: ٩ - ١٣.
(*) (لنسلك أعطي هٰذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات) تك: ١٥: ١٨ وما بعدها.
(٣) تك: ٢٥: ١٣: ١٦.
(٤) تك: ٣٥: ١ - ٤.
(٥) تك ٢١: ١٢.

إبراهيم ونسله، وقصر العهد على إسحاق ويعقوب تخصيصاً لا مبرر له وتقييداً لا موجب يستلزمه كي يحمل الكلام عليه[(١)].

ولهٰذا يبقى الكلام يحمل على العموم وحتى ولو تم تخصيصه فأن الوعد الإلٰهي ينفي (الوعد الأول الذي أشتمل بالضرورة على نسل إسماعيل وإن كان بعد ذٰلك في زمن إسحاق ويعقوب قد ضاق نطاق هٰذا الوعد فقصر على نسلهما إلّا أنه لم يستبعد صراحة إخوانهم العرب[(٢)].

٢ - إن عهد الختان الذي أبرمه الرب مع إبراهيم ووعده بموجب هٰذا العهد بإعطائه ونسله من بعده (أرض كنعان ملكاً أبدياً، كان هٰذا العهد أيام (إسماعيل) الذي جرى له الختان وكان عمره عندما ختن حوالي ثلاث عشرة سنه، أما إسحاق فقد كان مولده بعد مضي عام كامل من وضع علاقة الختان بين إبراهيم وربه)[(٣)]، وقصة الغداء التي أوردتها التوراة والتي آمر الله فيها بذبح ابنه إسحاق - كما تقرر التوراة موضع شك ونقاش فما ورد في التوراة (خذ أبناء وحيدك الذي تحبه إسحاق وأذهب إلى أرض المرتا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك)[(٤)].

ويعارضه الكثير من الباحثين وينقضه التسلسل التاريخي، إذ أن إبراهيم لم يكن له ابن غير إسماعيل عند عودته من مصر إلى (أرض كنعان) وقبل أن يذهب إلى الجزيرة العربية، حيث أنه لم يرزق بولد ثان طول تلك الفترة[(٥)].

ويمكن أن نستخلص من خلال استعراض الوعد التي تضمنتها نصوص التوراة المختلفة، إن تلك الوعود وخاصة المقطوعة منها لإبراهيم كانت عامة تشمل جميع

---

(١) د. مراد كامل: إسرائيل في التوراة والإنجيل، ص٢٦، والفريد جيوم، الصهيونية في الكتاب المقدس من كتاب: إسرائيل في الكتاب المقدس، ص٢٩. وينظر: إبراهيم العابد: دليل القضية الفلسطينية، أسئلة وأجوبة، ص١٣ - ١٨.

(٢) ينظر: الفريدجيوم: الصهيونية في الكتاب المقدس، ص٢٩.

(٣) تك: ١٧: ٧ - ٨، ٢٦ - ٢٧. وينظر: محمود نعنانة: المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل، ١/ ٨٧. والفريدجيوم: الصهيونية في الكتاب المقدس من كتاب إسرائيل في الكتاب المقدس ص٢٩. د. مراد كامل، إسرائيل في التوراة والإنجيل، ص٢٦.

(٤) تك: ٢٢: ٢. وما بعدها.

(٥) ينظر: صابر أبو طعيمة: اليهود بين الدين والتاريخ، ص٥٠.

ذرية إبراهيم إلَّا أنها قد ضاق نطاقها في زمن إسحاق ويعقوب وقصرت على نسلها، حيث تم حرمان إسماعيل وذريته منها، وهٰذا الحرمان تم بأمر الرب كما تدعي التوراة ثم ازدادت العهود ضيقاً فتم حرمان (عيسو) من مشاركة أخيه يعقوب وأبعد بكلام من أبيه إسحاق الذي بارك يعقوب دون (عيسو)[١]. وأختص يعقوب بمكاسب تلك الوعود دون غيره من ذرية إسحاق فقد توصلت التوراة إلى أن الرب ظهر في عدة مواضع وباركه وخصه بميراث الوعود الممنوحة لإبراهيم وإسحاق[٢]، أي أن يعقوب وذريته هم الذين ورثوا عهود الله ومواثيقه دون غيرهم من نسل إبراهيم.

إلَّا أن هٰذا التخصيص لم يكن يخرج العرب نسل إسماعيل من عموم حكم الوعد الممنوح لإبراهيم[٣].

لقد روض كتاب التوراة ومدونوها لصالحهم وطوعوها مع غاياتهم وأهدافهم حينما جعلوا الاستفادة من الوعود قاصرة على يعقوب الذي ينسبون أنفسهم إليه، وهم إن حرموا إسماعيل ونسله منها بسبب بنوته (الجارية) كما يدعون فلماذا حرم (عيسو) من حقه الشرعي في تلك الوعود علماً أنه أخ شقيق ليعقوب وليس ابن جارية؟ كما أن عيسو لم يغضب الله عليه كي يعاقبه بحرمانه من حقه في تلك العهود، فقد أوردت التوراة الكثير من النصوص التي تشير إلى رضا الرب عن إسماعيل وعيسو[٤]، منها على سبيل المثال (أباركه وأنمه وأكثره)[٥]. وجميع ذٰلك يؤكد تهافت الادعاءات الصهيونية ويبطل أسانيدها وذرائعها في الوعود التي حملتها التوراة، حيث أن الديانات السماوية اللاحقة للديانة اليهودية (المسيحية والإسلامية) قد ناقضت ما يدعيه اليهود من حق بامتلاك فلسطين على إنها (أرض - الميعاد) التي وعد اليهود بها دون غيرهم فيذهب الجمهور من المسيحيين ومنهم طوائف الكاثوليك إلى تفسير هٰذه الوعود بأنها (في حقيقتها رموز مادية لمعان

---

(١) تك: ٢٧: ٢٨-٢٩، ٣٩-٤٠. (٢) تك: ٢٨: ١٣، ١٤. تك: ٣١: ٣. تك: ٣٥: ٩-١٣.

(٣) ينظر: محمد إسماعيل السيد: مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين - دراسة في إطار القانون الدولي العام عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٥م، ص٦٧. وينظر: الفريدجيوم: الصهيونية في الكتاب المقدس - من كتاب إسرائيل في الكتاب المقدس، ص٢٩.

(٤) ينظر: د. محمد إسماعيل السيد: مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين، ص٦٧.

(٥) تك: ١٧: ١٨ - ٢١، وتك: ٢٥: ٢٨.

روحية بعيدة عن الدلالات الظاهرة التي تبدو في حرفية التفسير)[١] وهم بذلك يعارضون اليهود والبروتستانت من المسيحيين الذين يلتزمون بالمعنى الحرفي في تفسير نصوص التوراة[٢]. ويسند المسيحيون الكاثوليك فيما ذهبوا إليه اعتماداً على ما جاء به الإنجيل في اعتبار جميع المؤمنين هم من نسل إبراهيم وذريته[٣].

وأكد القرآن الكريم إن الانتساب لإبراهيم لم يك القصد منه احتلال أرض وقهر شعوب وإنما (إتباع منهجه في الطريق إلى الله، وممارسة ما كان يقوم به عبادة الله وما يلزم به طهر وتقرب ونقاء)[٤].

٣ - إن فلسطين لم تكن وطن بني إسرائيل بل أنها كانت أرض غربة لكل من آل إبراهيم، وآل إسحاق، وآل يعقوب، وقد اعترفت التوراة بأنهم كانوا غرباء طارئين عليها[٥]. فإبراهيم عليه السلام ينتسب إلى القبائل الآرامية العربية التي كانت تقطن منطقة (آرام النهرين) أي منطقة حاران (حران الحالية) وقد ولد في (أور الكلدانية) في جنوب العراق من بابل بعد انتقال قبيلته إليها من حاران، مكان إبراهيم الخليل من ذريتها، انتقل بعد مفارقة أهل بيته وعشيرته إلى حاران (حران) ومنها إلى (أرض كنعان) فراراً بدينه[٦]، ولقد أفاضت التوراة بذكر كلمة (الاغتراب) مقرونة بتنقل إبراهيم الخليل في فلسطين وفي مصر، فجاء فيها (تغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين)[٧].

و(أنحدر إبراهيم إلى مصر ليتغرب هناك)[٨]. و(أنتقل إبراهيم إلى أرض

---

(١) ينظر: عبد السميع الهراوي: الصهيونية بين الدين والسياسة، ص٢١٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٢١١.
(٣) الرسالة إلى أهل غلاطية، ٣: ٢٦ - ٢٨.
(٤) ينظر: د. صابر طعيمة: ينو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم، (ط١)، عالم الكتب - بيروت، ١٩٨٤م، ص١٩.
(٥) ينظر: د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص٢٣٠.
(٦) المصدر نفسه ص٢٥٢. وينظر: نعوم بك شقير، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها. مطبعة المعارف بمصر - القاهرة، ص٤٤٥. وينظر: أيضاً محمد صبيح حمدان: القدس ومعاركنا الكبرى دار الشعب - القاهرة الجزء (١)، ص١٩ وص٢١، ٣٠، ٣١.
(٧) تك: ٢١: ٣٤.
(٨) تك: ١٢: ١٠.

الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار)[١]. وعند شرائه مغارة (المكفيله) من صاحب تلك الأرض (عفرون بن صور الحثي) قال إبراهيم للحثيين (أنا غريب ونزيل عندكم. أعطوني ملك معكم لأدفن ميتي من أمامي)[٢].

لقد أكدت التوراة أن فلسطين لم تكن وطناً لبني إسرائيل بل أنهم كانوا غرباء طارئين عليها أن لا تربطهم بهٰذه الأرض صلة أو حق امتلاك، فموطنهم الأصلي منطقة (حران) الآرامية التي سكنتها العشائر الآرامية وهم من فروعها[٣]. كما أن إسحاق ويعقوب لم يمتلكا أي جزء من أرض فلسطين التي كانت أرض غربة لإبراهيم (وجاء يعقوب إلى إسحاق أبيه إلى حران حيث تغرب إبراهيم)[٤]. (وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه أرض كنعان)[٥].

ولقد ولد أبناء يعقوب (إسرائيل) الاثنا عشر في منطقة فدان آرام (حران)[٦]، حيث مكث يعقوب هناك عشرين سنة، وبذٰلك كان مولدهم ونشأتهم خارج فلسطين[٧]، وعاشوا في مصر مع أخيهم يوسف في كنف الهكسوس.

يرى الباحثون أن عصر إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، كان عصراً مستقلًا بذاته له مقوماته وقوميته ولغته، حيث أن إبراهيم الخليل عاش في القرن التاسع عشر ق.م ولم يتكلم اللغة الآرامية وهي اللغة التي تكلم بها الكنعانيون، وتكلم بهٰذه اللغة إسحاق ويعقوب والأسباط (أبناء يعقوب، وكان إبراهيم يدعو إلى التوحيد وعبادة

---

(١) تك: ٢٠: ١.

(٢) تك: ٢٣: ٤، وقارن مع إصحاحات سفر التكوين التالية ١٧: ٧ - ٨ و٢٤: ٧، ٣٨، ٤٠ و٢٨: ٤ و٣٥: ٢٧ و٣٦: ٧ و٣٧: ١ و٤٧: ٩.

(٣) ينظر: د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص٢٣١.

(٤) تك: ٣٥: ٢٧.

(٥) تك: ٣٧: ١.

(٦) تك: ٣٥: ٢٣ - ٢٦.

(٧) **أبناء يعقوب: اثنا عشر ولداً وهم:**
- **أبناء ليئة:** روبين، شمعون، لاوي، يهوذا، يساكر، وزوبولون.
- **أبناء راحيل:** يوسف، وبنيامين.
- **أبناء بلهه جارية راحيل:** وان، ونفتالي.
- **أبناء زلفه جارية ليئة:** جاد، وأشير. ينظر: تك: ٣٥: ٢٣ - ٢٦.

الإلٰه خالق السماوات والأرض)، الإلٰه (أيل). والذي كان يؤمن به كثير من الآراميين والكنعانيين وآمن به يعقوب وأبناؤه، ولهٰذا اشتقت لفظة (الخليل) من (خل) أي حبيب و(أيل) أي الإلٰه، واللفظة تعني حبيب الإلٰه أيل[1]. كذٰلك اشتق كثير من الأسماء الأخرى من لفظه الإلٰه (أيل)، وأغلب الأسماء الواردة في التوراة هي أسماء مشهورة عند الآراميين مثل إبراهيم، ويعقوب، وبنيامين، وزبولون، وإسرائيل[2].

إن إبراهيم الخليل نادى بعقيدة التوحيد قبل ظهور موسى بحوالي سبعمائة عام تقريباً وأن دعوته هٰذه هي التي ألجأته بوحي من الله بالهجرة من العراق ولا صلة لها بهجرة موسى من مصر للفارق الزمني بين الهجرتين[3].

الفرع الرابع: موسى (عليه السلام) والعهد:

حيث حاول كتاب التوراة ومدونوها تثبيت عقيدة الأرض الموعودة، على لسان إبراهيم وإسحاق ويعقوب ثم موسى، فتعمدوا الخلط بين الحقب التاريخية وأهملوا التسلسل الزمني فربطوا العصور الزمنية بعضها ببعض متوخين بذٰلك إرجاع تاريخ اليهود إلى عصور لم يكن لهم فيها وجود يذكر، إذ إن عصر إبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليه السلام) عصر مستقل ترجع أحداثه إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر ق.م، وله خصائصه المميزة فهو عصر ديانته وخدانية إبراهيم ولغته عربية سامية بينما عصر موسى الذي يبدأ من خروجه من مصر صوب فلسطين فتعود أحداثه إلى القرن الثالث عشر ق.م، أي بفاصل زمني يزيد عن ستمائة عام. وهي فترة طويلة تفصل هٰذين العهدين اختلفت فيها الأحوال وانعدمت فيها الصلة[4]، ولٰكن حاولت نقل الوعود الإلٰهية الممنوحة لإبراهيم إلى موسى بعد أن حصرتها في إسحاق ويعقوب دون غيرهما من نسل إبراهيم، فذكرت أن الرب تجلى لموسى بعد أن تنهد

---

(١) ينظر: د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ: المقدمة ص وو، ز ز.

(٢) من الألفاظ المشتقة لفظة (إسرائيل) فهي مؤلف من (أسر) ومعناها عبد و(أيل) ومعناها إلٰه إبراهيم فيكون معنى اللفظ (عبد الإلٰه). وينظر: د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص ٣٢٤ (الهامش).

(٣) ينظر: د. أحمد سوسه: المصدر السابق نفسه، ص٢٥٤، ٢٦٦، ٢٦٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه/ ص١٥٩ - ١٦٠، ٢٣٢. أحمد سوسةسسس

بنو إسرائيل وصرخوا طالبين من الله الخلاص (فسمع الله أنينهم وتذكر ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب)(١).

وكلم الله موسى بإعطائه فلسطين (أرض - الميعاد) بعد إخراج بني إسرائيل من مصر (... أنا إلٰه إبراهيم إلٰه أبيك إلٰه إسحاق وإلٰه يعقوب... إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. إني علمت أوجاعهم. فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة واسعة - إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً. إلى مكان الكنعانيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسبيين)(٢).

وتروي التوراة أن الله قد أكد العهد مع موسى وبني إسرائيل بإعطائهم أرض كنعان (ثم كلم الله موسى وقال له: أنا الرب... وأنا أخرجكم من أثقال المصريين وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلٰهاً... وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وأعطيكم إياها ميراثاً أنا الرب)(٣).

وأشارت التوراة إلى أن قوم موسى هم سلالة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وهم بنو إسرائيل نسل إبراهيم الذي أعطاهم الله أرض كنعان(٤)، كما أنها تروي أمر موسى لقومه بدخول أرض كنعان حيث حدد لهم حدود (دولتهم المزعومة) فقال لهم (الرب إلٰهنا كلمنا في حوريب(٥) قائلاً: كفاكم قعود في هٰذا الجبل، تحولوا وارتحلوا وأدخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر. أرض كنعان ولبنان إلى النهر الكبير الفرات... ادخلوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم ودعا موسى بني إسرائيل - كما تروي التوراة - إلى الالتزام بوصايا الرب لعبور الأردن ودخول أرض كنعان بقيادة يشوع بن نون الذي أختاره موسى لخلافته في قيادة بني إسرائيل وأخبره بأنه هو الذي سيتولى عملية الغزو ودخول أرض كنعان، حيث أن الرب قد أخبره بأنه لن يعبر نهر الأردن أو يدخل أرض كنعان، لذٰلك أوصى

(١) خر: ٢: ٢٤.
(٢) خر: ٣: ٦ - ٨. وقارن مع خر ٣: ١٦ - ١٧.
(٣) خر: ٦: ٢ - ٨، خر: ٢٣: ٢٣، خر: ٢٤: ٣١ - ٣٣، خر: ٣٢: ١٣.
(٤) خر: ٣٣: ١.
(٥) حوريب: اسم جبل في سيناء.

موسى يشوع كيفية دخول تلك الأرض[١].

يشوع والعهد:

انتقلت التوراة بالعهد الداعية لاحتلال أرض كنعان والاستيلاء عليها إلى يشوع بن نون خليفة موسى في قيادة بني إسرائيل، وذكرت إن الرب ظهر ليشوع وأمره بالاستيلاء على مناطق عديدة من أرض كنعان (فالآن قسم أعبر هٰذا الأردن أنت وكل هٰذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم. كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى. من البرية ولبنان هٰذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحيثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم[٢].

ويتحدث سفر يشوع في معظم إصحاحاته عن خطط بني إسرائيل وأهدافهم ومعاركهم مع سكان البلاد، وتقسيم الأرض بين أسباطهم[٣].

لقد استطاع يشوع بن نون قيادة قوم موسى فأحسن القيادة، وتمكن بفضل باعته وحنكته ودهائه عبور نهر الأردن، والاستيلاء على بعض المدن والقرى الفلسطينية مستفيداً من ضعف تلك المناطق نتيجة الانقسامات والصراعات فيما بينها، فأخضع العديد من المدن في جنوب وشرق فلسطين. ولم يتمكن من التوغل شمالًا وغرباً لحصانة تلك المدن وقوة أهلها الفائقة وتدريعهم وحصانة مدنهم[٤]. وقد استخدم يشوع عند دخوله تلك المدن مختلف الأساليب الوحشية والإرهاب والقسوة والبطش والقتل والإبادة الجماعية للرجال والنساء والأطفال والحيوانات، واستخدم النساء العاهرات للتجسس فكانت مذابحه رهيبة، ومعاملته لأهل البلاد المفتوحة في غاية الوحشية والقسوة، وبهٰذا يكون (يشوع) هو أول من أرسى التقاليد العسكرية الإسرائيلية الإرهابية التي استخدمها القادة الإسرائيليون في معاملة عرب فلسطين وطبقوا الأساليب التي فعلها (يشوع)[٥].

---

(١) تث: الإصحاحات: ٣١:، ٣٤: ١ - ٤.

(٢) يش: ١: ٢ - ٤.

(٣) يش: ١٣: ١ - ٦.

(٤) ينظر: د. أحمد سوسه: العرب واليهود في التاريخ، ص٢٩٢. وينظر: محمد مصباح حمدان: الاستعمار والصهيونية العالمية، ص٢٤.

(٥) يش: ٦: ٢ - ٢١. وما بعدها.

وأشارت إليها التوراة في السفر المسمى بسفر (يشوع)[١]، ويرى الباحثون أن (يشوع) لم يستطع فرض السيادة الكاملة على أرض كنعان، حيث أن المدن الغربية والشمالية ظلت بعيدة عن الغزو الإسرائيلي، وأن النجاح الجزئي الذي صادفه (يشوع) أول مرة لم يكن إلَّا نجاحاً قليلًا ولٰكنه استمر أجيالًا، وتم وجه التحقق باستيلاء الملك داود على أورشليم[٢].

إن ما حققه (يشوع) من احتلال بعض المناطق وفتحها بالإرهاب والقوة قد عاد إلى التفكيك والانهيار واستقل كثير من المدن العربية في عهد (القضاة) الذي آلت فيه زعامة القبائل الإسرائيلية إلى زعماء عرفوا باسم (القضاة) واستمر لقرن كامل (١١٢٥ - ١٠٢٥)[٣] ق.م.

واتسم بالفوضى والاضطرابات والخلافات والنكبات، فصارت البلاد مجزأة منقسمة على نفسها، حيث استطاع الكثير من المدن والقبائل أن يستعيد استقلاله الذاتي[٤] كما إنها استطاعت إخضاع الإسرائيليين لسيطرتها وحكمها قبيل وخلال هٰذا العهد (القضاة) بعد معارك جرت بين الطرفين كانت الغلبة فيها للكنعانيين والفلسطينيين[٥]. كذٰلك لم يتمكن الإسرائيليين توسيع دائرة نفوذهم أو فرض نوع من السيطرة على الفلسطينيين وإنما شاركوهم السكن في البلاد باعتراف التوراة ذاتها[٦].

---

(١) ينظر: د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية العدائية، سلسلة عالم المعرفة (١٠٢) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - مطبعة الرسالة ١٩٨٦م، ص١٧١.

(٢) ينظر: د. صبري جرجس: التراث اليهودي والفكر الفرويدي، ص٢٧. وينظر: د. أحمد سوسه العرب واليهود في التاريخ، ص٢٩١. والسيرجون أ. هامتن: تاريخ العالم - المجلد الثاني (ط٢)، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٥٩م، ص١٥٢.

(٣) ينظر: د. أحمد سوسه: العرب واليهود في التاريخ، ص٢٩٢.

(٤) ينظر: مكاريوس: تأريخ الإسرائيليين ص١٩. نقلًا عن د. محمد سيد طنطاوي بني إسرائيل في القرآن والسنة ج١، ط١، القاهرة ١٩٦٨م، ص ٣٤. ومحمد أديب العامري: عروبة فلسطين في التاريخ - الحقائق التاريخية والمكتشفات الأثرية تجاه المزاعم الصهيونية، المكتبة العصرية - بيروت، ١٩٧٢م، ص١٣٨.

(٥) ينظر: د. سامي سعيد الأحمد: الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية، مطبعة الإرشاد - بغداد، ١٩٦٩م ص٢٣. ود. أبلين بيتي: أزيلوا إسرائيل هٰذا هو الحل، دار العلم للملايين - بيروت (ط١)، ١٩٥٧م. ود. أحمد سوسه: العرب واليهود في التاريخ ص٢٩٣.

(٦) قض: ٣: ٥ - ٦.

ولم يتمكنوا في عهد ملوكهم الذي ابتدأ بشاؤول[١] (طالوت) من احتلال الأراضي الفلسطينية، إلَّا أن شاؤول وضع الأسس لمملكة يهودية شملت أواسط وجنوب فلسطين وجزء من شرقي الأردن، لأنه لم يتمكن من بسط سلطانه على كامل الأرض الفلسطينية كما أسلفنا[٢]، وقد أمتزج سكان المناطق العربية التي احتلها الإسرائيليون في العيش على تلك الأرض سوية وأصبحت السيادة فيها للفلسطينيين، على الرغم من انضواء شيوخ وحكام بني إسرائيل في مقاطعات الأسباط تحت راية شاؤول[٣].

ويرى الباحثون أن بني إسرائيل قد بدلوا في أقامه مملكة يهودية ابتداء من عهد شاؤول، إلَّا أنه رغم الحملات العديدة التي شنها هٰذا الملك ضد العمالقة والفلسطينيين إلَّا أنها باءت بالفشل بعد أن ألحق به الفلسطينيون والعمالقة هزائم منكرة، وكانت هزيمته ثم موته منتحراً بعد معركة (جلبوع) قد وضعت حداً لحملات اليهود التي استهدفت إخضاع المدن الفلسطينية للسيادة اليهودية، وشجعت الفلسطينيين على السيطرة على البلاد حيث انقسمت مملكة شاؤول على نفسها وخضعت للسيطرة الفلسطينية[٤]، وبذٰلك يقول لوبون:

---

(١) شاؤول: أول ملوك بني إسرائيل حكم مدة خمسَ عشرة سنة (١٠٢٥ - ١٠١٠ ق. م) حاول أن يجمع شمل بني إسرائيل ويوحدهم، فقادهم في كثير من المعارك ضد القبائل المجاورة والعمالقة والفلسطينيين إلا أنها باءت بالهزيمة والإخفاق واستطاع الفلسطينيون قتل أبنائه في معركة جلبوع (فقوعه) في وادي بزرعيل جنوب نابلس الآن مما أدى ذٰلك إلى انتحاره حزناً لما حل به وأبنائه. ينظر: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان. (اليهودية) ص٥٥. وراجع حم: ٣١: ١ - ٧. ود. علي حسين الخربوطلي العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة والإسلامية، معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٦٩م، ص٢٤.

(٢) ينظر: د. غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة عادل زعيتر، عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة - ١٩٧٠م، ص٣٥. وينظر: أيضاً عمر رشدي: الصهيونية وربيبتها إسرائيل ص٩.

(٣) ينظر: غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارة الأولى ص٣٥.

(٤) ينظر: د. علي حسين الخربوطلي: العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود ص٢٤. ومحمد أديب العامري: عروبة فلسطين في التاريخ ص١٣٨. ود. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٥٥. وراجع: حم: ٣١: ١ - ٧.

(وبشاؤول بدأ بنو إسرائيل يؤلفون أمةً فاستحقوا أن تفتح لهم صفحة صغيرة في التاريخ الحقيقي الذي كان لهم في العهد في العالم إذ أنقذهم ملكهم الأول من هول الفلسطينيين الدائم)[١].

وبعد انقسام مملكة شاؤول أتخذ رجال يهوذا داود ملكاً عليهم وجعلوا من مدينة حبرون (الخليل) مقراً لمملكتهم، بينما أتخذ بقية الأسباط (أشبوشب) أو (أيشيعل)[٢] ملكاً على يهود شرق الأردن والذي أتخذ من قرية (محنائيم)[٣] عاصمة له[٤]، وقد دخلت هاتان المملكتان في صراعات حادة وطويلة انتهت بسيطرة الملك داود بعد تغلبه على كل من (أبنير) (قائد جيوش شاؤول) و(أشبوشت) فاستقر له الأمر بعد قتلهما، وأصبح الملك الثاني لليهود حيث استمر الحكم بعده وراثياً فيهم[٥].

الفرع الخامس: «مملكة داود وعهد إبراهيم (عليه السلام)»[*].

بدأ داود بإقامة مملكة موحدة لليهود بعد قضائه على خصومه وتغلبه على مناوئيه، وارتأى أن تضم هٰذه المملكة القبائل اليهودية الشمالية (مملكة أشبوشت)، والجنوبية (مملكة يهوذا) القديمة فاتخذ من أورشليم عاصمة جديدة لمملكته حوالي سنة (٩٩٠) ق. م بدلًا من حبرون عاصمة (يهوذا) المدينة من مكانة مرموقة في نفوس الجميع ولكونها مدينة اتصفت بالحياد ولم تشترك في النزاعات بين مملكتي الشمال والجنوب إذ لم يكن سكانها يهودا (أي من يهودا) أو شماليين (من مملكة أشبوشت)[٦] استطاع داود فتح (أورشليم) بعد تغلبه على اليبوسيين

---

(١) ينظر: غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص٣٦.

(٢) أشبوشت: أحد أبناء الملك داود. (٣) مخيائيم: من أعمال بيسان.

(٤) ٢ صم: ٢: ٨ - ١١.

(٥) ينظر: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية) ص٥٥، وسليمان ناجي. زحف الطاعون المزمن - التحركات اليهودية عبر التاريخ (ط١) دار النبراس - دمشق ١٩٨٠م، ص٥٣ - ٥٤.

(*) تولى داود الحكم بعد شاؤول سنة (١٠٠٠ ق. م) ودام حكمه أربعين سنة وسبع سنوات جبرون (الخليل) وثلاثين في أورشليم. ينظر: د. علي حسين الخربوطلي: العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود ص٢٥.

(٦) ينظر: د. إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص٤٦. ود.أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية) ص٥٥. وسليمان ناجي: زحف الطاعون المزمن، ص٥٥.

أصحابها الشرعيين، ونقل إليها حاشيته الخاصة وكبار قادته العسكريين، ونقل إليها أيضاً تابوت العهد إلى قرية (يعاريم)[١]، حيث كان التابوت موجوداً فيها بعد إرجاعه من فلسطين الذي كانوا قد استولوا عليه في إحدى معاركهم مع اليهود في (شيلوه)، وكان شاؤول قد أبعد الكهنة مع التابوت إلى قرية (يعاريم) حيث كان يشك في ولائهم له وعدم رغبتهم في مؤازرته، فاستطاع داود بحنكته وذكائه من استمالتهم بجانبه وتقريبهم إليه، حيث جعلهم من رجال دولته الرسميين وأعضاء في مجلس الدولة الأعلى وكان يهدف من وراء ذٰلك تسخيرهم لدعم حكمه والترويج لدعواته القائلة بأن مملكته تعتبر الوريث الشرعي للعهود الإلٰهية الممنوحة لإبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم السَّلام) وأنها تمثل حلفاً قبلياً يجمع بين يهود الشمال والجنوب، وبذٰلك حل الولاء للملكة الداودية محل الولاء للإلٰه (يهوه) حيث اعتبرها الكهنة تجسيما لعهود إبراهيم عليه السلام وتحقيقاً لها، فكان الارتباط بها ككيان سياسي يعبر عن العلاقة الوثيقة بين اليهود والرب (يهوه)[٢].

قام كهنة اليهود وحاخاماتهم بالدعوة للمملكة الداودية الجديدة، فقالوا باختيار الرب داود ملكاً لليهود وأن مملكته تضم قبائل اليهود الشمالية والجنوبية فقد أوردت التوراة (ليصنع الرب السيد «داود» حسب ما تكلم به من الخير من أجلك ويقيمك رئيساً على بني إسرائيل)[٣].

وقد جعل رجال الدّين اليهود مملكة داود تمثل العهد المقطوع لإبراهيم وتحقيقاً له وهي أساس خلاص (الشعب المختار) يؤيد ذٰلك ما تضمنته التوراة (الرب كلم داود قائلًا إني بيد داود عيدي أخلص شعبي)[٤]، (طوبى للأمة التي الرب إلٰهها، الشعب الذي أختاره ميراثاً لنفسه)[٥].

كما أن أورشليم (القدس) أعتبرها اليهود عاصمة الرب التي أختارها مسكناً

---

(١) يعاريم أو يعريم: وتسمى اليوم: (قرية العنب) تتبع أشدود أداربأ. ومحمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص ١٤٠.

(٢) ينظر: د. إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص٤٩ - ٥١.

(٣) ١ صم: ٢٥: ٣٠، وراجع أيضاً: ٢ صم: ٥: ٢، ٣، ٣: ١٠، ٧: ٨ - ٩.

(٤) ٢ صم: ٣: ١٨.

(٥) مزام ٨٩: ١ - ٣، وراجع ٢ صم: ٢٣: ٥.

لنفسه، لا تقام الطقوس والشعائر الدينية والولاء للإلٰه (يهوه) إلَّا بما يقيمه الكهنة من شعائر فقط وفي أورشليم بالذات، فهي العاصمة الدينية التي لا يستقر الرب أو يعبد إلَّا فيها فذكرت التوراة (الرب اختار صهيون... اشتهاها مسكناً له، هٰذه وهي راحتي إلى الأبد، ها هنا أسكن لأني...)[١]، وكذٰلك يعتقد حاخامات اليهود وأنبياؤهم أنه لا يجوز عبادة الرب (يهوده) إلَّا عن طريقهم في أورشليم، وأن عهد داود ومملكته أزليان ولن يتخلى الرب عنهما[٢]. وبذٰلك صرحت التوراة (..حلفت لداود عبدي إلى الدهر أثبت نسلك وأبني إلى دور فدور كرسيك...)[٣]، وقالت أن الرب قد يعاقب (بني إسرائيل) عقاباً شخصياً ولٰكنه لن يتخلى عن مملكة داود إلى أبد الدهر (..لا أنقض عهدي ولا أغير ما خرج من شفتي...)[٤] (وتمثل هٰذه الادعاءات، تكوّن الميثاق الداودي. هو ميثاق ذو اتجاه واحد كميثاق إبراهيم - بين يهوه وداود وذريته، وحول أورشليم وملك داود في أورشليم انعقد إحساس اليهود الديني وتبلور وعيهم بذاتهم ورسالتهم)[٥].

واعتقد اليهود بتأييد داود مملكته، فاعتبروه (ابن الله) المصطفى المختار ومملكته من عمل الإلٰه، وأصبح الولاء والطاعة (اليهوه) هو الولاء والطاعة لداود ومملكته وأورشليم، ويعبر ذٰلك عن تحقيق عبادة الله وطاعته[٦].

لقد نظر اليهود إلى مملكة داود على أنها قامت تحقيقاً لوعوده (يهوه) يمنح اليهود الأراضي الواقعة بين النيل والفرات، ولٰكنها في الحقيقة لم تقم إلَّا بعد إبرام العديد من المعاهدات وإنشاء الكثير من الأحلاف مع القبائل والممالك التي كانت تقطن البلاد أو تجاورها من ناحية والقيام بسلسلة من الغارات والهجمات على الممالك والقبائل الضعيفة من ناحية أخرى، وبذٰلك استطاع داود توسيع رقعه مملكته حيث أنه استولى على القدس (أورشليم) بعد أن تغلب على اليبوسيين

---

(١) مزام ١٣٢: ١٣ - ١٧.
(٢) ينظر: د. إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص٥١.
(٣) مزام ٨٩: ١ - ٢٩. (٤) مزام ٨٩: ٣٠ - ٣٧.
(٥) ينظر: د. إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص٥٢ - ٥٣.
(٦) ينظر: د. إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص٤٩ - ٥٣.

وطردهم منها وأخضع مملكة (صويا) لنفوذه[١].

وقضى على حلف (حنون) ملك (عمون)، ثم هاجم عمون (عمان) في السنة التالية ودمرها واستولى على تاج ملكها (سلكام) الذي كان يزن قنطاراً من الذهب الخالص[٢]، وتحالف مع ملك حماه (توعي) فسيطر داود على أكثر مناطق سوريا عدا فينيقيا[٣]، وتحالف داود مع حيرام ملك مدينة (صور) الفينيقية، وأدت المحالفة إلى تدفق التجارة الفينيقية إلى البحر الأحمر عبر فلسطين بعد أن توقفت عن المرور عبر مصر وأصبحت سفن (حيرام) تمخر البحر الأحمر وتبنى على شواطئه[٤].

لم يستطيع داود أن يضم جميع أرض فلسطين إلى مملكته، بل خضع للعرب الفينيقيين في كل من لبنان وساحل فلسطين الشمالي كما أنه خضع للسيادة المصرية في أغلب الأوقات[٥]، وكانت المناطق التي شملتها مملكة داود تمتد من جبل الكرمل شمالًا إلى الخليل جنوباً وبقي الساحل من شمال يافا إلى جنوب غزة بيد الفلسطينيين وخاضعاً للحكم المصري، بينما كان ساحل فلسطين من شمال عكا مضافاً إليه ساحل لبنان خاضعاً لحكم الفينيقيين[٦].

وهكذا كانت مملكة داود وقد لا مست البحر المتوسط في مكان ضيق عند يافا وبقيت صور وصيدا خاضعة للفينيقيين وكان الفلسطينيون في الجنوب الشرقي من البلاد يتمتعون باستقلالهم[٧].

ويشير ويلز إلى أن مملكة داود لا تشمل إلَّا أجزاء محدودة من أرض فلسطين فيقول:

(ولا يستطيع أحد أن يقول أن أرض الميعاد وقعت في قبضة العبرانيين

---

(١) يعتقد إنها في سهل البقاع اليوم. وينظر: سليمان ناجي: زمن الطاعون المزمن، ص٥٥.

(٢) ٢ صم: ١٢: ٢٩ - ٣١.

(٣) ينظر: سليمان ناجي: زحف الطاعون المزمن، ص٥٥ - ٥٦.

(٤) ينظر: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٥٥ - ٥٦.

(٥) ينظر: محمد أديب العامري: عروبة فلسطين في تاريخ، ص١٤١.

(٦) ينظر: المصدر السابق، ص٤٤١، وينظر: محمود العايدي: بن غوريون وبناة إسرائيل - منشورات وزارة الأعلام - المطبعة الأردنية - عمان - ١٩٦٩م، ص١٩.

(٧) ينظر: د. ليلى حسن سعد الدين: مثل الذي حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً، (ط١) دار الفكر - عمان - ١٩٨٤م، ص١٩.

(اليهود) على أن ما وطد ملك داود وهيأ له شيئاً من الأتساع أن أمور مصر في عهده كانت مرتبكة فخفت هيمنتها على فلسطين وبلاد الشام،وكانت أمور الدولة الآشورية مرتبكة كذٰلك وقد منح هٰذا لداود شيئاً من حرية الحركة والنشاط والتبسط وممارسة السيادة(١).

لقد استطاع داود بفضل ما تمتع به من عبقرية ونشاط عجيبين أن ينشئ مملكة مزدهرة لا يتطرق الشك إلى هٰذا الازدهار، فوطد الحكم لأبنه سليمان الذي أقتطف ثمار ما بدأه والده فبلغ مجد (اليهود) ذروته في عهده(٢)، وكانت غاية محبة اختياره أورشليم (القدس) عاصمة لمملكته وحسن هٰذا الاختيار، وهو بذٰلك قد منحهم مدينة لها مكانة خاصة في نفوس الكثير من البشر وتحظى بالقدسية والإجلال لديهم على مر الأزمان والعصور فكانت القدس ولم تزل مدينة عريقة ذات ماضٍ مقدس ومقام مؤثر في النفوس البشرية التي نسجت حول تلك المدينة عقائد القدسية والإلٰهام قبل أن يفتحها داود وقبل أن يدخلها إبراهيم، فقد جعلها مدينة للسلام ومركزاً للعبادة، وفيها أنشأ أول مركز لإقامة شعائر وطقوس العبادة على يد الكنعانيين قبل وصول إبراهيم إليها، فكان اليبوسيون قد أقاموا هيكلًا لعبادة الإلٰه (شاليم) كما أن ملكي صادق كاهن الإلٰه الأعلى في القدس قد أخرج خبزاً وخمراً ليبارك إبراهيم وليقول له (مبارك إبرام من الله العلي مالك السمٰوات والأرض)(٣)، وقد احتوت القدس فيما احتوت من أماكن مقدسة - على صخرة (المربا) ذات القوة السحرية التي تثير الحيرة والجزع في نفوس العلماء والباحثين لما تتمتع به قوة عجيبة وطاقة وحيوية لا يعرف سرها، وعلى هٰذه الصخر بنى داود مذبحاً للرب كما فعل إبراهيم من قبل(٤).

ويلاحظ أن داود لم يستطع فرض السيطرة الكاملة على فلسطين رغم كثرة

---

(١) نقلًا: عن د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية) ص٥٧ - ٥٨. وقارن مع جون. أ. هامرتن: تاريخ العالم ص١١٠.

(٢) ينظر: غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص٣٩.

(٣) ينظر: تك: ١٤: ١٨ - ١٩.

(٤) ينظر: إيلين بيتي: أزيلوا إسرائيل هٰذا هو الحل ص٩٢ - ٩٩. ود. إسماعيل راجي الفاروقي: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، ص٤٧. ولوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص٣٧ - ٣٨ ومحمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص١٣٩.

الحملات التي شنها والمعاهدات التي أبرمها مع الشعوب والأمم المجاورة وبقي الساحل الغربي من غزة إلى يافا تحت حكم الفلسطينيين ولم تخضع فلسطين بكاملها في أي وقت من الأوقات لسيطرة اليهود[١].

الفرع السادس: «مملكة سليمان»:

تولى قيادة بني إسرائيل بعد وفاة داود ابنه سليمان الذي دام حكمه ما يقارب من أربعين عاماً[٢] وقد أتبع سليمان سياسة الوفاق والمهادنة مع الشعوب والممالك المجاورة، فقد وجد أن الغزو والفتح العسكري لا يجدي نفعاً في إخضاع القبائل والمدن لنفوذ مملكته، لذٰلك اتجه لاستخدام السياسة والدين والمهادنة لتدعيم أركان مملكته، فأتسع سلطانه وأزدهر حكمه وخضعت له المناطق الفاصلة بين الإمبراطورتين الآشورية والمصرية[٣].

حيث شمل حكمه أجزاء من سيناء وسوريا[٤]. ونظراً لاستخدامه سياسة المهادنة والوفاق استطاع توسيع حدود مملكته فامتدت من دمشق إلى مصر ومن البحر المتوسط إلى حد بعيد من البادية الشرقية[٥]. واستطاع توسيع رقعة الأراضي الزراعية

(١) ينظر: د. محمد إسماعيل السيد: مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين، ص٥٠.

(٢) أختلف المؤرخون في تحديد الفترات الزمنية والأحداث التي أشارت إليها المصادر اليهودية، وكانت وما زالت من أعقد الأمور التي استعصى حلها على مؤرخي ونقاد علماء التاريخ منذ القدم وحتى يومنا هٰذا، فقد تضاربت الآراء حول مولد ووفاة سليمان. والرأي راجع أن سليمان حكم ما يقرب من (٤٠) عاماً (٩٧٠ - ٩٣٠ ق. م)، للمزيد من الإطلاع راجع: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٦١، ومحمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص١٤٤. ود. حسن الحلبي: فلسطين في ضوء القانون الدولي، ص٨. ود. علي حسين الخربوطلي: العلاقات الحضارية السياسة بين العرب واليهود ص٢٧. وعمر رشدي: الصهيونية وربيبتها إسرائيل، ص٩. ود. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ ص٢ - ٣، ود. حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه، ص٤٤.

(٣) ينظر: لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص٣٩. ود. سامي سعيد الأحمد: الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية، ص٢٣. وينظر: عمر رشدي: الصهيونية وربيبتها إسرائيل، ص٩. ود. علي حسنين الخربوطلي: العلاقات السياسية الحضارية بين العرب واليهود، ص٢٥.

(٤) ينظر: محمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص١٤٤.

(٥) ينظر: لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص٣٩.

وقيل أنه قد شاد مدينة (تدمر) كما أنه نجح في مصاهرة فرعون مصر (شيشنق) ليضمن صداقة المصريين وعقد مع (حيرام) ملك صور الفينيقي صلات صداقة وتجارة فامتدت تجارته إلى البحار المجاورة بعد إنشائه أسطولًا تجارياً لهٰذا الغرض[١].

أن ما يمكن قوله في مملكة سليمان أنها مملكة كانت تتجاذبها قوتان هما مصر وفينيقيا وأن أهميتها في معظم أمرها يرجع إلى قوة أو ضعف هاتين القوتين فهٰذه المملكة التي يتبجح اليهود بعظمها (كانت أشبه بحمية مصرية مرابطة على حدود مصر، قائمة على حراب أسيادها الفراعنة الذين كانوا أهم ما يهدفون إليه من وراء هٰذا الإسناد حماية حدودهم الشرقية من غارات الأقوام الطامعة بمصر وفي مقدمتهم الآشوريون)[٢]، ويمكن القول بأن مملكة سليمان لم تمثل جميع أرض فلسطين (أرض - الميعاد) وبصورة خاصة المناطق الساحلية بدليل أن سليمان طلب من فرعون مصر[٣] المساعدة لإخضاع المدن الفلسطينية الساحلية التي تعذر عليه فتحها وكما أشارت التوراة إلى ذٰلك[٤] كما أن العديد من المناطق التي استطاع سليمان إخضاعها لحكمه قد تمكنت من الانفصال عن المملكة والتمتع بالاستقلال بعد أن نشط معارضو هٰذه المملكة ومنذ أواخر أيام داود في الدعوة للانفصال عنها والاحتفاظ باستقلال عشائرهم ودولهم بعيداً عن سيطرة اليهود[٥].

إن مملكة داود سليمان التي قطعت شوطاً متميزاً في تاريخ اليهود ورغم قصر عمرها - قد شهدت نهضة أدبية واسعة وأصبحت (أورشليم) أيام سليمان مركز

(١) ينظر: د. علي حسنين الخربوطلي: العلاقات السياسية الحضارية بين العرب واليهود، ص٢٦. ود. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٥٨، ولوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص٣٩.

(٢) ينظر: د. أحمد سوسه: العرب واليهود في التاريخ، ص٢٩٦.

(٣) كان فرعون مصر في تلك الحقبة هو (شيشنق) أول فرعون من الأسرة الثانية عشرة الذي غزا (أورشليم) واستولى عليها ونهب جميع ما فيها من كنوز وأموال بعد وفاة سليمان ببضع سنوات. للمزيد ينظر: د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص٢٩٧، د. علي حسنين الخربوطلي: العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود، ص٢٦.

(٤) ١ مل: ١١ - ١٢، ٩: ١٦.

(٥) ينظر: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٥٨ - ٥٩.

فلسطين الثقافي، ألف الكهنة الأقاصيص، وحاول أنبياء اليهود توحيد قومهم عن طريق تقاليدهم ودينهم(١).

لهٰذا عدت هٰذه المرحلة الفترة الذهبية في تاريخ اليهود لما تمتعوا به من استقرار ورخاء وابتعاد عن النكبات التي سبقت هٰذا العهد أو تلته، وقد كان بناء (بيت الرب) «الهيكل»(٢).

أبرز ما يميز عهد سليمان إذ أكسبه شهرة لا تداني نظراً لما أثير حول هٰذا البناء من وصف وبذخ وما أثير حوله من معارضه، فيرى (WEECH) (أن بذخ سليمان وقسوته وكثرة زوجاته والخلاف بين أولاده كان السبب في انقسام المملكة وزوالها)(٣).

فقد حاول مجاراة الفراعنة في البذخ والإسراف وإقامة الأبنية الشاهقة والقصور الفخمة، مما أثقل كاهل الشعب بفرض الضرائب، والخزينة بما تراكم من ديون(٤)، وانتهى عهد الوحدة المملكة داود سليمان حوالي عام (٩٣٥ ق. م) بوفاة سليمان وبذٰلك عاد التمزق والانقسام إذ انقسمت هٰذه المملكة إلى دولتين أو مملكتين هما(٥):

أ - دولة مملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها (السامرة) (سبسطية) جوار مدينة نابلس (شكيم) وقد دام وجود هٰذه الدولة ما يقارب من (٢٥٠) عاماً حيث استطاع الملك الآشوري سرجون الثاني في سنة (٧٢١ ق. م) فتح (السامرة) ثم

---

(١) ينظر: د. سامي سعيد الأحمد: الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية، ص٢٣.

(٢) ينظر: د. علي حسنين الخربوطلي: العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود، ص٢٥ - ٢٦.

(٣) ينظر: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٦١.

(٤) ينظر: د. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص٢٩٦ - ٢٩٧.

(٥) ينظر: د. حسن ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه، ص٤٥ - ٤٦. د. أحمد شلبي مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٦١ - ٦٣. ود. حسن الحلبي: قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي ص٨. ومحمد أديب العامري: عروبة فلسطين، ص١٥٣. ومحمد العايدي: بن غوريون وبناة إسرائيل ص١٩. ود. علي حسنين الخربوطلي: العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود، ص٢٧. ود. أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ، ص٣٠٦ - ٣٠٧. وسيد طنطاوي: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص٥٥.

تدميرها وإجلاء ما يقارب (٢٧) ألفاً من سكانها وأحل محلهم قبائل من بابل وسوريا وجزيرة العرب وبذٰلك زالت مملكة (إسرائيل من الوجود).

ب - دولة مملكة يهوذا في الجنوب: عاصمتها (أورشليم) (القدس) وقد تألفت من سبطي يهوذا وبنيامين، بدأ الحكم فيها رحبعام بن سليمان، وعمرت هٰذه المملكة زهاء أربعة قرون حيث تم القضاء عليها وسقطت أورشليم نهائياً على يد القائد البابلي (نبوخذ نصر) حوالي (٥٨٦ ق. م) حيث قتل أخر ملوكها (صد قياهو) ودمرت أورشليم وأحرقت أسوارها وهيكلها وتم الاستيلاء على ما في خزائنها ورحّل نبوخذ نصر قسماً كبيراً من سكانها إلى بابل. وقد خضعت فلسطين بعد السيطرة البابلية للحكم الفارسي حيث سمح (كورش) بعودة اليهود إلى القدس ثم خضعت فلسطين إلى حكم اليونانيين في عهد (الإسكندر المقدوني) ثم إلى الحكم الروماني حيث أصبحت إحدى الولايات الرومانية، وقد قام اليهود بعدة ثورات ضد الرومان انتهت بإخراجهم من فلسطين عام ٧٠ للميلاد وتشتيتهم في مختلف دول العالم.

وقد تم فتح فلسطين من قبل الجيوش الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبذٰلك عاد الحكم العربي الإسلامي على فلسطين مؤكداً الطابع العربي والخصائص العربية للبلاد[(١)].

***

(١) ينظر: د. حسن الجلبي: قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي، ص٨ - ١٠، وإيلين بيتي: أزيلوا إسرائيل هٰذا هو الحل ص٦١ - ٦٧.

الفصل الأول
تعريفات التناقض
وبيان الألفاظ المرادفة له

وفيه أربعة مباحث وهي على النحو الأتي:

- المبحث الأول: تعريف التناقض لغة واصطلاحاً، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: التناقض في اللغة.
- المطلب الثاني: التناقض في الاصطلاح.
- المبحث الثاني: تعريف التوراة لغةً واصطلاحاً؛ وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: التوراة في اللغة.
- المطلب الثاني: التوراة في الاصطلاح.
- المبحث الثالث: الألفاظ المرادفة للتناقض.
- المبحث الرابع: التوراة في القرآن الكريم؛ وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: التوراة في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: كُتّاب التوراة.

المبحث الأول
تعريف التناقض لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: التناقض لغة

التناقض: التحالف و(النقيض) المخالف.

من نقض والنقض: إفساد ما أبرمت من عقد وبناء، وفي الصحاح[١]: النقضُ نقض البناء والحبل والعهد غيره: النقض ضد الإبرام، نقضه ينقضه نقضاً وأنتْقَض وتناقَض.

والنقض: اسم البناء المنقوض إذا هُدم. وفي حديث صوم التطوع: فناقضني وناقضته، وهي مفاعلة من نَقْض البناء وهو هدمه، أي ينقُضُ قولي وأنقض قوله وأراد به المراجعة والمرادة. وناقضه في الشيء مناقضةً وناقضاً: خالفه، قال الشاعر:

وكان أبو العيوفِ أخاً وجاراً   وذا رَحمٍ، فَقُلْتُ له نِقاضاً

أي ناقضته في القول وهجوه إيَّاي. والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه والنقيضة في الشعر: ما ينقض به، وقال الشاعر:

إني أرى الدهر ذا نقضٍ وإمرار

أي ما أمر عاد عليه فنقضه، وكذلك المناقضة في الشعر ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول والنقيضة الاسم يجمع على النقائض، ولذلك قالوا نقائض جرير والفرزدق[٢]. ونقيضك الذي يخالفك والأنثى بالهاء، والنقض ما نقضت، والجمع

---

(١) ينظر: محمد بن أبي بكر بن عبد القدر الرازي: مختار الصحاح/ دار الرسالة الكويت (د. ت)، ص٦٧٦.

(٢) ينظر: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري: لسان العرب/ دار لسان المغرب/ بيروت/ المجلد الثالث/ ص٧٠٦.

أنقاض. ويقال: أنتَقَضَ الجُرْح بعد البرء، وأنتقض الأمْرُ التئامه.

وأنتقض أمر الثغر بعد سَدَّه[١]. ويقال: (أنقض الحِمْل ظهره) أثقله وجعله يُنْقِضُ من ثقله أي يصوت[٢]. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝﴾ أي جعله يُسمعُ له نقيض من ثقله.

وجاء في التفسير أثقل ظهرك: قال ذٰلك مجاهد وقتادة، والأصل فيه أن الظهر إذا أثقله الحمل سمع له نقيض أي صوت خفي كما ينقض الرجل لحماره إذا ساقه، قال فأخبر الله ﷻ أنه غفر لنبيه ﷺ، أوزاره التي كانت تراكمت على ظهره حتى أثقلته، وإنها لو كانت أثقالًا حملت على ظهره لسمع لها نقيض أي صوت. ونقيض الرحال والمحامل والأديم والوتر: صوتها.

وفي الحديث: أنه سمعَ نقيضاً من فوقه، النقيض الصوت. ونقيض السقف: تحريك خشبه وفي حديث هِرَقْلَ: ولقد تنقضت الغرفة أي تشقّقت وجاء صوتها. وفي حديث هوازن: فأنقض به دُريد أي نقر بلسانه في فيه. وقال الخطابي: أنقض به أي صفق بإحدى يديه على الأخرى حتى أسمع لها نقيضاً أي صوتاً. وقيل: الأنقاض في الحيوان والنقض في الموتان. وقد نقض ينقُض وينقض نقضاً.

وأنقض أصابعه: صوّت بها، وأنقض بالدابة. ألصق لسانه بالغار الأعلى ثم صوت في حافتيه من غير أن يرفع طرفه عن موضعه[٣].

***

(١) ينظر: المصدر نفسه/ ٣/ ٧٠٦ - ٧٠٧.

(٢) ينظر: محمد فريد وجدي/ دائرة المعارف القرن العشرين/ ١٠/ ٣٤٨، والرازي/ مختار الصحاح/ ص٦٧٦.

(٣) ينظر: ابن منظور: لسان العرب/ ٣/ ص٧٠٦.

المطلب الثاني: التناقض اصطلاحاً

في أغلب الأحيان تقودنا الحاجة في بعض الاستدلالات إلى اللجوء باستخدام قضية أخرى لنستدل من خلالها على نقيضتها - أي القضية الأخرى - لأن العلم بكذبها. ولأن العلم بكذبها يلزمه العلم بصدق القضية المطلوبة أو بالعكس، عندما يكون صدق إحداهما يلزم كذب الأخرى والقضيتان اللتان لهما هٰذه الصفة هما القضيتان المتناقضتان، فإذا أردت مثلًا أن تبرهن على صدق القضية

(الروح موجودة)، مع فرض أنك لا تتمكن على ذٰلك مباشرةً، فيكفي أن تبرهن على كذب نقيضها وهو (الروح ليست موجودة) فإذا علمت كذب هٰذا النقيض لا بد أن تعلم صدق الأولى، لأن النقيضين لا يكذبان معاً. وإذا برهنت على صدق النقيض لا بد أن تعلم كذب الأولى، لأن النقيضين لا يصدقان معاً.

وربما يظن أن معرفة نقيض القضية أمر ظاهر كمعرفة نقائض المفردات، كالإنسان وللإنسان التي يكفي فيها الاختلاف بالإيجاب والسلب. ولٰكن الأمر ليس بهٰذه السهولة إذ يجوز أن تكون الموجبة والسالبة صادقتين معاً، مثل: بعض الحيوانات إنسان، وبعض الحيوان ليس بإنسان ويجوز أن تكونا كاذبتين معاً، مثل: كل حيوان إنسان، ولا شيءَ من الحيوان بإنسان، وعليه، لا غنى للباحث عن الرجوع إلى قواعد التناقض المذكورة في علم المنطق لتشخيص نقيض كل قضية[1]. وإن التناقض هو أحد أقسام التقابل، ولنضعه هنا بعبارة جامعة فنية في خصوص القضايا، فنقول: (تناقض القضايا: اختلاف في القضيتين يقتضي لذاته إن تكون أحدهما صادقة والأخرى كاذبة، ولا بد من قيد (لذاته) في التعريف، لأنه ربما يقتضي اختلاف القضيتين تخالفهما في الصدق والكذب، ولٰكن لا لذات الاختلاف، بل لأمر آخر، مثل: كل إنسان حيوان، ولا شيء من الإنسان بحيوان، فأنه لما كان الموضوع أخص من المحمول صدقت إحدى الكليتين وكذبت الأخرى. أما لو كان الموضوع أعم من المحمول لكذبا معاً نحو كل حيوان إنسان ولا شيء من الحيوان بإنسان، كما تقدم.

ونعني باختلاف الذي يقتضي تخالفهما في الصدق هو الاختلاف الذي يقتضي

---

(١) ينظر: محمد رضا المظفر/ المنطق (ط٢)، ١٩٥٧ م/ ٢/ ٤٢.

ذلك في آية مادة كانت القضيتان، ومهما كانت النسبة بين الموضوع والمحمول(١).

كالاختلاف بين الموجبة الكلية والسالبة الجزئية(٢).

شروط التناقض:

لا بد لتحقق التناقض بين القضيتين من اتحادهما في أمور ثمانية، واختلافهما في أمور ثلاثة(٣).

الوحدات الثماني:

تسمى الأمور التي يجب اتحاد القضيتين المتناقضتين فيها (الوحدات الثماني) وهي ما يأتي:

١ - الموضوع، فلو اختلفا فيه لم يتناقضا مثل: العلم نافع، الجهل ليس نافعاً.

٢ - المحمول، فلو اختلفا فيه لم يتناقض مثل: العلم نافع، العلم ليس بضار.

٣ - الزمان، فلا تناقض بين (الشمس مشرقة) أي في النهار وبين (الشمس ليست بمشرقة) أي في الليل.

٤ - المكان، فلا تناقض بين (الأرض مخصبة) أي في الريف وبين (الأرض ليست بمخصبة) أي في البادية.

٥ - القوة والفعل، أي لا بد من اتحاد القضيتين في القوة والفعل فلا تناقض بين (محمد ميت) أي بالقوة وبين (محمد ليس بميت) أي بالفعل.

٦ - الكل والجزء، فلا تناقض بين (العراق مخصب) أي بعضه وبين (العراق ليس بمخصب) أي كله.

٧ - الشرط، فلا تناقض بين (الطالب الناجح آخر السنة) أي إن اجتهد وبين (الطالب غير ناجح) أي إذا لم يجتهد.

٨ - الإضافة، فلا تناقض بين (الأربعة نصف) أي بالإضافة إلى الثمانية، وبين

---

(١) ينظر: المصدر نفسه/ ٢/ ٤٣.

(٢) إن كل قضية تتألف من موضوع ومحمول.

(٣) لقد أختار أرسطو نوعاً من العبارات هي تلك التي تحتمل الصدق والكذب وهي الفقري في نظرية لقياس ولاستدلال القضية الكلية الموجبة والقضية الجزئية الموجبة والقضية الجزئية السالبة.

الأربعة ليست بنصف أي الإضافة إلى العشرة.

وبعضهم يضيف إليها (وحدة الحمل من ناحية كونه حملًا أولياً أو حملًا شائعاً. وهٰذا الشرط لازم، فيجب لتناقض القضيتين أن يتحدا في الحمل، فلو كان في أحدهما أولياً وفي الأخرى شائعاً فأنه يجوز أن يصدقا معاً، مثل قولهم (الجزئي جزئي) أي بالحمل الأولي (الجزئي ليس بجزئي) أي بالحمل الشائع، لأن مفهوم الجزئي من مصاديق مفهوم الكلي، فأنه يصدق على الكثيرين[1].

أما اختلاف القضيتين فنجدها في أمور ثلاثة وهي (الكم والكيف والجهة). حيث سيتم مناقشتها في المبحث الثالث من هٰذا الفصل في الفقرة (ء).

أما التناقض في مفهوم أرسطو[2]: فهو تقابل الموجبة والسالبة ما بدا سواء كان موجوداً ولم يكن موجوداً فأن أحده يكون كاذباً والآخر صادقاً. فإن القول في سقراط مريض وأن سقراط ليس مريضاً، أن كان سقراط موجوداً وظاهر أن أحده صادق والآخر كاذب ... أعني التي تتقابل على طريق الموجبة والسالبة[3].

أما الفارابي[4] فيرى التناقض: هو تقابل الإيجاب والسالبة: وهو أن يكون موضوعها واحداً بعينه وكذٰلك المحمول، وأن يكون الزمان الذي أثبت فيه المحمول للموضوع هو بعينه الزمان الذي فيه نفي المحمول عن الموضوع، وأن يكون الحال التي بها يوجد الموضوع، موضوعاً في السلب هي بعينها الحال التي توجد موضوعها في الإيجاب التي يوجد فيها المحمول محمولًا على الموضوع إلى الإثبات، وهي بعينها الحال التي يوجد بها في النفي[5].

---

(١) ينظر: محمد رضا مظفر/ المنطق/ ٢/ ٤٣.

(٢) وهو فيلسوف يوناني تتلمذ على أفلاطون وعلم الإسكندر الأكبر وألف (الأورغانون) في المنطق وينقسم إلى ثلاثة: كتاب المقولات، وكتاب العبارة، وكتاب التحليلات. وله أيضاً مؤلفات في العلم الطبيعي مثل (السماع الطبيعي). توفي (٣٢٢) ق.م.

(٣) ينظر: أرسطو: المقولات/ ج١/ ص٤٦، ٤٧.

(٤) أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي ولد في مدينة فاراب سنة ٢٥٩ هـ/ ٨٧٠ م وتوفي سنة ٣٩٣ هـ/ ٩٥٠م، لقي بالمعلم الثاني أرسطو العرب.

(٥) ينظر: الفارابي: شرح الفارابي لكتاب أرسطو طاليس في العبارة/ ط٢/ دار المشرق/ بيروت. لبنان/ ص١٠٧.

والتناقض هو التقابل... وتعاند الأقاويل... بالمعنى الأعم... وهو أن يقابل الواحد بعينه في المعنى الواحد بعينه ليس على طريق الاتفاق في الاسم وساير ما أشبه ذٰلك[١].

والمتناقضان: هما اللذان ليس يقرن الجزئي بالموجبة منها فقط أبداً ولا بالسالبة أبداً، لٰكن أحياناً يكون في الموجبة في التناقض سور جزئي وأحياناً يكون فيها سورٌ كلي[٢].

يقول ابن سينا[٣] في التناقض. القضيتان المتقابلتان بالتناقض هما: اللتان تقابلان بالإيجاب والسلب تقابلًا يجب عنه لذاته أن تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة[٤].

والتناقض أيضاً هو الجمع في تصور واحد وفي قضية واحدة بين عنصرين متنافرين كقولنا دائرة مربعة، أو ضياء مظلم. وقد يكون التناقض صريحاً كالتناقض الذي نعبر عنه بقضيتين متناقضتين، وقد يكون ضمنياً كالتناقض المقدر بين القضية الظاهرة، ونتائجها، أو مقدمتها الخفية. وإذا حملت على الموضوع صفة مناقضة لتعريفه، كان التناقض تناقضاً في الوصف مثل دائرة مربعة. والتناقض في اللفظ هو التناقض بين حدود القضية الواحدة، بحيث يكون المحمول فيها نفياً للموضوع كما في قولنا: الظلم عدل.

والتناقض عند الأصوليين هو تقابل الدليلين المتساويين على وجه لا يمكن معه الجمع بينهما، ويسمى بالتعارض أو المعارضة.

ومبدأ التناقض: هو القول أن الشيء نفسه لا يمكن أن يكون حقاً وباطلًا معاً، وهٰذا القول إنما هو نتيجة لمبدأ الهوية أي لقولنا (ما هو هو). وعلى ذٰلك فالتناقض مناف للمعقولية، لأن من شرط العقل أن يكون متفقاً مع نفسه، فإذا كان العقل يقع في التناقض أحياناً فمرد ذٰلك اشتغاله بأمور تمنعه من تذكر ما قاله سابقاً، ولو قرب

---

(١) ينظر: الفارابي: شرح العبارة، ص٦٢.   (٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٧٣.

(٣) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا فيلسوف وطبيب مسلم وله كتاب النجاة ولد سنة ٩٨٠م وتوفي سنة ١٠٣٦م.

(٤) ينظر: ابن سينا/ كتاب النجاة/ ص٦٣.

بين الحكمين المتناقضين اللذين صدق بهما في زمانين مختلفين لأثبت أحدهما وأبطل الآخر. لذلك قيل: أن الزمان علة الوقوع في التناقض، والوسيلة الوحيدة لاجتناب الوقوع في التناقض هي التحليل[٣].

***

(٣) ينظر: د. جميل صليبا/ المعجم الفلسفي/ ج١/ ص٣٤٩.

المبحث الثاني
تعريف التوراة لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: التوراة لغة

رد بعض المصادر العربية لفظة (التوراة) إلى أصل عربي[(١)]، وقالوا:[(٢)] التوراة تعني الضياء والنور وهي مشتقة من ورى (بفتح الراء أو كسرها) الزند، إذا قدح فظهرت وخرجت منه النار، وسميت التوراة بهذا الاسم لأنها ضياء ونور - لما عدا القرآن - تجلو ظلمة الظلال[(٣)]، ولظهور الحق بها[(٤)]، وقيل مشتقة من (ورى) إذا (عرض)[(٥)] فالتوراة مأخوذة من التورية، وهي التعريض بالشيء والكتمان لغيره، لأن في التوراة معاريض كثيرة ورموز عديدة وتلويحات جليلة من غير تصريح وإيضاح

(١) ينظر: ابن دريد، الجمهرة ٢/ ٤٢٣ (ورى) وابن منظور: اللسان ٥/ ٣٨٨ وما بعدها (ورى) والقلقشندي (الشيخ أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد)، كتاب صبح الأعشى - المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٨م، ١٣/ ٢٥٤.

(٢) ينظر: الجوهري، الصحاح ٦/ ٢٥٢٢ (ورى) وابن دريد: الجمهرة ١/ ١٧٧، ٢/ ٤٢٣ (ورى)، وابن منظور: اللسان ١٥/ ٣٨٨ (ورى) والقرطبي (الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٧ م ٤/ ٥ والبطرسي (الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن..)، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر ودار الكتاب العربي بيروت ١٩٥٧م ١/ ٤٠٦ والرازي التفسير ٧/ ١٧٠ والفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مؤسسة دار التحرير القاهرة ١٩٦٩ م ٥/ ٢٠١ والآلوسي، روح المعاني ٣/ ٦٦.

(٣) ينظر: الآلوسي (أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المطبعة المنيرية - القاهرة - ١٣٤٥هـ ٣/ ٦٦.

(٤) ينظر: الطوسي (الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن) التبيان في تفسير القرآن، مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٩٦٣ م/ ٣٩١، والرازي التفسير الكبير ٧/ ١٧٠ - ١٧١.

(٥) ينظر: الآلوسي: روح المعاني ٣/ ٦٦.

ولكن الجمهور على القول الأول[١].

لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾[٢].

يعني التوراة[٣] وفي الحقيقة فلفظة التوراة ليست عربية[٤] بل هي عبرية[٥] ولقد بحث العلماء عن أصلها واشتقاقها في العبرانية، فقالوا: أن كلمة (تورة = Toruh) اسم مشتق من وزن (أفعل) المزيد وهو (Horah) وثلاثية (Yarah)[٦] وقد جاء هذا الثلاثي في العهد القديم بمعنى (ألقى القرعة)[٧] و(رمى السهام)[٨] و(دل)[٩] و(أوصى) و(علم)[١٠] ومن ذلك جاءت (Tarah) بمعنى: المعلم والتعليم والحكمة والوصية والشريعة والناموس[١١] والهدى والهداية والإرشاد والتعاليم الدينية[١٢]

---

(١) ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٤/ ٥. (٢) ينظر: سورة الأنبياء/ الآية (٤٨).

(٣) ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٥.

(٤) ينظر: الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر... الخوارزمي)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، منشورات أفتاب - نهران (بلا) ١/ ٤١٠ والرازي، التفسير ٧/ ١٧١ والبيضاوي (أبو الخير عبد الله بن عمر..) أنوار التنزيل وأسرار التأويل مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٨ م ٢/ ٢ والفيروزآبادي، بصائر ٥/ ٢١٠ تعليق المحقق رقم (٦)، وأبو السعود الإمام.. محمد بن محمد العمادي) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم دار أحياء التراث العربي بيروت ٢/ ٤ والنسفي (الإمام حافظ الدين عبد الله بن أحمد..) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المطبعة البهية المصرية ١٣١٨هـ- ١/ ٢٠٩.

(٥) ينظر: القرطبي، الجامع ٤/ ٦ وخان (صديق حسن..) فتح البيان مقاصد القرآن، مطبعة العاصمة القاهرة ٢/ ٤.

(٦) ينظر: مرمرجي الدمينكي (الأب أوغسطين...) كلمة توراة مقال في مجلة المشرق م٢٩ (١٩٣١) ص٤١١.

(٧) يشو: ١٨: ٦. (٨) ١ صم: ٢: ٣٦.

(٩) قض: ١٣: ١٨. (١٠) خرو: ١٥: ١٥.

(١١) ينظر: ناموس لفظ يوناني الأصل معناه: شريعة القانون وهو يقابل التوراة العبرية. و(راجع: القاموس ٩٧٨) (ناموس). ومراد كامل (دكتور) الكتب التاريخية في العهد القديم، المطبعة الفنية الحديثة - القاهرة ١٩٦٨م، ص٥.

(١٢) ينظر: مرمرجي، كلمة توراة ص٤١١ - ٤١٢. ومرشد الطالبين ص١١ هامش رقم (١) وسيل، المرشد ص٧٤ وشيخو (الأب لويس اليسوعي) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩١٢ م ١/ ١٨٤ وديورانت (ول..)، قصة الحضارة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٤ م ٢٠/ ٣٦٧ وميخائيل (دكتور نجيب إبراهيم) مصر =

والقانون[1]. ويظن (ويلهوزن) وغيره أن أول استعمال (التوراة) كان للدلالة على إلقاء القرعة والسهام أو الأزلام في الهياكل الاستنباء إدارة الآلهة، وعليه فمدلول (التوراة) القديم كان طلب معرفة مشيئة الله وتدابيره، مما كان على الكهنة أن يعلموه للشعب[2] ثم استعملت هٰذه اللفظة عن الشريعة موسى عليه السلام[3] وتجاه هٰذا الأصل العبري، أصول (مشابهة) في غير العبرية من الألسن السامية كالآرامية الكتابية والحبشية الجعزية والحبشية الأمهرية والأكدية والعربية[4].

***

= الشرق الأدني القديم دار المعارف القاهرة ١٩٥٩ م ٣/ ١٧٩ والشيرازي (محمد بن مهدي الحسيني...) هٰؤلاء اليهوديين بين الإسلام والأديان والمبادئ، مطبعة الآداب، النجف (بلا) ص١١.

(١) ينظر: محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن الرابع عشر - العشرين مطبعة دائرة معارف القرن العشرين القاهرة ١٩٣٧/ ٢/ ٧٠٤.

(٢) ينظر: مرمرجي، كلمة توراة، ص٤١٢.

(٣) ينظر: التل (عبد الله...) جذور البلاء، دار الإرشاد ودار القلم بيروت ١٩٧١م، ص٩.

(٤) ينظر: مرمرجي، كلمة توراة، ص٤١٢.

المطلب الثاني: التوراة اصطلاحًا

يطلق اليهود لفظة (تورة - Toruh) على كتب موسى الخمسة[١] ويسمون هٰذه الكتب أيضاً باسم (توراة ألوهيم) و(توراة يهوه) و(أسفار موسى) و(الناموس)[٢] والربانيون - منهم - يدعونها: (المقرأ) أي النص المقروء و(خمسة أخماس الشريعة)[٣]، وأما الإسكندريون - اليهود اليونان، أرباب الترجمة السبعينية - فقد أطلقوا على توراة موسى لفظة (البانتاتوكس) أي الملفات الخمسة باليونانية[٤].

ومنذ سنة ١٣٠ ق. م قسم اليهود الكتب الإلٰهية إلى ثلاثة أقسام كبرى هي: الشريعة والأنبياء والكتب (أو الصحف)[٥].

وكل كتاب من الكتب المنزلة يسميه اليهود (سفر)[٦]، ويدعون المجموعة - بصيغة الجمع (الأسفار - الكتب)[٧]، أما العنوان الرئيسي فيشمل الأقسام الثلاثة المذكورة. ولٰكنهم أخذوا الحروف الأولى من تلك الكلمات الثلاثية (تورة = التوراة) (ونبيئيم = الأنبياء) (وكتبوبم = الكتب) وصاغوا منها لفظاً واحداً وهو (تناك) لينوب في الاستعمال عن أسماء الأجزاء الثلاثة الكبيرة التي يتألف منها العهد القديم، وذٰلك بقصد الاختصار.

وهٰذا الاسم متداول في كلامهم حتى يومنا هٰذا[٨]، ولا نرى أحداً من اليهود -

---

(١) ينظر: شلبي (دكتور أحمد..) اليهودية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٦ م ص٢٣٠، ومويال (الدكتور شمعون يوسف..) التلمود أصله وتسلسله وآدابه، مطبعة العرب القاهرة ١٩٠٩ م ١/ ٣-٤.

(٢) ينظر: مرمرجي، كلمة توراة ص٤١٢، والقاموس ص٣٤٨، والبستاني (المعلم بطرس..) دائرة المعارف ٦/ ٢٦٤.

(٣) ينظر: مرمرجي، كلمة توراة، ص٤١٢، ومرشد الطالبين، ص٧٣، وسيل المرشد، ص٧٤، وظاظا (دكتور حسن..) الفكر الديني الإسرائيلي أطوراه ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١م ص٧٣.

(٤) ينظر: مرمرجي، كلمة توراة، ص٤١٢.

(٥) ينظر: مقدمة سفر يشوع بن سيراخ، والدكتور فاندر، ميزان الحق، ص٥٦ نقلًا عن مرمرجي كلمة توراة، ص٤١٢.

(٦) ينظر: أشح: ٢٩: ٨.

(٧) دا: ٩: ٢.

(٨) ينظر: مرمرجي، كلمة توراة ص٤١٣ و٥٠١، وفؤاد حسنين (دكتور.. علي)، التوراة الهيروغليفية، =

الفلسطينيين أو الإسكندريين أو غيرهم - يطلق اسم (التوراة) أو (البانتاتوكس) على جميع الأسفار المقدسة أو العهد القديم كله[(١)]. فأنهم لم يطلقوه إلَّا على كتب موسى الخمسة[(٢)]، وقد وردت كلمة (التوراة) بهٰذا المعنى المحصور لا غيره في العهد القديم[(٣)].

وهٰذا يفند رأي القائلين بأن العبرانيين توسعوا في مدلول لفظة (التوراة) فيما بعد، وأطلقوها على جميع الأسفار التي يقال لها العهد القديم[(٤)].

وأما المسيحيون - من يونان والآتين - فأنهم يطلقون على كل كتاب منزّل - قديماً وحديثاً - اسم (السبيل) وهٰذا ما يقابل (السفر) في العبرية وعليه سميت الأسفار الإلٰهية (بيبل) وهو اسم عام يشمل العهدين - القديم والجديد عند الغربيين. أما أسفار موسى الخمسة (التوراة) فان الغربيين لم يطلقوا عليها إلَّا لفظ (البانتاتوكس) وليس إلَّا[(٥)]. أما الإنجيل فقد أطلق عليها أسم: (الشريعة) أو (الناموس) ومع أن لفظة (الناموس) أو (التوراة) تطلق عند المسيحيين في معظم الأحيان[(٦)].

وعلى أسفار موسى الخمسة[(٧)].

إلَّا أنها مع ذٰلك قد تعني أحيانا العهد القديم كله[(٨)] وربما العهدين - القديم

= دار الكتاب العربي، القاهرة ص٣٠ وله: اليهودية المسيحية ص١٠٢، وينظر: ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي ص٧٣.

(١) ينظر: مرمرجي، كلمة التوراة ص٤١٢ و٥٠١. (٢) ينظر: سيل، المرشد إلى الكتاب ص٧٤.

(٣) عد: ٣١: ١١ و١٣ و٢٤.

(٤) ينظر: طبارة، روح الدين الإسلامي ص ١٤٦ وأيضاً: البلاغي (الشيخ محمد جواد) الهدى إلى دين المصطفى، المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف ١٩٦٥/ ٤، والجنابي (الحاج محمد إبراهيم ...) اليهود قديماً وحديثاً، مطبعة الآداب، النجف ١٩٦٧ ص ٥٢ - ٥٣ وعنايت (محمد) العقائد، مطبوعات مجلة العصور لنشر المعرفة والآداب ١٩٢٨ ص٨٤ والمنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٨٠ ص ٦٦ والبستاني (المعلم بطرس ....) محيط المحيط، مكتبة لبنان بيروت ١٨٧٠ م ١/ ١٧٦.

(٥) ينظر: مرمرجي، كلمة توراة ص٤١٣ و٥٠١ والبعلبكي (منير...) المورد، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٧ ص٦٧١.

(٦) إنجيل لوقا: ٢٤: ٤٤. (٧) يشو: ١: ٨ ونح ٨: ١: ١٨.

(٨) ينظر: يو: ١٢: ٣٤.

والجديد - معاً من باب تسميه الكل باسم البعض[١].

وقد بين الأب مرمرجي الدومنيكي السبب الذي دعا بعض المسيحيين إعمام اسم التوراة على العهد القديم كله أو العهدين معاً - وذلك في معرض رده على المعاجم الحديثة، حيث قال: [.. نكبر الظن بأنها قد استندت إلى ما جرى على ألسن العامة في سورية، وغيرها من البلاد، ولاسيما على ألسن البروتستانت، كالسبتيين الذين يهتمون بالعهد القديم اهتماماً ينسيهم (العهد الجديد)][٢] وأما المسلمون فإنهم يطلقون التوراة على الكتاب الذي أنزله الله دفعه واحدة (مكتوباً في الألواح) على كليمه موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل[٣].

بالإضافة إلى اسم التوراة فقد أطلق القرآن على رسالة موسى - أيضاً - الفرقان[٤] والكتاب[٥].

وهذا لا يمت إلى الصحة بصلة، زعم الدكتور فاندر بأنه: (قد يطلق المسلمون هذا الاسم (التوراة) على الكتاب المقدس كله بالنسبة إلى كونه يبتدئ بالتوراة)[٦].

وهو غير دقيق أيضاً في قوله: (ولكن القرآن يشير إلى الأسفار المقدسة جميعاً بكتاب واحد هو الكتاب المقدس، مع أنه يذكر له ثلاثة أقسام وهي: «التوراة والزبور والإنجيل»)[٧].

---

(١) ينظر: البستاني، دائرة المعارف ٦/ ٢٦٤ وشيبه (عبد القادر.. الحمد) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر جدة، السعودية ١٣٨٧هـ، ص١٧. وينظر: عطية (علي إمام ...) الصهيونية العالمية ... وأرض الميعاد، مطابع الشعب، القاهرة ١٩٦٣، ص١٢. وينظر: سوسة (الدكتور أحمد...) مفصل العرب واليهود في التاريخ، دار الحرية بغداد ١٩٨١ ص٣٣.

(٢) ينظر: مرمرجي، كلمة التوراة، ص٣٠٥.

(٣) ينظر: سورة المائدة/ الآية (٤٤)، وسورة الأعراف/ الآية (١٥٧)، وسورة الصف/ الآية (٦).

(٤) ينظر: سورة الأنبياء/ الآية (٤٨)، وينظر: القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٥ و١١/ ٢٩٥.

(٥) ينظر: سورة البقرة/ الآية (٥٣)، وينظر: القرطبي، الجامع ١/ ٣٩٩ وفيه المراد بالكتاب هو التوراة بإجماع المتأولين وأختلف في (الفرقان) (هنا) فقيل هو التوراة أعيد ذكره باسمين تأكيداً...). وينظر: سورة البقرة/ الآية (٨٧)، والأنعام (٨٩)، وهود (١٧)، والإسراء (٢)، والفرقان الآية (٣٥)، والقصص (٤٣)، والسجدة (٢٣)، وفصلت (٤٥)، وسورة الأحقاف (١٢).

(٦) ينظر: فاندر، ميزان الحق، ص٥٦. نقلًا عن مرمرجي، كلمة توراة، ص٥٠١.

(٧) ينظر: فاندر، ميزان الحق. نقلًا عن مرمرجي، كلمة توراة ص٥٠٠.

فالقرآن لا يقصد بالكتاب الأسفار المقدسة أو الكتاب المقدس - عند فاندر أو اليهود - قطعاً فكلمة الكتاب وردت في القرآن خاصة وعامة، فقد أطلقت على التوراة وحدها، وعلى الإنجيل بمفرده ﴿.. وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ﴾[1]، وعلى الاثنين معاً ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ..﴾[2].

ومرة على القرآن وأخرى على جنس الكتب المنزلة ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ..)[3]. فالكتاب الأول: تعريف العهد، لأنه عني به القرآن والثاني: تعريف الجنس، لأنه عني به جنس الكتب المنزلة[4].

ومن هٰذا يظهر أن ليس المراد (بالكتاب) ما يسميه اليهود والمسيحيون (الكتاب المقدس) الذي هو عبارة عن كتابات مختلفة لمؤلفين عديدين كتبت في عصور متفاوتة وبيئات متباينة وأماكن متباعدة على مدى نحو ألف وخمسمائة عام.

ولٰكن مما يؤسف له أن بعض كتاب المسلمين - هم أيضاً - أطلقوا اسم التوراة على كتب العهد القديم كلها دون أن يعتمدوا أي دليل[5]. ونستخلص مما سبق أن لفظة التوراة لا تشمل - في الحقيقة - إلّا الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم المنسوبة لسيدنا موسى عليه السلام. وهي لا تشمل - إلّا مجازاً -[6] العهد القديم كله فضلًا عن العهد الجديد - أو الكتاب المقدس كله، وأكبر دليل على ما نقول هو نسخ الكتاب المقدس الموجود عند اليهود والمسيحيين جميعهم، فإننا لا نجد واحدة منها معنونه باسم (التوراة) أبداً.

---

(١) ينظر: سورة البقرة/ الآية (١١٧). (٢) ينظر: سورة المائدة/ الآية (٦٨).

(٣) ينظر: سورة المائدة/ الآية (٤٨).

(٤) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٦/ ٢٠٩ - ٢١٠. وينظر: الزمخشري، الكشاف، ١/ ٦١٨.

(٥) ينظر: شيبة، الأديان والفرق، ص١٧ - ١٨.

(٦) ينظر: البستاني، دائرة المعارف ١/ ٢٦٤. وينظر: شلبي، اليهودية ٢٣٠. وينظر: مراد كامل، الكتب التاريخية ص٦٠٥. وينظر: طنطاوي (الدكتور محمد عزة...) بنو إسرائيل في القرآن والسنة دار حراء بالقاهرة ١٩٦٨ م - ١/ ٨٥. وينظر: دروزة (محمد عزة...) التفسير الحديث. وينظر: عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٦٨ م - ١/ ١٣٨. وينظر: الهندي (رحمة الله بن خليل الرحمٰن...) إظهار الحق، مطابع فنارة القاهرة ١٩٧٨ م - ص٤٧.

وإذا عرفنا ذٰلك تحقيقاً وتأكيداً فلا تبقى قيمة لرأي من قال:

[جاءت (التوراة) عند اليهود بمعنى أسفار موسى، ثم أطلقت بعد ذٰلك على أسفار الأنبياء، وجميع الكتب المنزلة عندهم، ولما جاء النصارى أطلقوها على أسفارهم لأنهم يعتبرون أسفار اليهود وأسفارهم كتاباً واحداً مقسوماً إلى عهدين قديم وجديد، وهٰذا رأي علماء المسلمين وعلماء النصارى، إذ عرفوا التوراة بالكتاب، والكتاب بالتوراة][1].

***

(١) ينظر: مرمرجي، كلمة توراة، ص٥٠٤. وينظر: شيبة، الأديان، ص١٧ - ١٨.

المبحث الثالث
الألفاظ المرادفة للتناقض

(أ) **التباين**: التباعد والافتراق. ومنه قولهم الكليان إن تفارقا كلياً من الجانبين فمتباينان يعني لم يصدق كل منهما كلياً على ما صدق عليه الآخر فالكليان متباينان والنسبة بينهما نسبة التباين ومرجعه إلى سالبتين كليتين كالإنسان والفرس. فانك تقول لا شيء من الإنسان بفرس ولا شيء من الفرس بإنسان. ثم التباين إما (كلي) كما عرفت أو (جزئي) وهو صدق كل منهما بدون الآخر في الجملة (والتباين الجزئي) أعم من التباين الكلي لأن التباين الجزئي إما أن يتحقق في ضمن التباين الكلي أو العموم من وجه لأن الكليتين إذا لم يتصادقا في بعض الصور فأن لم يتصادقا في صورة أصلًا فهو التباين الكلي وإلا فالعموم من وجه. والتباين عند أهل الحساب نسبة بين عددين من النسب الأربع التي أثبتوها بين الأعداد وهي (التماثل) و(التداخل) و(التوافق) و(التباين) والوجه في انحصار النسب بين عددين في الأقسام الأربعة المذكورة إنك إذا نسبت عدداً إلى عدد آخر فأن ساوى أحدهما الآخر فهما متماثلان كأربعة رجال وأربع نساء. وإلَّا فإن كان الأقل منهما مغنياً للأكثر منهما متداخلان كالاثنين والستة.

وإن لم يكن متفقا له فإما أن يفنيهما عدد غير الواحد فهما متوافقان كالستة والثمانية أولا يفنيهما غيره فهما متباينان كالخمسة والستة[1].

(ب) **التضاد**: هو التباين والتقابل التام، وضد الشيء خلافه.

وهو أيضاً كون الشيئين الموجودين متقابلان بحيث لا يكون تعقل كل منهما بالقياس

---

(١) ينظر: محمد رضا المظفر/ المنطق (مجموعة المحاضرات التي ألقيت في كلية منتدى النشر بالنجف الأشرف) ٢/ ٤٤. وينظر: عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد القاضي/ جامع العلوم في اصطلاحات الفنون/ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان/ ج١/ ص٢٧٢.

إلى الآخر كما بين السواد والبياض. وعند أرباب البديع التضاد هو الطباق والمطابقة[١].

والمتضادتان هما المختلفتان في الكيف دون الكم، وكانتا كليتين.

وسميتا متضادتين لأنهما كالضدين يمتنع صدقهما معاً ويجوز أن يكذبا معاً.

ومعنى ذٰلك أنه إذا صدقت أحدهما لا بد أن تكذب الأخرى، ولا عكس، أي لو كذبت أحدهما لا يجب أن تصدق الأخرى.

فمثلًا إذا صدق (كل ذهب معدن) يجب أن يكذب (لاشيء من الذهب بمعدن).

ولٰكن إذا كذب (كل معدن ذهب) لا يجب أن يصدق (لا شيء من المعدن بذهب)، بل هٰذه كاذبة في المثال[٢].

والتضاد: هو نقض في الوجود[٣].

والضد: ما كان مبايناً للشيء ومعانداً... شأنه أن يبطل كل واحد منهما الآخر ويفسده إذا اجتمعا... وذٰلك عام في كل شيء يمكن أن يكون له ضد، والضدان هما في رتبة واحدة من الوجود... إن ما كان له ضد فله مادة مشتركة بينه وبين ضده[٤].

وإن كل ماله ضدٌ فأن كمال وجوده هو يعدم ضده[٥].

وإن الضدَّ والعدم ليسا يناقضان الملكة والضد الآخر، ولٰكن يلزم أن يناقضا مقابلهما[٦]. وإن الضد هو الغاية في المباينة[٧].

والمتضادان: هما اللذان لا يقتسمان الصدق والكذب ما لم يكن موضوعهما موجوداً.

---

(١) ينظر: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد/ جامع العلوم في اصطلاحات الفنون/ ١/ ٣١٣.

(٢) ينظر: محمد رضا المظفر/ المنطق (مجموعة المحاضرات التي ألقيت في كلية منتدى النشر بالنجف الأشرف) سنة ١٣٢٧ هـ/ ج٢/ ص٤٧.

(٣) ينظر: الفارابي/ آراء أهل المدينة الفاضلة/ تقديم وشرح/ إبراهيم جزيني/ منشورات دار القاموس الحديثة - بيروت/ ص٦٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه/ ص٢٩.

(٥) ينظر: أرسطو/ السياسة/ ص٤٤.

(٦) ينظر: الفارابي/ شرح العبارة/ ص١٥٩.

(٧) ينظر: المصدر نفسه/ ص١٩٥.

(ج) **التعارض**: يعني: التناقض فإن وقع في الخبر أوجب كون واحد منهما كذباً ولذلك لا يجوز التعارض في الأخبار من الله تعالى ورسوله وإن وقع في الأمر والنهي والأحكام فيتناقض فيرفع الأخير الأول ويكون نسخاً وهذا متصور وإذا عرفت إن التعارض هو التناقض فلا يتصور التعارض في الفعل لأنه لا بد من فرض الفعلين في زمانين أو في شخصين فيمكن الجمع بين وجوب أحدهما وتحريم الآخر فلا تعارض: فإن قيل فالقول أيضاً لا يتناقض إذ يوجد القولان في حالتين وإنما يتناقض حكمها فكذلك يتناقض حكم الفعلين قلنا إنما يتناقض حكم القولين لأن القول الأول اقتضى حكماً فيقطع القول الثاني دوامه والفعل لا يدل أصلًا على حكم ولا على دوام حكم نعم لو أشعرنا الشارع بأنه يريد بمباشرة فعل بيان دوام وجوبه ثم ترك ذلك الفعل بعده كان ذلك نسخاً وقطعاً لدوام حكم ظهر بالفعل مع تقدم الإشعار فهذا القدر ممكن، وأما التعارض بين القول والفعل فممكن بأن يقول قولًا يوجب على أمته فعلًا دائماً وأشعرهم بأن حكمهم ابتداء ونسخاً ثم فعل خلافه أو سكت على خلافه كأن الأخير نسخاً وإن أشكل التاريخ وجب طلبه وإلا فهو متعارض. كما روى أنه قال في السارق وإن سرق خلسة فاقتلوه ثم أتى بمن سرق خامسة فلم يقتله فهذا إن تأخر فهو نسخ القول بالفعل وأن تأخر القول فهو نسخ ما دلّ عليه الفعل(١).

وقد قال قوم إذا تعارضا وأشكل التاريخ يقدم القول لأن القول بيان بنفسه بخلاف الفعل ليس بياناً بنفسه فسلم ولكن كلا منا في فعل صار بياناً لغيره وبعد أن صار بياناً لغيره فلا يتأخر عما كان بياناً بنفسه، وأما خصوص الفعل فمسلّم أيضاً ولكن كلا منا في فعل صار بياناً لغيره وبعد أن صار بياناً لغيره فلا يتأخر عما كان بياناً بنفسه وأما خصوص الفعل فمسلّم أيضاً ولكن كلامنا في فعل لا يمكن على خاصيته(٢).

(د) **الاختلاف**: ضد الاتفاق. والفرق بينه وبين الخلاف إن الاختلاف يستعمل في القول المبني على دليل، على حين أن الخلاف لا يستعمل إلَّا فيما لا دليل عليه. والاختلاف عند بعض المتكلمين هو كون الموجودين غير متماثلين وغير متضادين.

---

(١) ينظر: الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي/ المستصفى من علم الأصول/ مكتبة المثنى - بغداد/ الجزء الثاني/ ٢٢٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ٢/ ٢٢٦.

وطريقة الاختلاف في المنطق تقول قاعدتها: إذا كانت الحالتان اللتان تقع الظاهرة في إحداهما، ولا تقع في الأخرى، متفقتين في جميع الظروف إلَّا في ظرف واحد، فأن هٰذا الظرف الوحيد الذي تتفقان فيه هو نتيجة تلك الظاهرة، أو علتها، أو الجزء الضروري من علتها.

وطريقة الاختلاف مقابلة لطريقة الاتفاق، أي لطريقة التلازم في الوقوع، وهي أكثر خطورة منها في البرهان على صدق الفرضية، حتى لقد سماها العلماء بالطريقة الحاسمة وقالوا: أن خير طريقة للبرهان على أن حادثة ما تلعب دور العلة في حادثة أخرى هي أن ترفع الأولى فترفع الثانية معها[(١)].

وإن الاختلاف في القضيتين المتناقضتين يجب أن يكون في أمور ثلاثة: (الكم والكيف والجهة).

الاختلاف بالكم والكيف:

أما الاختلاف بالكم والكيف، فمعناه أن إحداهما إذا كانت موجبة كانت الأخرى سالبة، وإذا كانت كلية كانت الثانية جزئيه لأنهما لو كانتا موجبتين أو سالبتين لجاز أن يصدقا أو يكذبا معاً.

ولو كانتا كليتين لجاز أن يكذبا معاً، كما لو كان الموضوع أعم. ولو كانتا جزئيتين لجاز أن يصدقا معاً كما لو كان الموضوع أيضاً أعم. نحو: بعض المعدن حديد، وبعض المعدن ليس بحديد.

الاختلاف بالجهة:

أما الاختلاف بالجهة، فأمر يقتضيه طبع التناقض كالاختلاف بالإيجاب والسلب، لأن نقيض كل شيء رفعه فكلما يرفع بالإيجاب بالسلب والسلب بالإيجاب، فلا بد من رفع الجهة بجهة تناقضها.

ولٰكن الجهة التي ترفع جهة أخرى قد تكون من إحدى الجهات المعروفة،

---

(١) ينظر: د. جميل صليبا/ المعجم الفلسفي/ دار الكتاب اللبناني/ بيروت/ ط١/ ١٩٧١ م/ ج١، ص٤٧.

فيكون لها نقيض صريح مثل رفع الممكنة العامة بالضرورية وبالعكس، لأن الإمكان هو سلب الضرورة.

وقد لا تكون من الجهات المعروفة التي لها عندنا اسم معروف، فلا بد أن نلتمس لها جهة من الجهات المعروفة تلازمها، فنطلق عليها اسمها فلا يكون نقيضاً صريحاً، بل لازم النقيض.

مثلًا (الدائمة) تناقضها (المطلقة العامة) ولٰكن لا بالتناقض الصريح، بل إحداهما لازمة لنقيض الأخرى. فإذا قلت: (الأرض متحركة دائماً) فنقيضاً الصريح سلب الدوام، ولٰكن سلب الدوام ليس من الجهات المعروفة، فنلتمس له جهة لازمة، فنقول: لازم عدم الدوام أن سلب التحرك عن الأرض حاصل في زمن من الأزمنة أي (أن الأرض ليست متحركة بالفعل). وهٰذه مطلقة عامة تكون لازمة لنقيض الدائمة. وإذا قلت: (كل إنسان كاتب بالفعل)، فنقيضها الصريح أن الإنسان لم تثبت له الكتابة كذٰلك، أي بالفعل. ولازم ذٰلك دوام بالسلب أي (أن بعض الإنسان ليس بكاتبٍ دائماً) وهٰذه دائمة وهي لازمة لنقيض المطلقة العامة[1].

***

(١) ينظر: محمد رضا مظفر/ المنطق (مجموعة المحاضرات)، ٢/ ٤٤.

المبحث الرابع
التوراة في القرآن الكريم

المطلب الأول: التوراة في القرآن الكريم

من المعروف إن التوراة هي الكتاب الذي أنزل على نبي الله موسى عليه السلام. وقد جاءت الآيات القرآنية في ضوء ذلك، مؤكدة نبوة موسى عليه السلام، وكون التوراة كتاب الله المنزل على نبيه موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾(١).

يقول الإمام القرطبي في الآية: [لما بين يديه]، يعني من الكتب المنزلة، والتوراة معناها الضياء والنور(٢)، «ويقول الحافظ ابن كثير: وقوله [وأنزل التوراة] أي على موسى بن عمران»(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾(٤). قال ابن جريج: الكتاب الكتابة والخط، وقيل كتاب التوراة والإنجيل علمّه الله عيسى عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾(٥)، ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي مقرراً لها ومثبتاً(٦).

---

(١) سورة آل عمران/ الآية (٣).

(٢) ينظر: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن ط٣/ ج٤/ ص٥.

(٣) ينظر: الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي/ ت ٧٧٤هـ/ تفسير القرآن العظيم/ دار أحياء الكتب العربية/ الجزء الأول/ ص٣٤٤.

(٤) سورة آل عمران/ الآية ٤٨.

(٥) سورة آل عمران/ الآية ٥٠.

(٦) ينظر: ابن كثير/ تفسير القرآن العظيم/ ص٣٦٥.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلَّا من بعده).

قال الزجاج: هٰذه الآية أبين حجة على اليهود والنصارى، إذ التوراة والإنجيل أُنزلا من بعده وليس فيهما اسم لواحد من الأديان، واسم الإسلام في كل كتاب. يُقال كان بين إبراهيم وموسى ألف سنة، وبين موسى وعيسى ألف سنة ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ دحوض حجتكم وبطلان قولكم[١].

وقوله تعالى: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾. قال ابن عباس لما أصاب يعقوب عليه السلام عرق النسا وصف الأطباء له أن يجتنب لحوم الإبل فحرمها على نفسه، فقالت اليهود إنما نحرم على أنفسنا لحوم الإبل، لأن يعقوب حرّمها وأنزل الله تحريمها في التوراة، فأنزل الله هٰذه الآية. قال الضحاك: فكذبهم الله وردّ عليهم فقال يا محمد ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فلم يأتوا. فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ قال الزجاج: في هٰذه الآية أعظم دلالة لنبوءة محمد نبينا ﷺ، أخبرهم أنه ليس في كتابهم، وأمرهم أن يأتوا بالتوراة فأبوا، يعني عرفوا أنه قال ذٰلك بالوحي. وقال عطية العوفي: إنما كان ذٰلك حراماً عليهم بتحريم يعقوب ذٰلك عليهم، وذٰلك إن إسرائيل قال حين أصابه عرق النسا: والله لئن عافاني الله منه لا يأكله لي ولد، ولم يكن ذٰلك محرماً عليهم. وقال الكلبي: لم يحرمه الله عز وجل في التوراة عليهم وإنما حرمه بعد التوراة بظلمهم وكفرهم، وكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنباً عظيماً حرم الله تعالى عليهم طعاماً طيباً، أو صب عليهم رجزاً وهو الموت[٣]. وقوله تعالى: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾[٤]. قوله تعالى: ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ قال الحسن: هو الرجم، وقال قتادة: هو القود، ويقال هل يدل قوله تعالى: ﴿فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ﴾ على أنه لم ينسخ؟ الجواب: قال

(١) ينظر: القرطبي/ الجامع لإحكام القرآن/ ج٤/ ص١٠٧.   (٢) سورة آل عمران/ الآية ٩٣.
(٣) ينظر: القرطبي/ الجامع لإحكام القرآن/ ج٤/ ص١٣٥.   (٤) سورة المائدة/ الآية ٤٣.

أبو عليّ: نعم، لأنه لو نسخ لم يطلق عليه بعد بالنسخ إنه حكم الله، كما لا يطلق إن حكم الله تحليل الخمر أو تحريم السبت[١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ أي بيان وضياء وتعريف أن محمداً ﷺ حق ﴿هُدًى﴾ في وضع رفع الابتداء ﴿وَنُورٌ﴾ عطف عليه. ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾.

قيل المراد بالنبيين محمد ﷺ وعبر عنه بلفظ الجمع. وقيل: كل من بعث من بعد موسى بإقامة التوراة، وان اليهود قالت: إن الأنبياء كانوا يهوداً. وقالت النصارى كانوا نصارى، فبين الله عز وجل كذبهم ومعنى ﴿أَسْلَمُوا۟﴾ صدقوا بالتوراة من لدن موسى إلى (زمان) عيسى (عليهما السَّلام) وبينهما ألف نبي، ويقال أربعة آلاف ويقال أكثر من ذٰلك كانوا يحكمون بما في التوراة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾، أي جعلنا عيسى يقفو آثارهم، أي النبيين الذين أسلموا. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني التوراة، فأنه رأى التوراة حقاً، ورأى وجوب العمل بها[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾[٦].

وإقامة التوراة والإنجيل العمل بمقتضاهما وعدم تحريفهما[٧].

---

(١) ينظر: القرطبي/ الجامع لإحكام القرآن/ ج٦/ ص١٨٨. (٢) سورة المائدة/ الآية ٤٤.
(٣) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج٦/ ص١٨٨. (٤) سورة المائدة/ الآية (٤٦).
(٥) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج٦/ ص١٨٨. (٦) سورة المائدة/ الآية (٦٦).
(٧) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج٦/ ص٢٤١.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾[1]. قال ابن عباس: جاء جماعة من اليهود إلى النبي محمد ﷺ فقالوا: ألست تُقِرّ أن التوراة حتى من عند الله؟ قال «بلى». فقالوا: فأنا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها، فنزلت الآية، أي لستم على شيء من الدين حتى تعلموا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد عليه السلام، والعمل بما يوجبه ذلك منهما.

وقال أبو عليّ: يجوز أن يكون ذلك قبل النسخ لهما[2].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾[3]. فالكتاب، يشمل الكتب السابقة، وخصوصاً التوراة، فإنه من أعلم أنبياء بني إسرائيل - بعد موسى - بها. ويشمل الإنجيل الذي أنزله الله عليه. والحكمة هي:

معرفة أسرار الشرع، وفوائده، وحكمه، وحسن الدعوة، والتعليم، ومراعاة ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي[4].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[5].

روى البخاري قال: حدثنا محمد بن سنان قال حدثنا فليح قال حدثنا هلال عن عطاء بن يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت: أخبرني عن صفة

---

(١) سورة المائدة/ الآية (٦٨).

(٢) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج٦/ ص٢٤٥.

(٣) سورة المائدة/ الآية (١١٠).

(٤) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج٦/ ص٣٦٢.

(٥) سورة الأعراف/ الآية (١٥٧).

رسول الله ﷺ في التوراة. فقال:

أجل والله أنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾[١]، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولٰكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إلٰه إلا الله، ويفتح لها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾[٣].

إخبار من الله تعالى إن هٰذا كان في هٰذه الكتب وإن الجهاد ومقاومة الأعداء أصله من عهد موسى عليه السلام[٤].

وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[٥].

قال الفراء: فيه وجهان، إن شئت قلت المعنى ذٰلك مثلهم في التوراة وفي الإنجيل أيضاً، كمثلهم في القرآن فيكون الوقف على ﴿الْإِنجِيلِ﴾. وإن شئت قلت، تمام الكلام ذٰلك مثلهم في التوراة، ثم ابتدأ فقال: ومثلهم في الإنجيل. وكذا قال ابن عباس وغيره: هما مثلان، أحدهما في التوراة والأخر في الإنجيل وقال مجاهد: وهو مثل واحد، يعني أن هٰذه صفتهم في التوراة والإنجيل[٦].

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ

---

(١) سورة الأحزاب/ الآية (٤٥).

(٢) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج٧/ ص٢٩٩.

(٣) سورة التوبة/ الآية (١١١).

(٤) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج٨/ ص٢٦٦.

(٥) سورة الفتح/ الآية (٢٩).

(٦) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج١٦/ ص٢٩٤.

مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾(١).

أي وأذكر لهم هٰذه القصة أيضاً وقال: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ولم يقل (يا قوم) كما قال موسى عليه السلام، لأنه لا نسب له فيهم فيكونون قومه ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾ أي بالإنجيل ﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ لأن في التوراة صفتي وأني لم آتيكم بشيء يخالف التوراة فتنفروا عني(٢).

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾(٣).

ضرب مثلًا لليهود لما تركوا العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ أي كُلفوا العمل بها، عن ابن عباس. وقال الجرجاني: هو من الحمالة بمعنى الكفالة، أي ضمنوا أحكام التوراة. ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ هي جمع سفر، وهو الكتاب الكبير، لأنه يسفر عن المعنى إذا قرئ. قال ميمون بن مهران: الحمار لا يدري أسفرٌ على ظهره أم زبيل، فهكذا اليهود. وفي هٰذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه، لئلا يلحقه من الذم ما لحق هٰؤلاء(٤). وقد وردت آيات في القرآن الكريم فيها دلالات واضحة على معنى التوراة ومن هٰذه الآيات. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾(٥).

وفيه المراد بالكتاب: التوراة بإجماع المتأولين. واختلف في الفرقان، فقال الفراء ومُطرُب:

المعنى أتينا موسى التوراة ومحمداً ﷺ الفرقان.

قال النحاس: هٰذا خطأ في الإعراب والمعنى، أما الإعراب فإن المعطوف على الشيء مثله، وعلى هٰذا القول يكون المعطوف على الشيء خلافه. وأما المعنى فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾(٦). قال أبو إسحاق الزجاج: يكون الفرقان هو الكتاب، أعيد ذكره باسمين تأكيداً. وقال ابن زيد:

---

(١) سورة الصف/ الآية (٦).

(٢) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج١٨/ ص٨٢.

(٣) سورة الجمعة/ الآية (٥).

(٤) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج١٨/ ص٩٤.

(٥) سورة البقرة/ الآية (٥٣).

(٦) سورة الأنبياء/ الآية (٤٨).

الفرقان انفراق البحر له حتى صار فرقاً فعبروا وقيل الفرقان الفرج من الكرب، لأنهم كانوا مستعبدين مع القبط.

ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢٩﴾[1]، أي فرجاً ومخرجاً. وقيل أنه الحجة والبيان[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ۝٨٧﴾[3]. والمراد بالكتاب هنا هو التوراة[4].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ۝٨٩﴾[5] والمراد بالكتاب أيضاً هو التوراة[6].

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٧﴾[7].

ومن قبله أي من قبل الإنجيل ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ رفع بالابتداء، قال أبو إسحاق الزجاج:

والمعنى ويتلوه من قبله كتاب موسى بالنصب. وحكاها المهدوي عن الكلبي، يكون معطوفاً على الهاء في ﴿وَيَتۡلُوهُ﴾ والمعنى ويتلو كتاب موسى جبريل عليه السلام. وكذلك قال ابن عباس (رضي الله عنهما) المعنى من قبله تلا جبريل كتاب موسى على موسى. ويجوز على ما ذكره ابن عباس أيضاً من هذا القول أن يرفع ﴿كِتَٰبُ﴾ على أن يكون المعنى: ومن قبله كتاب موسى كذلك أي تلاه جبريل

---

(١) سورة الأنفال/ الآية (٢٩).

(٢) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج١/ ص٣٩٩.

(٣) سورة البقرة/ الآية (٨٧).

(٤) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج٢/ ص٢٣.

(٥) سورة الأنعام/ الآية (٨٩).

(٦) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج٧/ ص٣٤.

(٧) سورة هود/ الآية (١٧).

(٨) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج٩/ ص١٦-١٧.

على موسى كما تلا القرآن على محمد[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾[١]. يعني وأكرمنا موسى بالكتاب وهو التوراة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾﴾[٣].

ويريد بالكتاب هنا التوراة أيضاً[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾[٥].

يعني التوراة. قاله قتادة. قال يحيى بن سلام هو أول كتاب (يعني التوراة) نزلت فيه الفرائض والحدود والأحكام[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾[٩]. ونعني هذه الآيات هو التوراة[١٠].

***

(١) سورة الإسراء/ الآية (٢).
(٢) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج١٠/ ص٢١٢.
(٣) سورة الفرقان/ الآية (٣٥).
(٤) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج١٣/ ص٣٠.
(٥) سورة القصص/ الآية (٤٣).
(٦) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ ج١٣/ ص٢٩٠.
(٧) سورة السجدة/ الآية (٢٣).
(٨) سورة فصلت/ الآية (٤٥).
(٩) ينظر: سورة الأحقاف/ الآية (١٢).
(١٠) ينظر: القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن/ الأجزاء على التوالي ج١٤ وج١٥ وج١٦/ الصفحات على التوالي ص١٠٨ وص٣٧٠ وص١٩١.

المطلب الثاني: كُتّاب التوراة

كُتاب التوراة:

إن مجموعة أسفار العهد القديم[١] قد جمعها رجال السنهدرين الذي تأسس عقب رحلة أحفاد المُرحلين إلى بابل الذي رغبوا في البحرة إلى أورشليم بعد سقوط بابل على يد كورش الملك الفارسي سنة ٥٣٨ ق.م، وكان السنهدرين مؤلفاً من مائة وعشرين عضواً بينهم عزراً ونحمياً وزورو بابل (حفيد يهوياكيم) ودانيال وحجاي وزكريا ملاكي ومردوخاي وقد كان اليهود يأملون أن يسمح لهم كورش الفارسي أن يعيدوا بناء دولة يهوذا، إلّا أنه منعهم عن ذلك فانشغلوا بجمع التوراة وبناء الهيكل المقدس[٢].

وقد جمع هذا الكتاب في عهد عزرا الكاتب الهاروني ومجموع أسفاره تسعة وثلاثون سفراً يطلق عليه العهد القديم وتمييزاً له عن العهد الجديد إنجيل المسيحيين، وقد يحسب كل سفر مزدوجًا مثل صموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني والأخبار الأول والثاني سفراً واحداً وعزرا ونحميا وأسفار الملوك الأثني عشر سفراً واحداً، فيكون مجموعها أربعة وعشرين سفراً، مجوع إصحاحاتها ٩٢٩ إصحاحاً.

ويطلق على العهد القديم مصطلح (تناخ) حيث إنه مأخوذ من الحروف الأولى الأقسام الكتاب الثلاثة وهي التوراة، الأنبياء، الكتب المقدسة (الأخبار)[٣].

ويقرر التاريخ أن موسى عليه السلام كتب نسخة التوراة ووضعها مع اللوحين في التابوت[٤]، مرت الأيام، وظهر في بني إسرائيل كثير من الفجرة والكفرة حتى جاء عهد سليمان وفتح التابوت بعد أن وضع في الهيكل، فلم توجد به نسخة التوراة،

---

(١) إن أول من أطلق لفظ العهد القديم هو بولص الرسول في رسالة الثانية إلى أهل كورنثوس (إصحاح ٣/ ١٤). ينظر: د. فؤاد حسنين/ التوراة الهيروغليفية/ القاهرة (بدون تاريخ).

(٢) ينظر: تاريخ الآلهة/ الكتاب الثالث، ص٩٥.

(٣) ينظر: د. سعدون الساموك. ورشدي عليان/ تاريخ الربانيين اليهودية والمسيحية/ مديرية دار الكتب للطباعة والنشر/ جامعة الموصل/ عام ١٩٨٨م، ص٣٦.

(٤) ينظر: خرو: ٢٥: ٢١.

وإنما وجُد به اللوحان الحجريان فقط، وقد جاء في الكتاب المقدس عن ذٰلك (...لم يكن في التابوت إلّا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر)[١].

وحدثت بعد سليمان أحداث دينية عجيبة، وصلت إلى الردة وعبادة الأوثان وعبادة آلهة الأقوام المجاورين، وتعرض بيت المقدس للسلب والنهب والتدمير عدة مرات، وبُني مذبح للأصنام في فناء بيت المقدس ولم يُعد هناك ذكرٌ للتوراة ولا صلة بها، وبعد سقوط مملكة إسرائيل، بقيت مملكة يهوذا تعاني صوراً من الاضطراب والفوضى، وكان اتجاهها غالباً إلى الزندقة والكفر، وقبيل سقوطها آل السلطان إلى الملك يوشيا ابن آمون (حوالي ٦٢٩ - ٥٩٨ ق. م) وحال هٰذا إلى العودة للإيمان واتباع التوراة رجاء أن يكون في هٰذا إنقاذ مملكته من الفوضى والدمار، وكان يعاصره كاهن اسمه حلقيا انتهز فرصة هٰذا الميل في الملك فأدعى - بعد سبعة عشر عاماً من حكم يوشيا - أنه وجد نسخة التوراة في بيت المقدس، وأعطاها إلى شافان الكاتب[٢].

ولا يقبل الباحثون إدعاء حلقيا، إذ لا يعقل أن توجد نسخة التوراة في بيت المقدس ولا يراها أحد قبل يوشيا ولا خلال السبعةَ عشَر عاماً الأولى من حكمة، وكما يرى الباحثون أن حلقيا أنتهز فرصة ميل يوشيا إلى العودة لدين الله والعمل بالتوراة، فكيف خلال هٰذه الأعوام السبعة عشر ما أسماه أسفار التوراة، وليس ذٰلك في الحقيقة إلّا من مخترعاته ومما سمعه من أفواه الناس، بقي أن تقتبس جملة واحدة من الباحث العلامة ول ديورانت الذي يقرر أنه لم يبق لدينا من شريعة موسى سوى الوصايا العشر[٣].

وحقيقة القول أن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقة لأنها كانت تختلف عما أرادوا من طباع وخلق، وكتبوا سواها

(١) ١ مل: ٨: ٩.

(٢) ينظر: إظهار الحق/ الشيخ رحمة الله الهندي/ دار الكتب العلمية - بيروت لبنان/ ط١/ ١٩٩٣ م/ ص٣٢٣ - ٣٢٥.

(٣) ينظر: ول ديورانت/ قصة الحضارة/ ج٢/ ص٣٧١.

مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة، فعن أسفار موسى مثلًا أنه لا يوجد بها من قريب أو من بعيد ما يفيد أن موسى هو الذي جاء بها، أنزلت عليه، بل على العكس من ذٰلك يوجد ما يقرر خطأ نسبة هٰذه الأسفار إلى موسى، وفيما يلي اقتباسات من هٰذه الأسفار تدعم هٰذه الحقيقة:

جاء في سفر التثنية ما يلي: (فمات موسى عبد الرب في أرض مؤاب، ولم يعرف).

وليس من المعقول أن يكتب موسى ذٰلك عن نفسه.

وجاء في نفس السفر (ولم يقم بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى)[١]. ومن الواضح أن مثل هٰذه العبادة لا تقال إلَّا بعد موت موسى بزمن ليس بقصير.

وجاء في سفر التكوين ما يلي: (وهٰؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما مَلَكَ مَلِكٌ لبني إسرائيل)[٢]. وهٰذه الفقرة تدل على إنها كتبت في عهد مُلْك بني إسرائيل أو بعده، وعهد مُلْك بني إسرائيل متأخر عن موسى بعشرات السنين أو بمئات السنين.

ومن هٰذا ندرك أن أسفار التوراة ليست من صنع موسى وإنما نسبت له لكثرة ورود اسمه بها.

ويقول الباحث J.smith عن سفر الخروج: إن هٰذا الذي نقرأُه بين أسفار الكتاب المقدس، لم يكتب إلَّا بعد فترة طويلة من الأحداث الواردة فيه، وربما كانت هٰذه الأحداث محفوظة جيلًا عن جيل، إذ كان بعضها، كما لا يزال الحال حتى الآن، ضمن التلاوة الدينية التي يرتلها رجال الدين في المناسبات وبخاصة عيد الفصح[٣].

فإذا تركنا أسفار موسى إلى سواها من الأسفار وجدنا النتيجة نفسها، فأن هٰذه الأسفار نُسبت إلى غير مؤلفيها الحقيقيين، ويبدو أن المؤلفين كانوا متأخرين جداً عمن نُسبت لهم هٰذه الأسفار، وقد قرر الكتّاب الغربيون هٰذه الحقيقة، ويرى بعضهم أن سفر يوشع كتبه أرميا، وبين يوشع وأرميا أكثر من ثمانية قرون تقريباً، ويرى آخرون أنه تصنيف صموئيل، ويرى فريق ثالث أنه تصنيف فيخاس[٤]. وسفر

---

(١) تث: ٣٤: ١٠. (٢) تك: ٣٦: ٣١.

(٣) ٣٥ - ٣٤ Godand man in Early Israel p.p. (٤) ينظر: الهندي/ إظهار الحق/ ص٦٦.

القضاة ينسبه بعض الكتّاب الغربيين إلى حزقيال، وينسبه آخرون إلى عزرا، وينسبه فريق ثالث إلى فيخاس، وبين عزرا وفيخاس أكثر من تسعة قرون[١]، وسفر دانيال لا يمكن أن يكون قد كُتب في ذٰلك الزمن البعيد الذي عاش فيه دانيال، أي عندما سقطت بابل في يد الملك الفارسي كورش سنة ٥٣٨ ق.م بل لا بد أن يكون هٰذا السفر قد كُتب بعد ذٰلك بثلاثة قرون أو أربعة.

ويمتاز هٰذا السفر بما يلي:

١ - يتضمن هٰذا السفر كلمات مقدونية مع أن اليهود في زمن الأسر البابلي لم يكونوا قد خالطوا اليونانيين بعد ولا صكت أسماءهم اللغة اليونانية.

٢ - وفيه وصف للكلدانيين لا يتسنى الإتيان به لكاتب سابق على عصر الإسكندر.

٣ - أقتبس طرفا من أقوال إرميا وحزقيال وزكريا مع أن هٰؤلاء الأنبياء لم يكونوا قد وجدوا إبان الأسر البابلي[٢]، والأسفار المنسوبة إلى سليمان ليست إليه، ومثل هٰذا يقال عن كل الأسفار أو أكثرها. وإن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين، وقد كُتب بعضه في يهوذا وبعضه في إسرائيل، ثم تم التوافق بين ما كُتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود، والرأي الغالب أن سفر التثنية من كتابة عزرا، ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق. م[٣].

ومن يلاحظ سفر أخبار الأيام الأول والثاني فأن سفر أخبار الأيام الثاني يحمل نفس العبارات الموجودة في سفر عزراً ولٰكن بتغير طفيف أحياناً. وقد دعت هٰذه المسألة بعض الباحثين إلى الاعتماد بأن سفري أخبار الأيام الأول والثاني في الأصل يكونان مع سفر عزرا كتاباً واحداً في التأريخ. وسفر الأخبار يحويان محتويات لا تختلف كثيراً عن المحتويات التي وردت في أسفار موسى وفي أسفار الملوك، ففي سفر الأخبار الأول حديث عن آدم وأولاده، وعن الملوك الذين ملكوا

(١) ينظر المصدر نفسه/ ص٦٨.
(٢) ينظر: عصام الدين حنفي ناصف/ محنة التوراة على أيدي اليهود/ ص ٥٩ - ٦٠.
(٣) ينظر: ول ديورانت/ قصة الحضارة/ ٢/ ٣٦٧ - ٣٦٨.

أرض أدوم قبل بني إسرائيل، ويبدأ الإصحاح الثاني عهداً لبني إسرائيل من الأجداد إلى الأحفاد بتفاصيل واسعة حتى عهد داود وسليمان، وابتدأ من الإصحاح العاشر يتكلم السفر عن ملوك بني إسرائيل بعد الانقسام حتى السبي وعلى العموم فإن هٰذين السفرين اقتبسا أكثر ما بهما من الأسفار التي ورد الحديث عنها من قبل(١).

أما أسفار عزرا ونحميا فينسب سفر عزرا إلى عزرا الكاهن، ويبدو أنه عُزَيْر الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، ويقص هٰذا السفر قصة عودة بعض المسببين من بابل إلى أورشليم ثم يجيء في بعض النسخ - سفر يحمل الاسمين معاً (عزراً - نحمياً) ويلي ذٰلك سفر نحميا، ولو تتبعنا الأحداث التاريخية لكان سفر نحمياً جديراً بالتقدم على سفر عزرا، لأن نحميا سبق عزرا في الحضور إلى أورشليم، ولٰكن يبدو أن شخصاً واحداً هو الذي ألف سفر أخبار الأيام بقسميه وكذٰلك الأسفار والمنسوبة لعزرا ونحميا وكان ذٰلك حولي ٣٠٠ ق. م أي بعد عزرا ونحميا بأكثر من قرنيين(٢). وذٰلك على الرغم من أن في سفر نحميا عبارات كثيرة يتحدث فيها الكاتب عن نفسه متقمصاً شخصية نحميا، وقد تقدم سفر عزرا لأهمية هٰذا الكاهن في التاريخ اليهودي، ولأنه بعد أن حضر سبق نحميا في المكانة، وكان له قصب السبق في إعادة بناء الهيكل.

وقد تمكن نحميا بذكائه وحُسن سياسته من أن يؤثر على ملك الفرس فأذن له بالذهاب إلى أورشليم، لإعادة أسوارها وبناء أبوابها وتشييد قلاعها، وقد تمكن نحميا من إعادة بناء السور، ثم جاء عزرا ومعه ألف وثمانمائة شخص إلى أورشليم، وكان من بينهم رجال المعبد لإعادة شريعة يهوه، وأصبح عزرا نائباً عن الملك، يعين الموظفين ويوقع عليهم العقوبات وهكذا قام عزرا بحركة إصلاح ديني في القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت حركة معززة بالسلطة الحكومية التي كان يُمثلها عزرا في نفس الوقت، ويحوي السفر قانوناً، يفرض على الشعب الطاعة العمياء لعزرا لأنه يؤيد شريعة موسى، كما يسرد السفر أعمال الإصلاح الدينية والاجتماعية

---

(١) ينظر: د. أحمد شلبي/ مقارنة الأديان اليهودية/ مكتبة النهضة المصرية - القاهرة/ ط١/ ١٩٦٦ م/ ص٢١٦.

(٢) ينظر: د. أحمد شلبي/ مقارنة الأديان/ اليهودية/ ص٢١٧.

التي تُنسب إليه، ويُعد سفرا أخبار الأيام وأسفار عزرا ونحميا سلسلة متكاملة مستقلة تشمل تاريخ العالم من آدم إلى عزرا، حتى ليمكن بها الاستغناء عن باقي الأسفار التاريخية مع شيء من الاختصار وأسفار عزرا ونحميا هي أقدم الأسفار التي تتحدث عن اليهود بعد المنفى[(١)].

ومن يطالع سفر أيوب يرى أن قصة أيوب الواردة في العهد القديم فيها عناصر قصة أيوب التي أوردها القرآن الكريم، ولٰكن العهد القديم يصور أيوب حائراً بين الرضا والثورة، فهو أحياناً يرضى بما ينزل به، وأحياناً يثور ويتساءل: لماذا نزل بي كل هٰذا، فأيوب مؤمن بالله راضٍ بما قسم له، ولٰكن كان هناك دهان بين الله وبين الشيطان ويحاول الشيطان أن يثير التساؤل والسخط في نفس أيوب، ويعتبر الدارسون الغربيون سفر أيوب من أمتع الأسفار من الناحية الفلسفية والأدبية، ويقول عنه كارليل: هو كتاب نبيل وهو كتاب الناس أجمعين[(٢)].

أما المزامير فقد سمي بذٰلك الاسم لأنه يحوي مجموعة من الأغاني تُنْشَد بمصاحبة المزامير، فهٰذا السفر يناظر ما يُعرف في العربية بالتهاليل والتواشيح والتسابيح، وبعض المزامير طقوس دينية، وبعضها يتصل بالأعياد الإسرائيلية، وأكثر المزامير ترجع لداود، فله وحده ثلاثة وسبعون مزموراً وبالسفر مزامير أخرى لسليمان ولأساف الذي كان رئيس المغنين في عهد داود، وتنسب بعض المزامير لموسى[(٣)]. وتُنسب أسفار سليمان (الأمثال - الجامعة - نشيد الأناشيد) إلى سليمان، وليست في الحقيقة إليه، وليس في أسلوبها وحدة أو تناسق، فالسفر - فيما نعتقد - ليس من فعل شخص واحد ولا نتاج عصر واحد، وإنما هو من الآداب الشعبية التي تتناقلها الأجيال ويُدْخِلُ عليها كثير من الزيادة أو النقصان.

وكما تعدد الأشخاص الذين أَلَّفوا هٰذه الأمثال، فإن موضوعاتها متعددة أيضاً، فمنها أمثال دينية ومنها أمثال دنيوية، ومنها أمثال للتحذير والإنذار، ومنها ألغاز وهجاء[(٤)].

وبعض الأمثال تُردُ باسم سليمان كنصائح يوجهها لولده، وبعضها تُنسب

---

(١) ينظر: المصدر نفسه/ ص٢١٧.
(٢) ينظر: المصدر نفسه/ ص٢١٩.
(٣) ينظر: المصدر السابق نفسه/ ص٢٢٠.
(٤) ينظر: المصدر نفسه/ ص٢٢١.

لسليمان أيضاً ولٰكنها عامة ليست موجهة إلى أحد، وبعضها تُنسب إلى حكماء، حُدِّدت أسماؤها أولَمْ تُحدَّد، وممن حددت أسماؤهم (أجور بن ياقة) وبعض هٰؤلاء يوجهون الأمثال نصائح لأولادهم وبعضهم يطلقونها إطلاقاً، وبعض الأمثال تتصل بالملك (لموئيل) وهي عبارة عن نصائح أمه له لما صار ملكاً، ويُختم السفر بمدح للزوجة الصالحة، فهو يصفها بأنها (تفوق اللآلئ، بها يثق قلب زوجها، فلا يحتاج إلى غنيمة، تصنع له خيراً لا شراً كل أيام حياتها، تفتح فمها بالحكمة، وفي لسانها سُنَّة المعروف تُراقب طرق أهل بيتها، ولا تأكل خبز الكسل... الحُسْن غِشٌّ والجمال باطل أما المرأة المتقية الرب فهي تُمدح)[١].

أما سفر الجامعة فهو أيضاً نوع من الشعر الذي يُطلق عليه شعر الحكمة، وهو قريب الشبه بالإصحاحات الأولى سفر الأمثال، حيث يتحدث حكيم له خبرةُ ومعرفة يسميه السفر (الجامعة)[٢]، وقد يتشاءم أحياناً ويتشكل فيما حوله فيتكلم بعبارات الشك والإلحاد والزندقة.

أما سفر نشيد الأناشيد فهو عبارة عن موضوع غرامي أو هو غزل بين يهوه وبين إسرائيل يرتله اليهود حتى اليوم في عيد الفصح، وقد قُبل في الكتاب المقدس لأن فيه اسم سليمان، والحقيقية أنه ليس له، فهو أغانٍ شعبية من وضع الشعب ويرددها الشعب في عصور متعددة في مناسبات الزواج والزفاف.

أما أسفار الأنبياء وهي في النسخة الكاثوليكية ستة عشر سفراً، وتكاد تكون محتويات هٰذه الأسفار متشابهة، فهي أحياناً مهاجمة لسلوك بني إسرائيل ولمعبوداتهم التي مالوا إليها دون يهوه، وهي أحياناً تهديد لهم بالشر نظير سوء سلوكهم، وبعضها يتنبأ بسقوط دولتهم، وبعضها يحث على الخضوع للسلطات الخارجية وبعضها يتكلم عن المسيح المنتظر وهكذا، وترد الفكرة مع أكثر من نبي أحياناً، وليست نسبة هٰذه الأسفار للأنبياء دقيقة، وليس وضعهم في الكتاب المقدس مسلسلًا تسلسلًا تاريخياً، فعاموس الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد يجيء بعد ارميا الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد.

وسفر عوبديا يصور رؤيا تلقى فيها خطاباً من الرب يندد بإبادة كل رجل في

---

(١) ينظر: الإصحاح: ٣١.

(٢) ينظر: الإصحاح: ١٢: ٩.

جيل عيسو لأن أبناء عيسو جادوا على أبناء يعقوب، وسفر حبقوق عبارة عن وحي تلقاه هٰذا النبي ومناجاة لربه، وفيما يلي فقرات من الإصحاح الأول تشير إلى ما ذكرنا (الوحي رآه حبقوق النبي - حتى متى يارب أدعو وأنت لا تسمع، أصرخ إليك من الظلم وأنت لا تخلص...)[(١)].

وفي سفر حجّي، ما يدل على أن (الربّ كلف حجي ليكلم حاكم يهوذا وكاهنها الأكبر منددًا ببقاء بيته خرابًا، وبقولهم أنه لم يحن وقت بنائه بينما هم يسكنون في بيوت مغشاة)[(٢)]. وإن أكثر هٰؤلاء الأنبياء كان ظهورهم في فترة الانقسام، فالسبي، فما بعد السبي.

أما سفر المراثي فيرد بعد سفر ارميا ومنسوبًا له وفيها يبكي ارميا حالة يهوذا وأورشليم، وما نزل ببني إسرائيل من انحرافات، والمصير السيئ الذي آلت له دولتهم.

وهنالك أسفار زائدة قد اعترفت بها الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٥٤٦م، حيث لم يكن معترف بها قبل هٰذا التاريخ وهي سبعة أسفار، ومن الجدير بالذكر أن هٰذه الأسفار وضعت بعد الزمن الذي أتفق على أنه عصر العهد القديم. وهٰذه الأسفار هي:

سفر طوبيا وهو عبارة عن أسطورة وردت في العهد القديم وسفر يهوديت أيضًا أسطورة وليس هٰذا السفر تاريخيًا، وإنما هو أسطورة تصور آمال بني إسرائيل واتجاه حيلهم.

أما سفر الحكمة فينسب إلى سليمان هو في الحقيقة ليس له، ويتجه مؤلف السفر إلى ملوك الأرض والجبابرة بها بالا يغتروا بمكانتهم، وأن يُراعوا العدالة مع من يحكمون، فالحكمة لا تأوي إلى جسد المذنب، كما يتحدث السفر عن أثر الحكمة في الأحداث التاريخية من آدم حتى موسى (عليهم السَّلام).

أما سفر يسوع بن سيراخ فتنسب ليسوع أمثال كتلك التي تنسب لسليمان، ويسوع هٰذا رجل يهودي من أورشليم كثير التجوال والتراحل، له أسلوب رائع يصوغ به أفكاره عن الحكمة والرشد، ويُقرر يسوع أن مصدر الحكمة هو الله وإن الله يمنحها لبعض أحبائه، وفي السفر تعاليم أخلاقية وصور من السلوك، وهو ينصح من يريد الكلام أن يستعد له، ويرى من الحكمة إلَّا يستشير الإنسان حسودًا،

---

(١) ينظر: الإصحاح الأول: ١ - ٢.

(٢) الفقرات الأولى من الإصحاح الأول.

وألا يُعطي الجسد ما يضره[١].

وأن سفر باروخ فيُنسب إلى باروخ تلميذ ارميا وقد اختفى معه في الصحراء هرباً من رجال الدين اليهود الذين كانوا يعبدون بحل ويقدرون له الذبائح، وسفر باروخ أشتات من الأفكار، وليست به وحدة متناسقة.

أما سفرا المكابيون الأول والثاني فأن هٰذين السفرين يحويان تاريخ المكابيين ويشيدان ببطولة الأسرة المكابية وفي الكتابين حديث عن الإسكندر الأكبر وتراثه العقلي الذي عارضه اليهود، وكانت هٰذه المعارضة من أسباب الخلاف بينهم وبين السلطة الحاكمة[٢].

ومن الجدير بالذكر أن أسفار العهد القديم قد نسبت إلى هٰذه الأسماء التي ذكرناها مع كل سفر ولٰكن الحقيقة أن هٰذه النسبة غير صحيحة، وأن هٰؤلاء الذين نُسبت لهم الأسفار أو أكثرهم لم يكتبوها، أو لم يكتبوا حرفاً منها، وقد سبق أن أشرنا إلى هٰذا عند حديثنا عن بعض الأسفار، ورأينا أن بعض من نُسبت إليهم الأسفار ليس لهم وجود في التاريخ، وإنما وضعت قصصهم وضعاً لهدف معين وبعض الأسفار ليست في الحقيقة إلّا أساطير وأغنيات شعبية لصقها الكُتاب ببعض الأنبياء أو المتنبئين من اليهود[٣].

وإذا أضفنا إلى ما سبق ما تتميز به الأسفار من تعدد أساليب الكتابة، وطرق الإنشاء حتى في سفر الواحد وتكرر المفردات في مختلف الأسفار، وآثار التنقيح والتصحيح الظاهرة في أكثرهم، لظهر لنا جلياً مشاركة الأيدي العديدة في كتابة مجموعات التوراة، والأخذ بما أجمع عليه جميع النقاد منذ عهد أستروك، وهو أن هٰذه الأسفار كتبت من قبل أربع فئات معينة لكل منها مدرستها وعصرها. ولقد أطلق النقاد على كل منها تسمية خاصة تميزها عن سواها، فالفئة الأولى منها سميت بـ (اليهوائية) (Yahvistes) لاصطلاحها على تسمية الخالق بيهوى وزعمها أنه كان يدعى كذٰلك منذ القدم، ويوافق ظهورها للقرن التاسع قبل الميلاد وينسب إليها كتابة سير الآباء ويرمز إليها بالحرف (ل) والثانية هي المسماة بالألوهية

(١) ينظر: د. فؤاد حسنين/ التوراة/ في أمكنة متعددة. (٢) ينظر: المصدر نفسه/ في أمكنة متعددة.
(٣) ينظر: د. أحمد شلبي/ مقارنة الأديان اليهودية/ ص٢٢٩.

(Elohistes) لزعمها أن الخالق كان يدعى قبل عهد موسى بالوهيم، وظهرت للوجود بعد زمن قصير من ظهور اليهويست، واختصت أيضاً بسير الآباء ويرمز إليها بالحرف (E) والفئة الثالثة التثنوية (Deuteronomistes) نسبة لسفر التثنية الذي اختصت بكتابته ولها ظاهرة في عمليات التصليح والتنقيح في الأسفار الأخرى. وساهم أفرادها في الإصلاحات التي أدخلت على الديانة اليهودية في عهد يوشيا، وظهرت للوجود نحو عام ٦٢٢ قبل الميلاد ويرمز إليها بالحرف (D) والفئة الرابعة هي التي ظهرت في عهد المنفى واختصت في كتابة الشرائع والقوانين، وسميت بمدرسة الكهنوت (Ecole sacedogale) ويرمز إليها بالحرف (p)، وهي التي أوجدت ما يسمى بقوانين الكهنوت (Code sacerdotal) تحت إشراف النبي حزقيال(١)، وهٰذه الفئات الأربع هي التي كتبت جميع الأسفار الباحثة عن العهود السابقة لعهد المنفى. فسفر القضاة يحمل طابع فئتي (E - J) مثل الأسفار الأخرى تماماً، كما يحتوي سفر صموئيل على قصص تحمل طابع كتاب (E , j) أيضاً كونه منسوباً لمن يحمل اسمه.

والجدير بالذكر عن هٰذا السفر هو ذكره لاستعمال الكتابة والوثائق الخطية لأول مرة في التوراة. ويضاف إلى ما سبق ما يلاحظ تقريباً في تكوين أكثر الأسفار من تعدد أساليب الإنشاء، وتجانس مفردات بعضها مع بعض الآخر، وما فيها من أخطاء تكشف عن زيف مزاعم نسبتها لأشخاص أو عهود معينة مثل خلو سفر التكوين الذي نسب إلى موسى، حتى من عبارة واحدة تشير إلى علاقته به أو تدوينه إياه، كما تزخر الأسفار الأربعة الأخرى بعبارات توحي بأنها لم تكتب من قبل موسى، خِلافاً لما زعمته المصادر اليهودية.

أما مظاهر الزيادات والنواقص الغزيرة في نصوص الأسفار المكررة لبعض التشريعات. فهي تدل صراحة على تعدد الأيدي التي علمت فيها، وما يصح القول في هٰذه الأسفار الخمسة يصح أيضاً في كافة الأسفار الأخرى.

ومن هنا يتضح بجلاء أن أكثرها كتبت في عهود متأخرة عما تبحث عنه، ومن قبل الفئات التي سبق ذكرها(٢).

---

(١) ينظر: سليمان ناجي/ المفسدون في الأرض/ دار العربي للإعلان والنشر/ ط٢/ ١٩٧٦ م/ ص١٦.
(٢) ينظر: المصدر نفسه/ ص١٧.

الفصل الثاني
التناقض في الأسفار الخمسة وأثره

وفيه مبحثان؛ وهي على النحو الأتي:

* المبحث الأول: التناقض في الأسفار الخمسة؛ وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التناقض في سفري التكوين والخروج.
- المطلب الثاني: التناقض في أسفار اللاويين والعدد والتثنية.

* المبحث الثاني: أثر التناقض في الأعمال السلبية لليهود، وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: أسطورة أرض الميعاد.
- المطلب الثاني: أسطورة شعب الله المختار.
- المطلب الثالث: أثر التناقض في فساد عقيدتهم:
  - أولًا: مع الله تعالى.
  - ثانياً: مع الأنبياء (عليهم السَّلام).
- المطلب الرابع: أثر التناقض في فساد أخلاقهم:
  - أولًا: علاقاتهم مع الآخرين.
  - ثانياً: علاقاتهم مع أنفسهم.

المبحث الأول
التناقض في الأسفار الخمسة

إن التناقض الظاهر والأكاذيب الواضحة في التوراة دليل على تحريفها وتبديلها وأنها غير الذي أُنزل على النبي موسى (عليه السلام) وفيها من الكذب على الله تعالى وعلى الملائكة وعلى الأنبياء (عليهم السَّلام) وقبل أن نبدأ البحث في موضوع التناقض لابد من الإشارة هنا إلى عدد أسفار العهد القديم حيث أن عدد الأسفار قد بلغ تسعة وثلاثون سفراً في النسخة البروتستانتية وبلغ عدد الأسفار ستة وأربعون سفراً في النسخة الكاثوليكية وهٰذا بطبيعته يشكل تبايناً واضحاً في عدد الأسفار واختلاف المحتوي بين النسختين وسوف أركز على التناقض الموجود في (التوراة) الأسفار الخمسة أو أسفار موسى (عليه السلام) وهي التكوين والخروج واللاويين (الأحبار) والعدد والتثنية (الاستثناء) لما فيها من التناقض الكثير لٰكن دون الاستغناء عن باقي الأسفار الأخرى في حالة وجود تناقض مشترك مع الأسفار الخمسة ولا بد من تعريف بسيط للأسفار الخمسة.

١) سفر التكوين: وهو خمسون إصحاحاً في أثنين وثمانين صفحة ويحتوي قصة الخليقة وطوفان نوح ومواليده ثم قصة نزوح إبراهيم (عليه السلام) إلى أرض كنعان وذريته فيها ثم في مصر إلى نهاية حياة يوسف (عليه السلام)(١).

٢) سفر الخروج: وهو أربعون إصحاحاً في تسع وستين صفحة وقد أحتوى هٰذا السفر على شؤون وأحداث ووصايا وتشريعات وفيه أيضاً إشارات إلى ما سوف يحل ببني إسرائيل من مصائب وشدائد. وفيه سيرة بني إسرائيل بعد يوسف في مصر وخروجهم منها إلى حلولهم في شرق الأردن وفي هٰذا السفر الوصايا العشر

(١) ينظر: محمد عزة دروزة/ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ مطبعة نهضة مصر/ القاهرة/ ١٩٥٨، ص٧.

التي أعطاها الله لموسى (عليه السلام)[١].

٣) سفر اللاويين (الأحبار): وهو سبعة وعشرون إصحاحاً وفي تسع أربعين صفحة وسمي بهٰذا الاسم نسبة إلى أسرة لآوى أو ليفي، ويحتوي هٰذا السفر كثيراً من التشريعات والوصايا والأحكام، مثل كفارات الذنوب، والأطعمة المحرمة، الأنكحة المحرمة ومثل الطقوس والأعياد والنذور والطهارة، كما يحتوي كثيراً من الأمور المتصلة بالعادات والأوامر الدينية التي يستحق من أتبعها الثواب ومن خالفها العقاب[٢].

٤) سفر العدد: وهو ستة وثلاثون إصحاحاً في سبعين صفحة وسمي بذٰلك لأنه حافل بالعد والتقسيم لأسباط بني إسرائيل، وبه ترتيب لمنازلهم حسب أسباطهم وإحصاء للذكور منهم. ويحتوي أيضاً هٰذا السفر على سيرة بني إسرائيل في برية سيناء وما بعدها[٣].

٥) سفر التثنية أو تثنية الشريعة أو الاشتراع: وهو أربعة وثلاثون إصحاحاً في ستين صفحة وفي هٰذا السفر عُرضت الوصايا العشر عرضاً جديداً، كما أعيد الكلام عن الأطعمة الحلال والحرم، وعن نظام القضاء والملك عند بني إسرائيل، وتحدث هٰذا السفر عن الكهنة والنبوة، كما تحدث عن انتخاب يشوع بن نون خلفاً لموسى (عليه السلام)، وينتهي السفر بخبر وفاة موسى ودفنه في جبال مؤاب[٤].

***

---

(١) ينظر: د. أحمد شلبي/ مقارنة الأديان/ (اليهودية)/ مكتبة النهضة المصرية - القاهرة/ ١٩٦٦، ص٢١١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه/ ص٢١٢. وينظر: محمد عزة دروزة/ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ ص٥٣.

(٣) ينظر: د. أحمد شلبي/ مقارنة الأديان/ (اليهودية) ص٢١٢ وينظر: محمد عزة دروزة/ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ ص٥٩.

(٤) المصدران السابقان نفسهما وعلى التوالي ص٢١٣ وص٥٩.

المطلب الأول
التناقض في سفري التكوين الخروج

أ - التناقض في سفر التكوين أو (الخلق): إن من يتصفح سفر التكوين يجد في الإصحاح الأول ٢٦ قوله (أصنع بناء آدم كصورتنا كشبهنا)[١]. لو لم يقل إلّا كصورتنا لكان له وجه حسن ومعنى صحيح وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق كما تقول هٰذا عمل الله وتقول للفرد والقبيح والحسن هٰذه سورة الله أي تصوير والله والصفة التي أنفرد بملكها وخلقها لٰكن قوله كشبهنا منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل وأوجب شبه آدم لله عز وجل ولابد ضرورة وهٰذا يعلم بطلانه ببديهة العقل إذ الشبه والمثل معناهما واحد وحاشى لله أن يكون له مثل أو شبه[٢].

وجاء في سفر التكوين: (وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة. ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس، اسم أحدها النيل وهو محيط بجميع بلاد زويلة الذي به الذهب وذٰلك البلد جيد وبها اللؤلؤ وحجارة البلور، واسم الثاني جيحان وهو محيط بجميع بلاد الحبشة، واسم الثالث الدجلة وهو السائر شرق الموصل، واسم الرابع الفرات وأخذ الله آدم ووضعه في جنات عدن) في هٰذا الكلام من الكذب فاحشة قاطعة بأنها من تأليف كذاب مستهزئ وأول ذٰلك[٣]، إخباره عن هٰذه الأربعة تفترق من النهر الذي يخرج من جنات عدن التي أسكن الله فيها آدم إذ خلقه ثم أخرجه منها إذ أكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن أكلها وكل من له أدنى معرفة

---

(١) تك: الإصحاح الأول/ ٢٦.

(٢) ينظر: الأمام أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهر/ت ٤٥٦ هـ/ الفصل في الملك والأهواء والنحل/ مكتب المثنى/ بغداد/ ١/ ١١٧.

(٣) تك: الإصحاح الثاني/ ١٠ - ١٤.

بالهيئة وبنصبه الربع المعمور من الأرض الذي هو في سماك الأرض أو من مشى إلى مصر والشام والموصل يدري إن هٰذا كله كذب فاضح وإن مخرج النيل من عين الجنوب من خارج المعمور ومصيه قبالة تنيس وقبالة الإسكندرية في آخر أعمال مصر في البحر الشامي وإن مخرج الدجلة والفرات وجيحان من الشمال، فأما جيحان فيخرج من بلاد الروم ويمر ما بين المصيصة وربضها المسمى كفرينا حتى يصب في البحر الشامي على أربعة أميال من المصيصة وأما دجلة فمخرجها من أعين بقرب خلَّاط ومن عمل أرمينية بقرب آمد من ديار بكر وتصب مياهها في البطائح المشهورة بقرب البصرة في أرض العراق متاخمة أرض العرب، وأما الفرات فمخرجة من بلاد الروم على يوم من يوم قالى فلا قرب أرمينية(١)، ثم يخرج إلى ملطية ثم يأخذ على أعمال الرقة إلى العراق وينقسم إلى قسمين كلاهما يقع في دجلة فهٰذه كذبة شنيعة كبيرة لا مخلص منها وتخالف العقل والمنطق والله تعالى لا يكذب وهي قوله أن النيل محيط ببلد زويلة وجيحان محيط ببلد الحبشة وهٰذه أيضاً كذبة شنيعة فاحشة ما في جميع أرض السودان والحبشة وغير الحبشة نهر غير النيل أصلًا ويتفرع سبعة فروع كلها مخرج واحد ثم يجتمع فوق بلاد(٢) النوبة(٣) وكذب ثالثة وهي قوله إن بلد زويلة الجيد وهٰذا كذب ما للؤلؤ بها مكان أصلًا إنما اللؤلؤ في مغاصاته في بحر فارس وبحر الهند وأنهار الهند والصين وهٰذه فضائح لا خفاء لم يقلها الله تعالى قط ولا إنسان يهاب الكذب فأن قال قائل فقد صح قول النبي حين قال (النيل والفرات وسيحان من أنهار الجنة) نعم هٰذا قول حق لا شك فيه ومعناه هو على ظاهرة بلا تكليف تأويل أصلًا وهي أسماء لأنهار الجنة كالكوثر والسلسبيل، وليس كذٰلك هٰذا الذي في توراة اليهود لأن واضعها لم يدعها في لبس من كذبه بل بيّنَ أنه عني النيل المحيط بأرض زويلة بلد الذهب الجيد ودجلة بشرقي الموصل وجيحان المحيط ببلد الحبشة التي لم تخلق بعد فلم يدع لطالب تأويل لكلامه حيلة ولا مخرجاً وأيضاً فإنهم لا يمكنهم البتة تخريج ما في توراتهم

---

(١) أرمينية: هضبة كانت تقوم في هٰذا الإقليم في العصور القديمة مملكة أسيا الصغرى التي شملت تركيا وأرمينيا السوفيتية الحالية/ الموسوعة الميسرة/ ١٢٣.

(٢) النوبة: وهي مدينة تقع في إقليم دافور السودانية.

(٣) ينظر: أبن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١١٩.

المكذوبة على ما وصفنا نحن الآن في نص توراتهم إن الجنة التي أخرج منها آدم لأكله من الشجرة التي فيها إنما هي شرقي عدن في الأرض لا في السماء كما يقول المسلمون فثبتت الكذبة لا مخرج منها أصلًا ولو لم يكن في توراتهم إلَّا هٰذه الكذبة وحدها لكفت في بيان أنها موضوعه لم يأت بها موسى (عليه السلام) قط ولا هي عند الله تعالى[١] وجاء في السفر هكذا (فأما من شجرة معرفة الخير والشر فلا بد تأكل منها، فانك تموت موتاً في أي يوم تأكل منها)[٢] وهٰذا غلط. لأن آدم عليه السلام أكل منها ولم يمت في اليوم الذي أكل فيه من هٰذه الشجرة، بل بقي حياً بعدها أكثر من تسعمائة.

وهٰذا الكلام ينافي الحقيقة ويناقضها، ويذكر هٰذا السفر قوله:

(وقال الرب الإلٰه هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عازماً الخير والشر، والآن لعله يمد يدهُ ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد)[٣] إن حكايتهم عن الله تعالى أنه قال هٰذا آدم قد صار كواحد منا مصيبة من مصائب الدهر وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد ولقد أدى هٰذا القول الخبيث المفترى كثيراً من خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذي خلق آدم لم يكن ألا خلقا الله تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم فعرف الخير والشر ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلٰهاً من جملة الآلهة[٤].

وجاء في سفر التكوين هٰذا القول (فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة)[٥]. وجاء في نسخة أخرى من التوراة ذٰلك القول ولٰكن بهٰذه الصيغة (ووكل بالجنان المشتهر إسرافيل ونصب بين يديه رمحاً نارياً ليحفظ طريق شجرة الحياة)[٦]، إن لم يكن أحدهما خطأً من المترجم وإلا كيف هٰذا الاختلاف الواضح بينهما.

---

(١) ينظر: ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١١٩.

(٢) تك: الإصحاح الثاني/ ١٧. (٣) تك: الإصحاح الثالث/ ٢٢.

(٤) ينظر: ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١٢١.

(٥) تك: الإصحاح الثالث/ ٢٤ (لاحظ النسخة العبرية).

(٦) المصدر نفسه (لاحظ النسخة السامرية).

ويذكر في النسخة العبرانية هكذا (وقال قابيل لهابيل أخيه. ولما صارا في الحقل قام قابيل على هابيل أخيه فقتله)[١]، أما في النسخة السامرية واليونانية والتراجم القديمة وردت هكذا (وقال قابيل لهابيل أخيه تعالَ نخرج إلى الحقل ولما صارا في الحقل).

فهٰذه العبارة (تعالَ نخرج إلى الحقل) سقطت من العبرانية وهٰذا يعتبر اختلاف بين النسختين.

وذكر في الإصحاح الرابع/ ١٥ قولة (فقال له الرب لذٰلك كان من قتل قابين فسبعه أضعاف ينتقم منه...)[٢]. ولا تناكر بين جميعهم في أن لامك بن متوشائيل بن محويائيل بن عيراد بن حنوك بن قايين هو الذي قتل قابين جدجد أبيه وأنه لم يقل به فنسبوا إلى الله تعالى الكذب لأنه وعده أن يفديه إلى السبعة ولم يفده وأيضاً فإن ذكر السبعة هنا حمق لان لامك الذي قتله هو الخامس من ولد قابين وقابين هو الخامس من آباء لامك فلا مدخل للسبعة هٰهنا[٣].

ثم يقول في سفر تكوين: (فكانت كل أيام متوشالح تسعمائة وتسعاً وستين سنة ومات)[٤] وأنه ولد له لامك وهو ابن مائة وسبع وثمانين سنة وإن لامك إذ بلغ مائة وأثنين وثمانين سنة ولد له نوح (عليه السلام) فلاشك من أن متوشالح كان إذ ولد له نوح ابن ثلاثمائة وتسع وستين سنة فوجب من هٰذا ضرورة إن نوحاً (عليه السلام) كان ابن ستمائة سنة إذ مات متوشالح فاضبطوا هٰذا ثم قال أن في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني من سنة ستمائة من عمر نوح اندفعت المياه بالطوفان ثم قال أن في اليوم سبعة وعشرين يوماً من الشهر الثاني من سنة إحدى وستمائة لنوح خرج نوح من التابوت يعني السفينة وهو من كان معه فوجب من هٰذا ضرورة لا محيد عنها إن متوشالح بن جندك دخل السفينة وأنه فيها مات قبل خروجهم منها بشهرين غير ثلاثة أيام وقد قطع فيها وبت على أنه لا يدخل التابوت أحد من الناس إلَّا نوحاً (عليه السلام) وبنيه الثلاثة وامرأة نوح وثلاث نساء لأولاده وقد قطع فيها مبت على أنه لم ينجُ من الغرق أنسي أصلًا ولا حيوان في غير التابوت وهٰذه كذبة لأن في نصوص توراتهم كما أوردنا إن

---

(١) تك: الإصحاح الرابع/ ٨.

(٢) تك: الإصحاح الرابع/ ١٥.

(٣) تك: الإصحاح الخامس/ ٢٧.

(٤) ينظر: ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١٢١.

متوشالح لم يغرق لأنه لو غرق لم يستوف تمام السنة الموفية ستمائة ستة لنوح وفي نصها أنه استوفاها وأيضاً فأنه عندهم محمود ممدوح لم يستحق الهلاك قط وأبطلوا أن يكون دخل التابوت إذ قطعوا بأنه لم يدخلها أنسي إلَّا نوحاً وبنيه الثلاثة ونساؤهم وأبطلوا أن ينجو في غير التابوت بقطعهم إنه لم ينج إنس ولا حيوان في غير التابوت ولابد لمتوشالح من أحد هٰذه الوجوه الثلاثة فظهر الكذب البحت في نقل توراتهم ضرورة وتثقيف كل ذي عقل إنها غير منزلة من الله تعالى ولا جاء بها نبي أصلًا لأن الله تعالى لا يكذب والأنبياء لا تأتي بالكذب فصح يقيناً أنها من عمل زنديق جاهل أو مستخف متلاعب بهم)[١] ويقول سفر التكوين: (وكان نوحٌ (عليه السلام) ابن خمسمائة سنة وولد نوحٌ (عليه السلام) ساماً وحاماً ويافث)[٢].

أن نوحاً (عليه السلام) لما بلغ خمسمائة سنة ولد له يافث وسام وحام ثم ذكر أَن نوحاً إذ بلغ ستمائة سنة كان الطوفان ولسام يومئذ مائة سنة وقال بعد ذٰلك إن سام بن نوح لما كان ابن مائة سنة ولد أرفخشاد لسنتين بعد الطوفان وهٰذا الكلام كذب فاحش وتلون سمج وجهل مظلم لأنه إذا كان نوح إذ ولد له سام ابن خمسمائة سنة وبعد مائة سنة كان الطوفان فسام حينئذ ابن مائة سنة وإذ ولد له بعد الطوفان بسنتين أرفخشاد فسام كان إذ ولد أرفخشاد ابن مائة سنة وسنتين وفي نص توراتهم انه كان ابن مائة سنة. وهٰذا الكلام فيه اختلاف بين الحقيقة وبين التوراة. وهٰذا أيضاً كذب لا خفاء به.

ويقول سفر التكوين هكذا (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات. إن أبناء الله رأوا بنات الناس إنهن حسناتٌ فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا)[٣] وقال بعد ذٰلك كان يدخل بنو الله إلى بنات آدم ويولد لهم حراماً وهم الجبابرة الذين على الدهر لهم أسماء وهٰذا حمق ناهيك به وكذب عظيم إذ جعل لله أولاداً ينكحون بنات آدم وهٰذه مصاهرة تعالى الله عنها حتى إن بعض أسلافهم قال إنما أعني بذٰلك الملائكة وهٰذه كذبة إلَّا إنها دون الكذب في ظاهر اللفظ[٤] ويقول سفر التكوين هكذا (وتكون أيامه مائة وعشرين سنة)[٥] وهٰذا غلط لأن أعمار الذين

(١) ينظر: ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١٢٣. (٢) تك: الإصحاح الخامس/ ٣٢.
(٣) تك: الإصحاح السادس/ ١ - ٢. (٤) ينظر: ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١٢١.
(٥) تك: الإصحاح السادس/ ٣.

كانوا في سالف الزمان طويلة جداً، حيث عاش نوح عليه السَّلام تسعمائة وخمسون سنة، وعاش سام ستمائة سنة، وعاش أرفخشد ثلاثمائة وثلاثين سنة، وهكذا في هٰذا الزمان صار البلوغ إلى سبعين أو ثمانين أيضاً قليل[١].

ويعلم من سفر التكوين (إنه كان أمر أن يأخذ من كل بهيمة طاهرة ومن كل طير طاهر أو غير طاهر سبعة أزواج ومن كل بهيمة غير طاهرة اثنتين اثنتين)[٢].

حيث إن الاختلاف واضح بين النصين ولا يحتاج إلى تفسير.

وذكر في السفر التكوين في النسخة العبرانية هكذا (وصار الطوفان أربعين يوماً على الأرض)[٣] أما في النسخة اللاتينية وفي الترجمة اليونانية هكذا (وصار الطوفان أربعين يوماً وليلة على الأرض) والاختلاف ظاهر بين النسختين.

ويذكر سفر التكوين هكذا (وأستقر الفلك في اليوم السابع والعشرين من الشهر السابع على جبال أرمينية. والمياه كانت تذهب وتنقص إلى الشهر العاشر لأنه في الشهر العاشر الأول من الشهر بانت رؤوس الجبال)[٤]. فبين الآيتين اختلاف لأنه إذا ظهرت رؤوس الجبال في الشهر العاشر فكيف استقرت السفينة في الشهر السابع على جبال أرمينية.

وذكر في سفر التكوين هكذا (فقال ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لأخوته)[٥].

حيث أن نوحاً إذ بلغه فعل ابنه حام أبي كنعان قال ملعون أبو كنعان عبد العبيد يكون لأخوته مستعبداً يكون لأخويه يبارك الإلٰه ساماً ويكون أبو كنعان عبداً لهم. إحسان الله ليافث ويسكن في أخبية سام ويكون أبو كنعان عبداً لهم ثم نسى نفسه المحرف أو تعاظم استخفافاً بهم فلم يطل لٰكنه بعد ستة أسطر قال إذ ذكر أولاد حام فقال بنو حام كوش ومصرايم وفوحا وكنعان وبنو كوش وحبان وزويله ورغاوة ورعمه وسفتخا وبنو رعمة السند والهندوكوش ولد نمرود الذي ابتدأ يكون جباراً في الأرض الذي كان جبار صيد بين يدي الله (ﷻ) وكان أول مملكته بابل فحصل

(١) ينظر: ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١٢١. (٢) تك: الإصحاح السابع/ ٢ - ٣.
(٣) تك: الإصحاح السابع/ ١٧. (٤) تك: الإصحاح الثامن/ ٤ - ٥.
(٥) تك: الإصحاح التاسع/ ٢٥.

من هٰذا الخير تكذيب نوح في خبره وهو بإقرارهم نبي معظم جداً وإذ وصف أن ولد أبي كنعان صاروا ملوكاً على أخوة بني كنعان وعلى بنيهم ثم العجب كله أن على ما توجبه توراتهم كان ملك نمرود بن كوش بن كنعان بن حام على جميع الأرض ونوح حي وسام بن نوح حي لأن في نص توراتهم إن نوحاً عاش إلى أن بلغ إبراهيم بن تارح (عليه السلام) ثمانية وخمسين عاماً وأن سام بن نوح عاش إلى أن بلغ يعقوب وعيصا أبنا إسحاق بن إبراهيم (عليه السلام)خمساً وأربعين سنة على ما ذكر من مواليدهم أباً فأباً فما لنا نرى خبر نوح معكوساً وحاشا لله أن يكذب نبي[(١)].

وجاء في هٰذا السفر (إن تادح أبا إبراهيم خرج من أور (الكلدانيين قاصداً أرض كنعان ومعه إبراهيم ابنه وساراي كنته ولوط ابن ابنه هاران المتوفى. وجاء إلى حاران[(*)] ومات فيها[(٢)].

وفي هٰذا سفر التكوين (إن الرب قال لإبراهيم أنطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة كبيرة ويتبارك بك جميع عشائر الأرض فخرج من حاران ومعه زوجته ساراي وابن أخيه لوط وجميع ما يملكون من أموال وعبيد وأتوا إلى أرض كنعان[(٣)].

فكلام الإصحاح الحادي عشر يفيد أن فكرة النزوح إلى أرض كنعان كانت فكرة تارح أبي إبراهيم بينما كلام الإصحاح الثاني عشر يفيد أن نزوح إبراهيم بأمر الرب وكأنما هو شيء خاص به لا علاقة به لأبيه تارح. وفي الإصحاح الخامس عشر من هٰذا السفر وجُه الخطاب إلى إبراهيم (أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين لأعطيك هٰذه الأرض ميراثاً لك، مما يفيد نفسك المعنى[(٤)]، سفر يشوع هٰكذا قال الرب إلى إسرائيل (في عبر النهر سكن آباؤكم منذ الدهر تارح أبو إبراهيم

---

(١) ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١٢١.

(*) حاران: مدينة قديمة ما تزال تعرف باسمها القديم، وتقع في الشمال الشرقي من بلاد ما بين النهرين في جوار الحدود السورية التركية على منابع نهر البليخ/ مفصل العرب واليهود/ ٨٢٧.

(٢) تك: الإصحاح الحادي عشر/ ٣١. (٣) تك: الإصحاح ١٢/ ١ - ٥.

(٤) سفر التكوين/ الإصحاح/ ١١، ١٢، ١٥.

وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى فأخذت أباكم إبراهيم من عبر النهر وسيرته في جميع أرض كنعان وكثرت نسله)[١]، وهٰذا يفيد نفس المعنى كذٰلك.

وكلام الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين يفيد أن إبراهيم من مدينة أور الكلدانيين وأن إقامة تارح في حران كانت عابرة بينما كلام الإصحاح الثاني عشر يفيد ولو لم يكن بصراحة أن مقام إبراهيم وأرضه وعشيرته وبيت أبيه في حاران[٢].

وجاء في الإصحاح الرابع والعشرين أن إبراهيم أستخلف كبير عبيده بأن لا يأخذ لأبنه إسحاق زوجة من بنات كنعان بل يذهب إلى أرضه وعشيرته ويأخذ منها زوجة لأبنه ووصاه بأن لا يرد ابنه إلى هناك لأن ربه أخذه من بيت أبيه وأرض ولده وأتى به إلى أرض كنعان وإن العبد ذهب إلى آرام النهرين إلى مدينة ناحور آخى إبراهيم وخطب ابنته لإسحاق وأتى بها إلى أرض كنعان. وقد جاء في سفر التكوين: أن إسحاق وصى ابنه يعقوب بأن لا يتزوج من بنات كنعان بل يذهب إلى إخوان آدم ويتزوج من بنات خاله لابان فنفذ وصية أبيه حيث يفيد هٰذا وذاك أيضاً، أن أرض إبراهيم (عليه السلام) وعشيرته كانت في آرام النهرين[٣].

ومع أن المتحمل كثيراً أن تكون بعض النصوص المتقدمة متأثرةً بما كان من واقع طروء بني إسرائيل على شرق الأردن وغربه بعد خروجهم من مصر ومحاربتهم لأهلها واستيلائهم بالقوة والدم على أقسام كبيرة منها، وأن يكون التناقض البادي فيها نتيجة لتداول الروايات والذكريات أجيالًا بعد أجيال فإن لا يمنع أن يكون في ما ذكر فيها حقيقة ما بالنسبة إلى منشأ إبراهيم ونزوجه إلى أرض كنعان. وحينئذ يبدو أرض كنعان. وحينئذ يبدو احتمالان لمنشأ إبراهيم وهما أور الكلدانيين وآرام النهرين[٤].

وجاء في التوراة: (فقال لإبرام أعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض

(١) يشع/ الإصحاح ٢٤.
(٢) ينظر: محمد عزة دروزه/ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ ١٣.
(٣) تك: ٢٨.
(٤) محمد عزة دروزة/ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ ١٣.

ليست لهم ويستعبدون لهم. فيذلونهم أربع مائة سنة)[١].

أشار سفر التكوين إلى أن نسل إبراهيم (بني إسرائيل) يستعبد ويذل في أرض غريبة (هي مصر) لمدة أربعمائة سنة. وأما سفر الخروج فيؤكد أن إقامة بني إسرائيل في مصر طالت أربعمائة وثلاثين سنة[٢] ولاشك في أن بين السفرين اختلاف واضح، فتكون كلمة (ثلاثين) إما ناقصة من التكوين أو مزيدة في الخروج وبالرغم من هٰذا الاختلاف فأن كلتا المدينتين خطا بالضرورة، وذٰلك:

١) لأن معظم المؤرخين المسيحيين ومفسريهم متفقون على أن مده سكون بني إسرائيل في مصر كانت مائتين وخمس عشرة سنة فقط[٣].

٢) ولأن بولس جعل المدة من إعطاء الرب العهد لإبراهيم بأن يعطي نسله أرض كنعان[٤].

إلى نزول شريعة موسى (التوراة)، وجعل كلها أربعمائة وثلاثين سنة[٥].

ويفهم من بعض المصادر البروتستانتية: أن المدة من ميثاق الله مع إبراهيم إلى نزول الشريعة على جبل سيناء كانت أربعمائة وسبع سنين فقط[٦].

٣) أنه قد عدلت وصححت النسخة السامرية والترجمة اليونانية فأصبحت آية الخروج فيها هكذا: (فكان جميع ما سكن بنو إسرائيل وآباؤهم وأجدادهم أرض كنعان وأرض مصر أربعمائة وثلاثين سنة)[٧]، وفي ذٰلك قال المفسر الكتابي آدم كلارك (أتفق الكل على إن مضمون هٰذه الآية في غاية الإشكال)[٨]. ثم ذكر أن الصحيح هو ما في السامرية واليونانية في رسالة بولس[٩]. وهو مات ذهب إليه كثير من العلماء فقالوا: من دخول إبراهيم أرض كنعان إلى ولادة إسحاق كانت المدة

---

(١) تك: ١٥. (٢) سفر الخروج: ١٢: ٤٠ - ٤١.

(٣) رحمة الله بن خليل الرحمٰن الهندي/ إظهار الحق/ دار الكتب العلمية/ بيروت - لبنان/ ١٩٩٣، ط١/ ١/ ٢٦٧. والبلاغي، الهدى ٢/ ٤٤ وعبد الوهاب، إسرائيل حرفت الإنجيل والأسفار ٨٢ - ٨٣.

(٤) تك: ١٢: ٧. (٥) أهل غلاطية: ٣: ١٧.

(٦) للتفصيل راجع: إظهار الحق/ ١/ ٢٦٩ - ٢٧٠. (٧) خرو: ١٢: ٤٠.

(٨) تفسيره: ١/ ٣٦٩ عن إظهار الحق ١/ ٢٦٨. (٩) تفسيره: ١/ ٣٦٩ عن إظهار الحق ١/ ٢٦٨.

خمساً وعشرين سنة، وكان لإسحاق ستون سنة عند ولادة يعقوب الذي كان عمره مائة وثلاثين سنة لدى دخوله مصر فالمجموع مائتان وخمس عشرة سنة. وإقامة بني إسرائيل في مصر كانت - أيضاً - لمدة مائتين وخمس عشرة سنة.

فالكل أربعمائة وثلاثون سنة. ولذٰلك أستحسن جامعو (تفسير هنري واسكات) عبارة النسخة السامرية، فذكروا أنه (لا شبهة في أن هٰذه العبارة صادقة وتزيل كل مشكل وقع في المتن)[١].

وتقول التوراة (في ذٰلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلًا لنسلك أُعطي هٰذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات)[٢].

حيث ذكر التوراة أن الله تعالى قال لإبراهيم لنسلك أعطي هٰذا البلد من نهر مصر النهر الكبير إلى نهر الفرات وهٰذا كذب وشهرة من الشهر لأنه إن كان عنى بني إسرائيل وهكذا يزعمون فما ملكوا قط من نهر مصر ولا على نحو عشرة أيام منه شبراً فما فوقه وذٰلك من موقع النيل إلى قرب بيت المقدس وفي هٰذه المسافة الصحاري المشهورة الممتدة والحضار ثم غزة[٣] وعسقلان[٤] وجبال الشرارة التي لم تزل تحاربهم طول مدة دولتهم تذيقهم الأمرين إلى انقضاء دولتهم ولا ملكوا قط من الفرات ولا على عشرة أيام منه بل بين أخر حوز بني إسرائيل إلى أقرب مكان من الفرات اليوم نحو تسعين فرسخاً[*] فيها وحمص[٥] التي لم يقربوا منها قط ثم دمشق[٦] وصور[٧] وصيدا[٨] التي لم يزل أهلها يحاربونهم ويسومونهم السخف طول مدة دولتهم بإقرارهم ونصوص كتبهم وحاشا لله أن يخلف وعده في قدر دقيقه

(١) الهندي/ إظهار الحق/ ١/ ٢٦٨ - ٢٦٩. (٢) تك: الإصحاح الخامس عشر - ١٨.

(٣) غزة: وهي إحدى المدن الفلسطينية وتقع على البحر الأبيض المتوسط.

(٤) عسقلان: وهي من المدن الفلسطينية وتقع على البحر المتوسط.

(*) الفرسخ: وهي وحدة قياس تستخدم لقياس المسافة: أي ما يعادل مائة ذراع.

(٥) حمص: وهي مدينة سورية تقع إلى الشمال من دمشق.

(٦) دمشق: وهي عاصمة الجمهورية العربية السورية.

(٧) صور: وهي من المدن اللبنانية والتي تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

(٨) وصيدا: وهي من المدن اللبنانية والتي تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى الجنوب من بيروت.

من سرابه فكيف في تسعين فرسخاً في الشمال ونحوها في الجنوب ثم قوله النهر الكبير وما في بلادهم التي ملكوا نهر يذكر الأردن وحده وما هو بكبير إنما مسافة مجراه من محيرة الأردن إلى مسقطه في البحيرة المنتنة نحو ستين ميلًا فقط فإن قال قائل إنما عنى الله بهٰذا الوعد بني إسماعيل (عليه السلام) وهٰذا أيضاً خطأ لأن هٰذا القدر المذكور هاهنا من الأرض أقل من جزء من مائة جزء مما ملك الله (عز وجل) ببني إسماعيل (عليه السلام)[1] وأين يقع ما بين مصب النيل عند تنيس وبين الفرات من آخر الأندلس على ساحل البحر المحيط وبلاد البربر كذٰلك إلى أخر السند وكابل مما يلي بلاد الهند ومن ساحل اليمن إلى ثغور أرمينية وأذربيجان فما بين ذٰلك والحمد لله رب العالمين فكيف هٰذه الدعوى الباطلة لأن ذٰلك الكلام بعضه معطوف على بعض فالموعودون بملك البلد هم المتوعدون بأنهم يتملكون ويعذبون في البلد الأخر وقد أكرم الله تعالى بني إسماعيل وصانهم عن ذٰلك فوضح الكذب الفاحش في الأخبار المذكورة وصح أنه ليس من عند الله (عز وجل) ولا من كلام نبي أصلًا بل من تبديل وغد جاهل أو متلاعب بالدين وفاسد المعتمد[2]. وتقول التوراة: (وظهر له الرب عند بلوطات قمرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار فرفع عينا ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض. وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينك فلا تتجاوز عبدك ليُؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واستندوا تحت الشجرة وأقدم لكم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم وبعد ذٰلك تجتازون. فمن أجل ذٰلك مررتم على عبدكم فقالوا: أصنع كما قلت فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال لها: اصنعي ثلاث صيعات من دقيق سميد اعجنيه واصنعي خبز مله وحضر إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلًا رخصاً سميناً ودفعه للغلام وأستعجل بإصلاحه وأخذ سمناً ولبناً والعجل الذي صنعوه وقدم بين أيديهم وهو واقف لديهم تحت الشجرة فأكلوا)[3].

إن في هٰذه الآيات من البلاء والضلال فأول ذٰلك أخباره إن الله تعالى تجلى لإبراهيم وأنه رأى الثلاثة النفر فأسرع إليهم وسجد وخاطبهم بالعبودية فإن كان

---

(١) ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملك/ ١/ ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) المصدر نفسه/ ص١٢٩. (٣) تك: ١٨: ١ - ٨.

أولئك الثلاثة هم الله فهٰذا هو التثليث بعينه بلا كلفة أشد من التثليث لأنه بشخوص ثلاثة والنصارى يهربون من التشخيص ويوجد في بعض كتب النصارى الاحتجاج بهٰذه القضية في إثبات التثليث، وهٰذا كما ترى في غاية الفضيحة فإن كان الثلاثة ملائكة، وهكذا يقولون فعليهم في ذٰلك أيضاً فضائح عظيمة وكذب فاحش من وجوه أولها من المحال والكذب أن يخبر بأن الله تجلى له ثلاثة من الملائكة، وثانيها: أن يخاطب أولئك الملائكة بخطاب الواحد وهٰذا مما يزيد في ضلال النصارى في هٰذا الفصل وهٰذا أيضاً محال في الخطاب، وثالثها: سجوده للملائكة فأن من الباطل أن يسجد رسول الله (عليه السلام) وخليله لغير الله تعالى ولمخلوق مثله فهٰذه كذبة وإن قالوا بل لله سجد فهٰذه كذبة، ورابعها: خطابه لهم بأنه عبدهم فأن كان المخاطب بذٰلك هو الله تعالى وهو المتجلي له فقد عادت البلية وإن كان المخاطبون بذٰلك الملائكة فحاشا لله أن يخاطب إبراهيم (عليه السلام) بالعبودية غير الله تعالى ومخلوقاً مثله مع أن من المحال أن يخاطب ثلاثة بخطاب واحد، وخامسها: قوله يؤخذ قليل من ماء ويغسل أرجلكم وأقدم كسره من الخبز تشتد بها قلوبكم فهٰذه الحالة لئن كان خاطب بهٰذا الخطاب الله تعالى فهي التي لا سوي لها ولا بقية بعدها والتي تملأ الفم وإن كان خاطب بذٰلك الملائكة فهٰذا أكذب لأن إبراهيم (عليه السلام) لا يجهل أن الملائكة لا تشتد قلوبهم بأكل كسر الخبز فهٰذه على كل حال كذبه باردة سمجة فإن قالوا ظنهم ناساً قلنا هٰذا أكذب لأن في أول الخبر يخبر أن الله تجلى له وكيف يسجد إبراهيم ويتعبد لخاطر طريق حاشا له من هٰذا الضلال[1] وسادسها: أخباره أنهم أكلوا الخبز والشوي والسمن واللبن وحاشا له أن يكون هٰذا خبراً عن الله تعالى لا ولا عن الملائكة أين هٰذا الكذب البارد الفاضح الذي يشبه عقول اليهود المصدقين به من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين من قول الله (عز وجل) في هٰذه القصة نفسها: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠﴾[2]. هيهات نور الحق من ظلمات الكذب. وسابعها: هو إقرارهم بأن إبراهيم أطعم الملائكة اللحم واللبن والسمن معاً والربانيون منهم يحرمون هٰذا اليوم فأقل ما فيه النسخ على أن يكون سلامته من

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٣١. (٢) سورة هود الآية/ ٧٠.

أطم الدواهي والسَّلامة والله منهم بعيدة[١].

وتذكر التوراة (وقالوا له أين سادة امرأتك، فقال هاهي في الخيمة، فقال: إني ارجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابنٌ. وكانت سارة سامعةً في باب الخيمة وهو وراءه. وكان إبراهيم (عليه السلام) وسارة شيخين متقدمين في الأيام. وقد انقطع أن يكون لسارة عادةٌ كالنساء فضحكت سارة في باطنها قائلةً فنائي يكون لي تنعُّمٌ وسيدي قد شاخ فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة الحقيقة أَلِدُ وأنا قد شخت. هل يستحيل على الربّ شيء. في الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة ابنٌ. فأنكرت سارة قائلة لم أضحك لأنها خانت. فقال لا بل ضحكت)[٢] وعاد الخبر بين سارة وإبراهيم (عليه السلام) وبين الله (عز وجل) وعاد الحديث الماضي ثم في هٰذا زيادة أن الله تعالى (عز وجل) قال أن سارة ضحكت وقالت سارة لمْ أضحك فقال الله بلى قد ضحكتِ فهٰذه مراجعة الخصوم وتعارض الأكفاء وحاشا سارة الفاضلة المنبأَة من الله (عز وجل) بالبشارة من أن تكذِّب الله (عز وجل) فيما يقول وتكذب هي في ذٰلك فنجحد ما فعلت نتجمع بين سوءتين إحداهما: كبيرة من الكبائر قد نزه الله (عز وجل) الصالحين عنها فكيف الأنبياء والأخرى أدهى وأمرّ وهي التي لا يفعلها مؤمن[٣].

ويقول سفر التكوين: وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنته معه. لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقِ أبانا خمراً ونضطجع معهُ. فنحيي من أبينا نسلًا. فسقتا أَباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أَن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فأدخلي اضطجعي معه. فنحيي من أبينا نسلًا. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعهما ولا بقيامهما. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب. وهو

---

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٣١. (٢) تك: ١٨: ٩ - ١٥.

(٣) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٣٢.

أبو الموآبيين إلى اليوم والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم)[١].

وفي السفر الخامس من التوراة بزعمهم إن موسى ﷺ قال لبني إسرائيل إن الله تعالى قال لما انتهينا إلى صحراء بني موآب قال لي لا تحارب بني موآب ولا تقاتلهم فإني لم أجعل لكم فيما تحت أيديهم سهماً لأني قد ورثت بني لوط وجعلتها مسكناً لهم ثم ذكر أن موسى (ﷺ) قال لهم أن الله تعالى قال له أيضاً أنت تخلف اليوم حوز بني موآب المدينة التي تدعى عاد وتنزل في حوز بني عمون تحاربهم ولا تقاتل أحداً منهم فأني لم أجعل لكم تحت أيديهم سهماً لأنهم من بني لوط وقد ورثتهم تلك الأرض[٢].

إن في هٰذه الأقوال فضائح وسوءات تقشعر من سماعها جلود المؤمنين بالله تعالى العارفين حقوق الأنبياء عليهم السَّلام فأقلها ما ذكر عن بنتي لوط (ﷺ) من قولهما ليس أحد في الأرض يأتينا كسبيل النساء تعالَ نسقِ أبانا خمراً ونضاجعه ونستبق منه نسلًا فهٰذا كلام أحمق في غاية الكذب والبرد أَترى كان أنقطع نسل ولد آدم كله حتى لم يبق في الأرض أحد يضاجعها أن هٰذا العجب فكيف والموضع معروف إلى اليوم ليس بين تلك المغارة التي كان فيها لوط (ﷺ) مع بنتيه وبين قرية سكنى إبراهيم (ﷺ) إلَّا فرسخ واحد لا يزيد وهو ثلاثة أميال فقط فهٰذه سوءة والثانية إطلاق الكذاب لهٰذه الخرافة لعنه الله هٰذه التهمه على الله تعالى من أنه أطلق نبيه ورسوله (ﷺ) على هٰذه الفاحشة العظيمة من وطء ابنتيه واحدة بعد أخرى فإن قالوا لا ملامة عليه في ذٰلك لأنه فعل ذٰلك وهو سكران وهو لا يعلم من هما قلنا فكيف عمل إذ رآهما حاملتين وإذ رآهما قد ولدتا ولدين لغير رشده وإذ رآهما تربيان أولاد الزنا هٰذه فضائح الأبد وتوليد الزنادقة المبالغين في الاستخفاف بالله تعالى وبرسله (عليهم السَّلام) والثالثة إطلاقهم على الله تعالى أن نسب أولاد هاتين الزانيتين فرخي الزنا إلى ولادة لوط (ﷺ) حتى ورثها ولدين كما ورث بني إسرائيل وبني عيسو ابني إسحاق سواء بسواء تعالى الله عن هٰذا علواً كبيراً فإن قالوا كان مباحاً حينئذ قلنا فقد صح النسخ الذي تنكرونه بلا كلفة وقال قبل هٰذا إن إبراهيم

---

(١) تك:١٩: ٣٠-٣٤.

(٢) الفصل/ ابن حزم/ ١/ ٢٧٧.

إذ أمره الله تعالى بالمسير من حران إلى أرض كنعان أخذ مع نفسه امرأته سارة وابن أخيه لوط ابن هاران وذكروا في بعض توراتهم أنه كلمته الملائكة وأن الله تعالى أرسلهم إليه فصح بإقرارهم أنه نبي الله، وهم يقولون أنه بقي في تلك المغارة شريداً طريداً فقيراً لاشيء له يرجع إليه فكيف يدخل في عقل من له عقل وإيمان إن إبراهيم (عليه السلام) يترك ابن أخيه الذي تغرب معه وآمن به ثم تنبأ مثله[١].

يضع ويسكن مغارة مع ابنتيه فقيراً هالكاً وهو على ثلاثة أميال منه وإبراهيم على ما ذكر في التوراة عظيم المال مفرط الغنى كثير اليسار من الذهب والفضة والعبيد والإماء والجمال والبقر والغنم والحمير ويقولون في توراتهم أنه ركب ثلاثمائة وثمانية عشر مقاتلًا لحرب الذين سبوا لوطا وما له حتى استنقذوه وماله فكيف يضيعه بعد ذٰلك هٰذا التضييع ليست هٰذه صفات الأنبياء ولا كرامة ولا صفات من فيه شيء من الخير لٰكن صفات الكذابين الذين وضعوا لهم هٰذه الخرافات الباردة التي لا فائدة فيها ولا موعظة ولا عبرة حتى ظلوا بها[٢].

وفي موضعين في توراتهم المبدلة يذكر السفر: (أن سارة امرأة إبراهيم (عليه السلام) أخذها فرعون ملك مصر)[٣] ويذكر سفر التكوين: (أن ملك الخلص أبو مالك قد أخذها مرة ثانية وأن الله سبحانه وتعالى أرى الملكين في منامهما ما أوجب ردها إلى إبراهيم (عليه السلام))[٤].

إذ ذكر أن سن إبراهيم (عليه السلام) إذ انحدر من حران خمسة وسبعون عاماً وأن إسحاق ولد له وهو ابن مائة سنة ولسارة إذ ولد تسعون عاماً فصح أنه كان يزيد عليها عشر سنين وذكر أن ملك الخلص أخذها بعد أن ولدت إسحاق وهي عجوز مسنة بإقرارها بلسانها إذ بشرت بإسحاق فكيف بعد أن ولدته وقد جاوزت تسعين عاماً ومن المحال أن تكون في هٰذا السن تفتن ملكاً وإن إبراهيم قال في كلتا المرتين هي أختي وذكر عن إبراهيم أنه قال للملك هي أختي بنت أبي لٰكن ليست من أمي فصارت لي زوجة فنسبوا في نص توراتهم إلى إبراهيم (عليه السلام) أنه تزوج

---

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٣٤، اليهود قديماً/ محمد إبراهيم الجنابي/ ٢٩.
(٢) المصدر نفسه/ ١/ ١٣٥. (٣) تك ١٢: ١٨ - ١٩.
(٤) تك ٢٩.

أخته، وأن نص اللفظة في التوراة أخت هي لفظة تقع في العبرانية على الأخت وعلى القريبة أما قوله لٰكن ليست من أمي وإنما هي بنت أبي فوجب أنه أراد الأخت بنت الأب وأقل ما في هٰذا إثبات النسخ الذي يقرون منه فخلط ولم يأت بشيء[(١)].

وجاء في التوراة: أن ما ورد في التوراة يلاحظ تحديد الذبيح بأنه إسحاق وليس إسماعيل حيث جاء فيها (أن الله أمتحن إبراهيم فقال له يا إبراهيم: فقال: ها أنذا، فقال خذ أبنك وحيدك الذي تحبه إسحاق. وأذهب إلى جبل الموريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك ...)[(٢)].

إن وضع الاسم (إسحاق) مع كلمة (وحيدك) تناقض ظاهر لأن إسحاق لم يكن وحيداً لإبراهيم في يوم من الأيام فقد ولد وعمر إسماعيل أربع عشره سنة. كما نص سفر التكوين حيث يقول: (وبقي إسماعيل وإسحاق معاً حتى مات إبراهيم ودفناه في مدينة حبروية (الخليل).

ويقول السفر: (وعاد إبراهيم فأخذ زوجه اسمها قطورة)[(٣)]. حيث ذكر أن إبراهيم (عليه السلام) تزوج امرأة اسمها قطورة بعد وفاة زوجته سارة حيث ولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشبق وشوحاً وأعطى إبراهيم جميع ماله لإسحاق وأعطى بني الإماء عطايا وأبعدهم عن إسحاق. إن نص الكلام كله متتابع مرتّب ولم يذكر له زوجة في حياة سارة ولا أَمة لها ولد إلَّا هاجر أم إسماعيل (عليه السلام) ولا ذكر له بعد سارة زوجة ولا أَمة ولا ولداً غير قطورة وبينها وفي كتبهم أن قطورة هٰذه بنت ملك الربذ موضع عمان اليوم بقرب البلقا وهٰذه أخبار يكذب بعضها بعضاً.

ويذكر السفر:(وكان إسحاق ابن أربعين سنة لما أتخذ لنفسه زوجة رفقة بنت بتوئيل الآرامي أخت لابان الآرامي من فدان آرام)[(٤)].

ويذكر أن رفقه كانت عاقراً ثم حملت وازدحم الولدان في بطنها وقالت لو علمت أن الأمر هكذا كان يكون ما طلبته ومضت لتلتمس علماً من الله تعالى فقال لها الله في بطنك أمتان وحزبان يفترقان منه أحدهما أكبر من الآخر والكبير يخدم الصغير فلما

---

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٣٥. (٢) تك: ٢٢: ١ - ٣.
(٣) تك: ٢٥: ١. (٤) تك: ٢٥: ٢.

كانت أيام الولادة إذ إن بتوأمين في بطنها وخرج الأول أحمر كله كفروه من شعر فسمي عيسو وبعد ذلك خرج أخوه ويده ممسكة بعقب عيسو فسماه يعقوب[١].

وهٰذا الكلام مليء بالكذب وأنهم ينسبون هٰذا الكذب إلى الله وحاشا لله أن يكذب ولا خلاف بينهم في أن عيسو لم تخدم قط بني يعقوب وأن بني عيسو لم تخدم بني يعقوب بل في التوراة نصاً يقول إنْ يعقوب سجد على الأرض سبع مرات لعيسو إذ رآه وإن يعقوب لم يخاطب عيسو إلَّا بالعبودية والتذلل المفرط وأن جميع أولاد يعقوب عدا بنيامين الذي لم يكن وُلد بعد. وكلهم سجدوا لعيسو وأن يعقوب أهدى لعيسو مداراة له خمسمائة وخمسين رأساً من أبل وبقر وحمير وضاء ومعز وأن يعقوب رآها منه عظيمة إذ قبلها منه وان بني عيسو لم تزل أيديهم على أقفاء بني إسرائيل من أول دولتهم إلى انقطاعها أما يتمكنون عليهم أو يكونون على السواء معهم وأن بني إسرائيل لم يملكوا قط أيام دولتهم بني عيسو فعجباً لهٰذه الفضائح والضلال في توراتهم. ويذكر التوراة (وحدث لما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له يا ابني فقال له هانذا...)[٢]. وقال له لا أعلم يوم موتي فأخرج وصد لي صيدا لتصنع لي الطعام من هٰذا الصيد لتباركه نفسه وتحريض رفقه ليعقوب بأن يصنع ذٰلك. وأن يتقدم لأبيه ليأخذ بركته بدلًا من أخيه وقد كست يديه وملاسة عنقه بجلد من المعز ليكون ملمسه ملمس عيسو وتقدم لأبيه باسم عيسو مع أن صوته صوت يعقوب[٣]. ومع ذٰلك باركه قائلًا (يعطيك الله من ندى السماء من دسم الأرض ويكثر لك الحنطة والخمر وتخدمك الأمم وتسجد لك القبائل وتكون سيداً لأخوتك ويسجد لك بنو أمك ويكون لاعنك ملعوناً ومباركك مباركاً. وجاء عيسو بعد ذٰلك بالطعام الذي صنعه من صيده إلى ابنه وحينئذ أدرك إسحاق الخديعة فارتعش ارتعاشاً شديداً ولٰكنه قال له قد جعلته سيداً لك ودفعت إليه جميع إخوته عبيداً وبالحنطة والخمر أمددته فماذا أصنع لك ثم قال له لما بكى: بمعزل عن دسم الأرض يكون مسكنك وعن طل السماء من العلو وبسيفك تعيش وأخاك تخدم وتكسر نيره عن عنقك إذا قويت، وقد أثارت الخديعة

---

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٣٦. (٢) تك: ٢٧/ ١.

(٣) تاريخ بين إسرائيل من أسفارهم/ ٣٢.

حقد عيسو وأضمر الشر لأخيه مما جعل أمة تهربه إلى ديار خاله لابان في حاران ليقيم بها مدة ينفث غضب أخيه عليه. وفي القصة تكرار للصورة العجيبة من الأنانية وأثرها في يعقوب إزاء أخيه عيسو، وعجيبة اشتراك أم عيسو في مؤامرة ضد ابنها وإن كان يمكن أن يعزى ذٰلك إلى كراهيتها لزوجتيه ثم عجيبة انخداع إسحاق وإصراره على حرمان عيسو وتفضيل يعقوب بعد أن عرف بخديعة يعقوب له، ومهما يكن من أمر فأن فكرة توكيد اختصاص يعقوب ونسله بالبركة والتميز وتسجيل سيادتهم على أخوتهم وأبناء أخوتهم وسائر أمم الأرض وعبوديتهم لهم ملموحه بكل قوة في القصة مما جعل مدوني السفر يسيغون تدوينها مع ما فيها من تلك الصور العجيبة التي تسجل شدة أنانية وخداع يعقوب وغباء إسحاق والمتبادر إن هٰذا التسجيل من العوامل التي ظلت تدفع بني إسرائيل إلى الأثرة والأنانية والخداع مهما كانت الوسائل والأساليب[١].

وجاء في الإصحاحات ٢٨ - ٣١. سياق طويل يقص فيه قصة وصية إسحاق ليعقوب بأن لا يتزوج من بنات كنعان بل من بنات خاله في فدان آرام ودعوته بأن يعطيه بركة إبراهيم له.

ولنسله ليرث أرض غربته التي وهبها الله لإبراهيم (عليه السلام)، وذهابه إلى حاران واتفاقه مع خاله لا بان على خدمته سبع سنين مقابل زواجه بابنته راحيل فأدخلت عليه غيرها فحصلت ليئة إلى جنبه بلا نكاح بدلًا من راحيل التي أحبها وخدمته لخاله سبع سنين أخرى مقابل زواجه براحيل وخدمته ست سنين لخاله مقابل قطعان من المواشي أعطاها له، وهبه راحيل أَمتها بلهه وليئة أَمتها زلفة ليعقوب لاستيلائهما في ظروف امتنعتا فيها عن الحمل، وولادة راوبين وشمعون ولاوي ويهوذا وزبولون ويساكر وبنتاً اسمها دينه من ليئة ويوسف من راحيل ودان ونفتالي من بلهه وجاد وأشير من زلفة أثناء مقامه في حاران[٢].

ونمو غنم يعقوب نمواً عظيماً حتى أثار حسد وحقد خاله وأبنائه مما جعله

---

(١) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ محمد عزه دروزه/ ٣٢.

(٢) المعروف أن بني يعقوب أثنا عشر وهٰؤلاء أحد عشر، أما الثاني عشر فقد ولد له من راحيل بعد خروجه من حاران وهو بنيامين.

ينصرف مغاضباً لهم بزوجاته وأولاده ومواشيه وأمواله ويعود إلى أرض كنعان ومما ذكره الإصحاح الحادي والثلاثين إن راحيل سرقت أغنام أبيها وان لابان وأبناءه خرجوا في أثر يعقوب وأدركوه في شرق الأردن وعاتبوه على فراره وسرقة أصنامهم وأن الرب تراءى للابان في الحلم.

وكيف يتراءى له الرب مع أنه وثني - وأمره بعدم مس يعقوب بشر مما جعله في النهاية يجنح إلى مسالمته وقطع عهد سلام معه. وقد ذكر الإصحاح الثامن والعشرون خبر رؤية يعقوب للرب في حلمه ووعد له بتنمية نسله وتبارك جميع قبائل الأرض به وبنسله وإعطائه الأرض له ولنسله، مما هو متأثر فيما هو المتبادر بفكرة اختصاص يعقوب بالبركة والأرض التي ظلت تحرك بني إسرائيل وتحملهم على تسجيل ذٰلك وترسيخه جيلًا بعد جيل والمرة بعد المرة[١]. وجاء في الإصحاح الثاني والثلاثين قصة زائفة حيث ذكر أن رجلًا ظهر ليعقوب وهو في طريقه فصارعه حتى مطلع الفجر وأبى أن يطلقه حتى يباركه، وقد سأله الرجل عن اسمه فقال له أنه يعقوب فقال لا يكون أسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل لأنك إذ رَؤُست عند الله فعلى الناس أيضاً تستظهر[٢] وسأله عن اسمه فلم يقله له وباركه ومضى وسمي يعقوب المكان فنوئيل قائلًا: إني رأيت الله وجهاً إلى وجه، مما يبدو فيه الخيال من جهة وفكرة تسجيل عناية الرب بيعقوب وتقديره علوه وبالتالي علو نسله على الناس من جهة أخرى.

وفي هٰذه الإصحاح الذي يليه خبر لقاء عيسو مع يعقوب في الطريق وتخوف يعقوب منه لما يعرف من سابق حقده عليه واستغاثته الله بإنقاذه، وإظهار عيسو الترحيب به والمودة خلافاً لما وتقديم، تقديم يعقوب إليه هدية من المواشي التي جاء بها، ورجوع عيسو بعد ذٰلك إلى سعير، وأستمر يعقوب في طريقة إلى أن دخل أرض كنعان ونزل عند شكيم حيث ابتاع حقلًا من أهلها وأقام مذبحاً ودعاه باسم الله القدير إلٰه إسرائيل.

---

(١) الفصل في الملل/ أبن حزم الأندلسي/ ١/ ١٤٠، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ محمد عزة دروزه/ ٣٢.

(٢) في النسخ البروتستانتية العبارة جاءت هكذا (لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت).

في الإصحاح الرابع والثلاثين قصة عدوان شكيم بن حمور الحوى رئيس البلد على عرض دينة بنت يعقوب وشغفة بها وطلبها من أبيها لتكون زوجة له بواسطة أبيه وقد عرض الأب على يعقوب وبنيه تبادل الصهارة والإقامة بين ظهرانيهم والاتجار والتملك وأظهر استعداده لإعطاء المهر الذي يطلبونه لدينه ولأن ابنه علق بها[١].

وقال بنو يعقوب: لا نستطيع أن نعطي أختنا لرجل أقلف لأن ذٰلك عار علينا فإذا اختتن كل ذكر منكم فحينئذ نوافقكم ونصاهركم ونقيم عندكم، ونصير شعباً واحداً. وكان ذٰلك منهم كيداً ومكراً على ما ذكر الإصحاح نفسه. ووافقه الفتى اختتن وأقنع أبوه أهل المدينة فاختتن كل ذكر فيها حسب طلب بني يعقوب. وحينئذ أستل شمعون ولآوى أخوا دينه سيفين ودخلا المدينة آمنين وقتلا كل ذكر بما فيهم حمور وشكيم اغتناماً لفرصة جراح الختان ووجعه وأخذوا أختهم وسبوا جميع نساء المدينة وأطفالها استاقوا جميع ما فيها من بقر وغنم وحمير ونهبوا جميع أموالها واستبد الخوف بيعقوب وقال لبنيه لقد استقيتمانى واخبثتما ريحي عند أهل الأرض والكنعانيين والفرزيين وأنا في نفر معدود فيجتمعون عليَّ ويقتلونني أنا وأهل بيتي، ثم خرج من المنطقة بأمر الرب إلى بيت آيل فأقام فيها مذبحاً ثم أرتحل منها إلى قرية أربع حيث كان ينزل أبو إسحاق.

والمبالغة بادية في وصف ما فعله لآوى وشمعون من قتل جميع الذكور وسبي الأطفال والنساء ونهب جميع الأموال واستياق جميع المواشي. وينقض ذٰلك ما حكاه الإصحاح من خوف يعقوب من أهل المنطقة وفراره منها إلى محل بعيد مأهول بشعب غير الشعب الذي يأهل منطقة شكيم حيث كانت هٰذه المنطقة مأهولة بالكنعانيين بينما كانت منطقة أربع مأهولة بالأمويين على ما مرّ بيانه. ومهما يكن من أمر ففي القصة حادث غدر عجيب نحو شعب برمته بسبب عاطفة غرامية لشخص منهم، وخاصة بعد أن أظهر هٰذا الشخص وأبوه رئيس البلد وأهل المدينة كل استعداد لتلافي الأمر، ووافقوا على شرط ومنحوا يعقوب وبنيه كل

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٤٣، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ محمد عزه دروزة/ ٣٣ - ٣٤.

شيء مما لا ريب فيه أن تسجل هٰذا الحادث من العوامل التي أصلت الروح التي صدر عنها هٰذا الغدر في بني إسرائيل وجعلتهم لا يتورعون عن ارتكاب مثله في كل فرصة مناسبة[(١)].

وذكر في الإصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين خبر تجلي الرب ليعقوب بعد خروجه من منطقة شكيم على الوجه الذي خرج به وتكرار وعده له بتنمية نسله وإخراج ملوك من صلبة وجعل الأرض التي أعطاها لإبراهيم وإسحاق له ولنسله والمتبادر أن هٰذا متأثر بفكره الاختصاص التي ظلت تتحكم في أذهان بني إسرائيل وتجعلهم يسجلونه المرة بعد المرة.

وفي الإصحاح: خبران عجيبان: أولهما قول يعقوب لأهله (أزيلوا الآلهة الغربية التي بينكم).

فسلموها إليه.أي أن أهل يعقوب لم يلبثوا أن تأثروا بمن كانوا يسكنون عندهم من أهل الأرض فاتخذوا أصنامهم آلهة لهم[(٢)].

ولقد كانت زوجتا يعقوب حديثتي عهد بالوثنية لأن لابان أباهما كان وثنياً وقد سرقت راحيل أصنامه على ما مر ذكره قبل قليل. ولقد ظل هٰذا ديدن بني إسرائيل في مختلف أدوار تاريخهم القديم حيث كانوا لا يلبثون أن ينجرفوا إلى الوثنية تأثراً بمن كان حولهم من الشعوب.

أما ثاني الخبرين: فهو مضاجعة راوبين بكر يعقوب لبلهة زوجة أبيه وأم دان ونفتالي وانتشار الخبر عند الجميع. ومن العجيب إن الإصحاح لم يسجل أثراً لهٰذا العار الذي كان أعظم من عار هتك عرض دينه.

وقد ذكر في آخر الإصحاح خبر وفاة إسحاق ودفنه من قبل ابنيه يعقوب وعيسو وإقحام عيسو في الخبر عجيب مثل إقحام إسماعيل في خبر دفن إبراهيم مع إسحاق لأن عيسو قد نزح وسكن في جبل سعير في أقصى جنوب شرق الأردن[(٣)]!

---

(١) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ محمد عزه دروزة/ ٣٣ - ٣٤.

(٢) المصدر نفسه/ ٣٥.

(٣) المصدر السابق نفسه/ ٣٥.

وتذكر التوراة: أن عيسو لما رأى أن بنات كنعان شريرات في عيني أبيه مضى إلى إسماعيل فتزوج بنتاً له اسمها محله بالإضافة إلى زوجاته الأوليات[١]. ثم ذكر السفر مواليد عيسو وزوجاته[٢]. مع شيء من التناقض، حيث سميت بنت إسماعيل هنا باسمه وسميت زوجتاه الأوليان عادة بنت أيلون الحثي وأهليبامه بنت عانة بنت صبعون الحوى ووصفتا بصفة بنات كنعان. وقد ذكر الإصحاح إنه ولد لعانة ولد اسمه اليفاز ولبسمة ولد اسمه دعوئيل ولا هليبامه ثلاثة أولادهم يعوش ويعلام وقورح. هٰؤلاء ولدوا في أرض كنعان. ثم أخذ عيسو نساءه وبنيه وبناته وكل نفس في بيته وما شيته وكل بهائمة وأنتقل إلى أرض غربتهما. وقد أقام عيسو بجبل عسير. وهو أدرم وأبو الأدوميين وهناك نمت ذريته وكثرت. وقد ولد لأليفاز يتمان وأومار وصفو وجعثام وقناز وولد لرعوئيل نحت وزارح وشمه ومزه ثم يقول الإصحاح وهٰؤلاء زعماء بني عيسو: بنو اليفاز بكر عيسو الزعيم تيمان والزعيم أومار والزعيم صفو والزعيم قناز والزعيم قردح والزعيم جعثام والزعيم عماليق. وهٰذا الأخير هو ابن لأليفاز من سرية اسمها تمناع. ثم بنو رعوئيل الزعيم نحت والزعيم زارح والزعيم شمة والزعيم مزة. ثم بنو أهليبامه زوجه عيسو الزعيم يعوش والزعيم يعلام والزعيم قورح وفي آخر الإصحاح ذكروا مرة ثانية ببعض زيادة ونقص هكذا هٰذه أسماء زعماء عيسو بقبائلهم ومواضعهم بأسمائهم: الزعيم تمناع علوه والزعيم يتيت والزعيم أهليبامه والزعيم أيله والزعيم فينون والزعيم قناز والزعيم تيمان والزعيم مبصار والزعيم مجدئيل والزعيم عيرام. حيث تعتبر عبارة هٰذه الإصحاح ركيكة ومتداخلة. ويذكر السفر في النسخة العبرانية هكذا (وضاجع بلهة سرية أبيه فسمع إسرائيل)[٣].

وجاءت في النسخة اليونانية هكذا (وضاجع بلهة سرية أبيه فسمع إسرائيل وكان قبيحاً في نظره) والصحيح ما في اليونانية ولٰكن في الحقيقة إن النسختين خطأ لما تحتويان من الكلام المنكر والقبيح والذي ينسبونه إلى الله فحاشا لله من أن يصدر منه هٰذا الكلام وحاشا لزوج النبي يعقوب من الزنا وعلى كل حال فإن

---

(١) تك: الإصحاح/ ٢٨. (٢) تك: الإصحاح/ ٣٦.
(٣) تك: الإصحاح/ ٣٥: ٢٢.

الفرق والاختلاف واضح بين النسختين[١].

وذكر هٰذا السفر هٰذه العبارة في النسخة اليونانية (لما سرقتم صواعي) وهٰذه الجملة لا توجد في العبرانية والصحيح ما في اليونانية[٢].

ويذكر في السفر (فهٰؤلاء بنو ليئة الذين ولدتهم بين نهر سورية ودينا ابنتها فجميع بنيها وبناتها ثلاثة وثلاثون نفساً) فقوله ثلاثة وثلاثون نفساً غلط[٣].

والصحيح أربع وثلاثون نفساً. وأعترف بكونه غلطاً، مفسرهم المشهور هارسلي حيث قال: (لو عددتم الأسماء وأخذتم دينا صارت أربعة وثلاثين ولا بد من أخذها، كما يعلم من تعداد أولاد زلفة لأن سارا بنت أشير واحدة من ستة عشر).

وقال السفر في ذكر بركة يعقوب (عليه السلام) على بينه وأنه وضع يده اليمنى على رأس أفرايم بن يوسف واليسرى على رأس منسي بن يوسف وإن ذٰلك شق على يوسف (عليه السلام) وقال لا يحسن هٰذا يا أبتِ لأن هٰذا بكر ولدي فأجعل يمينك على رأسه يعني منسي فكره ذٰلك يعقوب وقال علمت يا بني علمت وستكثر ذرية هٰذا وتعظم ولٰكنّ أخاه الأصغر يكون أكثر منه نسلًا وعدداً يعني أن فرايم يكون عدد نسل منسي ثم ذكر في مصحف يوشع أن بني منسي كانوا إذا دخلوا الشام وقسمت عليهم الأرض أثنين وخمسين ألفاً وسبعمائة مقاتل وإن بني أفرايم كانوا حينئذ أثنين وثلاثين ألفاً وخمسمائة[٤].

وذكر في كتاب لهم ومعظم عندهم اسمه سفطيم أنه ذكر بني إسرائيل قبل داود (عليه السلام) أربعة من ملوك بني منسي وأربعة من بني أفرايم وأن من جملة بني منسي المذكورين رجلًا اسمه مفتاح بن علفاذ قتل من بني أفرايم اثنين وأربعين ألف مقاتل حتى كاد أن يستأصلهم في كتاب لهم أخر معظم عندهم أيضاً اسمه ملاخيم أنه ملك عشرة أسباط من بني إسرائيل بعد سليمان (عليه السلام) إلى أن ذهب الأسباط المذكورون وسبوا من بني أفرايم ملكيين كانت مدتهما جميعاً ستّاً وعشرين سنة فقط وهما باريعام وابنه باباط ووليهم من بني منسي خمسة ملوك واتصلت دولتهم

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٥١. (٢) تك: الإصحاح/ ٤٤/ ٥.
(٣) تك: الإصحاح/ ٤٦/ ١٥. (٤) تك: الإصحاح/ ٤٨.

مائة وعامين وهما زحربا بن باريعام بن نواس بن نهر باحار بن بهو كلهم ملك بن ملك بن ملك بن ملك بن ملك ولم يكن فيمن ملك الأسباط العشرة أقوى ملكاً من هٰؤلاء المنسانين وهٰذا ضد قول يعقوب الذي حكوه عنه وحاشا لله أن يكذب نبي فيما ينذر به من الله (ﷻ) فأن قالوا أن يوشع بن نون وربور أنسه وملحي المورشي النبي كلهم كان من بني أفرايم، وكان بنو أفرايم إذ أخرجوا من مصر أربعين ألف وسبعمائة مقاتل وكان بنو منسي يومئذ أثنين وثلاثين ألفاً ومائتين مقاتل. ولم يذكروا أن يعقوب قال يكون الشرف في نسل أفرايم إنما حكيتم أنه قال أن أفرايم يكون أكثر نسلًا وعدداً من منسي على التأييد والعموم وإيصال البركة لا على وقت خاص قليل ثم يعود الأمر بخلاف ذٰلك فتبطل البركة ويصير المبارك مدبراً والمدبر مباركاً في الأبد[(١)].

وفي هٰذا السفر ذكر عن يعقوب (عليه السلام) أنه قال لرأوبين في ذٰلك الوقت أنت أول المواهب مفضل في الشرف مفضل في العز ولا تفضل منهم له ماء[(٢)]. إن هٰذا الكلام يكذب أوله أخره.

وفي الإصحاح نفسه ذكر إن يعقوب (عليه السلام) أنه قال ليهوذا حينئذ لا تنقطع من يهوذا المخصرة ولا من نسله قائد حتى يأتيني المبعوث الذي هو رجاء الأمم[(٣)].

وهٰذا كذب لأنه قد انقطعت من يهوذا المخصرة وانقطعت من نسله القواد ولم يأت المبعوث الذي هو رجاؤهم وكان انقطاع الملك من ولد يهوذا من عهد نبوخذنصر منذ أكثر من ألف وخمسمائة عام إلَّا مدة يسيرة وهي مدة زربائيل بن صلثائيل فقط.

ويقول الكاتب أشموال بن يوسف اللاوي والمعروف بابن النفرال: في سنة أربعمائة وأربع حيث يقول لم تزل رؤوس الجواليت ينتسلون من ولد داود وهم من بني يهوذا وهو قيادة وملك ورياسة فقلت هٰذا خطأ لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره أحد من اليهود ولا من غيرهم وإنما هي تسمية لا حقيقية لها ولا له قيادة ولا بيده

---

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٥٣. (٢) تك: الإصحاح/ ٤٩.
(٣) تك: الإصحاح/ ٤٩.

مخصرة فكيف وبعد أحرب بابن برام لم يكن من بني يهوذا أصلًا. مدة ستة أعوام ثم بعده نشأ الملقب صدقيا بن يوشيا لم يكن منهم لأَحد له معين ولا من يملك على أَحد أثنين وسبعين عاماً متصلة حتى ولي زربابيل ثم انقطع الولاة منهم جملة لا رأس جالوت ولا غيره مدة ولات الهارونيين ملكاً مائتين من السنين. ليس لأحد من يهوذا في ذٰلك أمر إلى دولة المسلمين أو قبلها بيسير فأوقعوا اسم الجالوت على رجل من بني داود إلى اليوم إلَّا أن بعض المؤرخين القدماء ذكروا إن هردوس وابنيه وابن ابنه إعريفاس بن إعريفاس كانوا من بني يهوذا وألا ظهر إنهم من الروم عند كل مؤرخ فظهر كذب هٰؤلاء وحاشا لله أن يكذب نبي[(١)].

وفي هٰذا السفر: ذكر يعقوب (عليه السلام) قال للاوي وشمعون سأبددهما في يعقوب وأفرقهما في إسرائيل[(٢)]. أما لاوى فكان نسله مبدداً في بني إسرائيل كما ذكر وأما بنو شمعون فلا بل كانوا مجتمعين في البلد الذي وقع لهم كسائر الأسباط ولا فرق وليس إنذار النبوة مما يكذب في قصة ويصدق في أخرى.

وجاء في هٰذا السفر في النسخة العبرانية هكذا: (فأذهبوا بعظامي من هاهنا)[(٣)]. وفي اليونانية والسامرية هكذا: (فاذهبوا بعظامي من هاهنا معكم). فالاختلاف واضح بينهما.

ب - التناقض في سفر الخروج:

لقد ذكر السفر هٰذه العبارة في النسخة اليونانية: (وولد أيضاً غلاماً ثانيا ودعا اسمه لعازر فقال من أجل إن إلٰه أبي أعانني وخلصني من سيف فرعون) حيث إن هٰذه العبارة لا توجد في النسخة العبرانية والصحيح ما في اليونانية. ويعتبر هٰذا الكلام اختلافاً واضحاً بين النسختين[(٤)].

وجاء في هٰذا السفر هٰذه العبارة في النسخة العبرانية هكذا (فولدت له هارون وموسى). وفي النسخة السامرية والترجمة اليونانية هكذا: (فولدت له هارون وموسى ومريم أختهما) فلفظ (مريم أختهما) سقط من النسخة العبرانية. وهٰذا

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٥٣. (٢) تك: الإصحاح/ ٤٩: ٥ - ٧.
(٣) تك: الإصحاح/ ٥٠: ٢٥. (٤) إظهار الحق/ الهندي/ ١/ ٣٢٦.

اختلاف واضح بين النسختين[١].

وجاء في السفر أيضاً: إن هارون ألقى العصا بين يدي فرعون وعبيده فصارت حية فدعا فرعون بالعلماء والسحرة وفعلوا بالرقى المصري مثل ذٰلك ولٰكن عصا موسى ازدرت عصيهم ثم ذكر إن موسى وهارون فعلا ما أمرهما السيد فرفع العصا وضرب بها ماء النهر بين يدي فرعون وعبيده فعاد دماً ومات كل حوت فيه ونتن والنهر ولم يجد المصريون سبيلًا إلى الشراب منه وصار الماء في جميع أرض مصر دماً ففعل مثل ذٰلك سحرة مصر برقاهم ثم ذكر أن هارون مد يده بالعصا وضرب بها غبار الأرض فتخلف منها بعوض في الآدميين والأنعام وعاد جميع الغبار بعوضاً في جميع أرض مصر فلم يفعل السحرة مثل ذٰلك برقاهم وراموا اختراع البعوض فلم يقدروا عليه فقال السحرة إلى لفرعون: هٰذا صنع الله[٢].

لو صح هٰذا الكلام لبطلت نبوة موسى (عليه السلام) بل نبوة كل نبي ولو قدر السحرة على شيء من جنس ما يأتي به النبي لكان باب السحرة وباب مدعى النبوة واحداً ولما انتفع موسى بازدراء عصاه لعصيهم ولا بعجزهم عن البعوض وقد قدروا على قلب العصي حيات وعلى إعادة الماء دماً[٣]. وعلى المجيء بالضفادع ولما كان لموسى (عليه السلام) بنبوته أكثر من أنه أعلم بذٰلك العمل منهم فقط ولو كان كما قال هٰؤلاء الكذابون لكان فرعون صادقاً في قوله إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ولا منفعة لهم في قول السحرة في البعوض هٰذا صنع الله لأنه يقال لبني إسرائيل فعلى موجب قول السحرة لم يكن من صنع الله قلب العصا حية والماء دماً والمجيء بالضفادع بل غير صنع الله وهٰذه عظيمة تقشعر منها الجلود أين هٰذا الأفك المفترى البارد من نور الحق الباهر إذ يقول الله (عز وجل) ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ﴾[٤]. ويقول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

---

(١) خرو: ٦: ٢٠. (٢) خرو: ٧: ٩

(٣) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٥٣. (٤) سورة طه/ الآية ٦٩.

﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾(١).

ويقول تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾(٢).

فأخبر عز وجل أن الذي عمل موسى حق وإن عصاه صارت ثعباناً على الحقيقة. بقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾(٣).

فصح أنه تبين ذٰلك لكل من رآه يقيناً وأخبر أن الذي عمل السحرة إنما هو إفك وتخييل وكيد وهٰذا هو الحق الذي تشهد به العقول لا في الكتاب المبدل المحرف(٤).

فصح أن فعل السحرة حيلة مموهة لا حقيقة لها وهٰذا الذي يصححه البرهان إذ لا يحيل الطبائع إلَّا خالقها شهادة لرسله وأنبيائه وفرقاً بين الصدق والكذب لا قولهم عمل السحرة مثل ما عمل موسى في وقت تكليفه برهان على صدق قوله وعند تحدّيه لهم على أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين وهو كاذب فأتوا بمثله. وإن وأضح ذٰلك الكتاب الذي يسمونه (الحماس) ويدعون أنه توراة موسى (عليه السلام) إنما كان زنديقاً مستخفاً بالباري تعالى ورسله وكتبه وحاشا لموسى (عليه السلام) منه وأنهم إلى الآن يزعمون أن إحالة الطبائع وقلب الأجناس عن صفاتها الذاتية إلى أجناس أُخر واختراع الأمور المعجزات في البنية يقدر على ذٰلك بالرقي والصناعات. وإن من صدق بهٰذا مبطل للنبوة بلا شك إذ لا فرق بين النبي وغيره إلَّا في هٰذا الباب فإذا أمكن لغير النبي فلم يبق إلَّا دعوى لا برهان عليها ونعوذ بالله من الضلال. وفي قصة قلب الماء دماً فضيحة أخرى ظاهرة الكذب وهي أنّ في نص الكلام الذي يزعمونه التوراة ثم قال السيد لموسى قل لهارون مد يدك بالعصا على مياه مصر وأنهارها وأوديتها ومروجها وجناتها لتعود دماً وتصير ماءً في آنية التراب والخشب دماً ففعل موسى وهارون كما أمرهما به السيد إلى قوله وصار الماء في جميع أرض مصر دماً ففعل مثل ذٰلك سحرة مصر برقاهم واشتد قلب فرعون ولم يسمع لهم على حال ثم انصرف فرعون ودخل بيته ولم يوجه قلبه إلى هٰذا أيضاً

---

(١) سورة الأعراف/ ١١٣ - ١١٩.

(٢) سورة طه/ الآية ٦٦.

(٣) سورة الأعراف/ الآية ١٠٧.

(٤) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٥٥.

وحفر جميع المصرين حوالي النهر ليصيبوا الماء منها لأنهم لا يقدرون على شرب الماء من النهر[١].

وهٰذا نص كتابهم فأخبر أن كل ماء كان بمصر في أنهارها وأوديتها ومروجها وجناتها وأواني الخشب والتراب والماء كله في جميع أرض مصر صار دماً فأي ماء بقى حتى تقلبه السحرة دماً كما فعل موسى وهارون. إن هٰذا الكلام مليء بالكذب فإن قالوا ماء الآبار التي حفرها المصريون حول النهر وإلا فكيف عاش الناس بلا ماء أصلًا أليس هٰذه فضائح مردودة.

ويذكر السفر: (ففعل الرب هٰذا الكلام في الغد ومات كل بهائم المصريين ولم يمت واحدة من ماشية بني إسرائيل)[٢]، فيعلم منه أن بهائم المصريين ماتت كلها ثم في الإصحاح (من خاف كلمة الرب من عبيد فرعون هرب بعبيده ودوابه إلى البيوت، ومن لم يخطر على بالِه قول الرب ترك عبيده ودوابه في الحقول)[٣]، فبينهما اختلاف.

ويذكر الإصحاح الحادي عشر هٰذه العبارة في النسخة السامرية: «وقال موسى لفرعون الرب: يقول إسرائيل ابني بل بكري، فقلت لك أطلق ابني ليعبدني، وأنت أبيت أن تطلقه هاأنذا سأقتل ابنك بكرك». حيث لا توجد هٰذه العبارة في النسخة العبرانية.

وفي هٰذا السفر: «يقول حينئذ مجد موسى وبنو إسرائيل بهٰذه السورة وقالوا مجد بنا السيد فإنه يعظم ويشرف وأغرق في البحر الفَرس وراكبة قوَّتي ومديحي للسيد وقد صار خلاصي هٰذا الهي أمجده إلٰه أبي أعظمه السيد قاتل كالرجل القادر»[٤]، «اعلموا إن السيد إلٰهكم الذي هو نارٌ أكول»[٥].

هٰذا الكلام إساءة كبيره لأنه يشبه الله (ﷻ) بالرجل القادر ويخبر أنه نار. هٰذه مصيبة لا تجبر وفي السفر ذكر وصف المنَّ النازل عليهم من السماء فقال: وكان أبيض شبيهاً بزريعة الكزبر ومذاقه كالسميد المعل[٦]. ثم قال في السفر الرابع كان

---

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٥٥. (٢) خرو: ٩: ٦.
(٣) خرو: ٩: ٦. (٤) خرو: ١٥: ١ - ٢.
(٥) خرو: ٥: ٢٤. (٦) خرو: ١٦: ٣١.

المن شبيهاً بزريعة الكزبر ولونه إلى الصفرة وكان طعمه كطعم الخبز المعجون بالزيت[(١)].

أن هٰذا الكلام فيه تناقض في الصفة وأحدى الصفتين تكذب الأخرى بلا شك[(٢)].

وذكر هٰذا السفر أن الله (ﷻ) قال لبني إسرائيل لقد رأيتموني كلكم من السماء فلا تتخذوا معي آلهة الفضة[(٣)]. ثم قال بعد ذٰلك صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون رجلًا من المشايخ ونظروا إلى إسرائيل وتحت رجليه كلبنه من زمرد فيروزي وكسماء صافية ولم يمد الرب يده إلى خيار إسرائيل بني إسرائيل الذي نظروا وأكلوا وشربوا وقال بمقربة من ذٰلك وكان منظر عظمة السيد كنار آكله في قرن الجبل يراه جماعة من بني إسرائيل[(٤)].

وهٰذا الكلام تجسيم لا شك فيه وتشبيه لا خفاء به.

ويقول السفر الخامس كلمكم الله من وسط اللهيب فسمعتم صوته ولم تروا له شخصاً وهاتان قضيتان تكذب كل واحدة منهما الأخرى.

وفي السفر ذكر تذمر بني إسرائيل من إبطاء موسى في النزول من الجبل مرة من المرات وطلبهم من هارون صنع آلهة لهم تسير أمامهم، وتنفيذ هارون للطلب وصنعه من أقراط الذهب التي في آذان النساء والأولاد عجلًا وبنائه أمامه مذبحاً وتقريبه القرابين له... وهكذا لم يكد يجف حبر وصايا الرب حتى بادر بنو إسرائيل إلى نقضها مما كان ديدناً لهم في جميع تاريخهم.

وأخبر الرب موسى بحيدان قومه عن الطريق التي أمرهم بسلوكها وسجودهم للعجل المسبوك، وقال له أنهم شعب قساة الرقاب فدعني أغضب عليهم وأفنيهم فتضرع موسى وطلب العفو فاستجاب الرب لضراعته، هٰذا مما يمت إلى فكرة الاختصاص الرباني لبني إسرائيل التي نبهنا عليها قبل والتي كانت تدفعهم إلى

---

(١) خرو: ١١: ٧.

(٢) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٦٠.

(٣) خرو: ٢٠: ٢٢.

(٤) خرو: ٣٢: ١.

الانحرافات المرة بعد المرة[١]. ورجع موسى ومعه لوحان منقوشان بمعجزة ربانية فيهما الوصايا، ولما وصل ورأى العجل والناس يغنون ويرقصون حوله أتقد غضبه وألقى اللوحين فانكسرا ثم العجل وذراه وهتف من كان الرب فليقبل إليّ فأجتمع إليه جميع بني لاوي فأمرهم بلسان الرب أن يتقلد كل واحد سفيه وأن يقتل أخاه فنفذوا أمره وسقط من الشعب ثلاثة آلاف قتيل، ثم صعد إلى الجبل فناجى ربه معتذراً مستغفراً[٢].

وفي الإصحاح الثالث والثلاثين: ذكر أن الله تعالى قال لموسى أذهب وأصعد من هٰذا الموضع أنت وأمتك التي أخرجت من مصر إلى الأرض التي وعدت بها مقُسماً إبراهيم وإسحاق ويعقوب لأورثها نسلهم وأبعث بين يديك ملكاً لإخراج الكنعانيين والأموريين والحثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين تدخل في أرض تفيض لبناً وعسلًا لست أنزل معكم لأنكم أمة قساة الرقاب لئلا تهلك بالطريق فلما سمعت العامة هٰذا الوعيد الشديد عجبت ولم تأخذ زينتها فقال السيد لموسى قل لبني إسرائيل أنتم أمة قد قست رقابكم سأنزل عليكم مرة وأهلكم فضعوا زينتكم لأعلم ما أفعل بكم وبعد ذٰلك بفصول قال أن موسى قال لله تعالى إن كنت سيدي عني راضياً فأنا أرغب إليك أن تذهب معنا وبعد ذٰلك إن الله تعالى قال لموسى سأخرج بنفسي بين يديك.

إن في هٰذا الكلام كذبتين وتشبيه محقق أما الكذبتان. فأحدها قوله أنه سيبعث بين يدي موسى ملكاً لإخراج الأعداء وأما هو تعالى فليس ينزل معهم ثم نزل معهم وهٰذا كذب لا مخلص منه تعالى الله عن هٰذا وحاشا له من أن يقول سأفعل ثم لا يقول لا يفعل ثم لا يفعل وأن يقول لا أفعل، والثانية قوله إني سأنزل إليكم مرة وأهلككم ثم لم يفعل حاشا لله من هٰذا وأما التشبيه المحقق فامتناعه من أن ينزل بنفسه واقتصاره على أن يبعث ملكاً لنصرتهم أجاب إلى النزول معهم وهٰذا ما لا يسوغ فيه ما يسوغ فمن حديث التنزيل من أنه فعل بفعله تعالى لأنه لو كان هٰذا لكان إرسال الملك أقوى ما يوجد في العالم فإذ قد بطل فقد صح نزول نقله[٣]. وجاء في

---

(١) تاريخ إسرائيل من أسفارهم/ محمد عزة دروزة/ ٤٦.

(٢) تاريخ إسرائيل من أسفارهم/ محمد عزة دروزة/ ٤٧.

(٣) الفصل في الملل/ ابن حزم الأندلسي/ ١/ ١٦٠.

الإصحاح الثالث والثلاثين: كان الرب يكلم موسى مواجهة فماً بفم كما يكلم المرء صديقة وأن موسى رغب إلى الله تعالى أن يراه وأن الله تعالى قال له سأُدخلك في حجر وأحفظك بيميني حتى أجتاز ثم أَرفع يدي وتبصر ورائي لأنك لا تقدر أن ترى وجهي[١]. ففي هٰذين القولين تشبيه شنيع جداً من إثبات آخر بخلاف الوجه وهٰذا ما لا مخرج منه[٢]، وقد ورد في التوراة ما يقرر أن الأبناء يؤخذون بذنب الآباء حتى الجيل الثالث والرابع، وهاك نص العبارة: (مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع)[٣] وفي سفر حزقيال ما يعارض هٰذا الاتجاه، فقد جاء به النفس التي تخطيء هي فموت الابن لا يحمل من أثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، برُّ البار عليه يكون، وشرُّ الشرير عليه يكون[٤].

***

(١) تاريخ إسرائيل من أسفارهم/ محمد عزة دروزة/ ٤٧.

(٢) خرو: ٧، تث/ ٥: ٩، وعد/ ١٤: ١٨.

(٣) خرو/ ٧، تث/ ٥: ٩، وعد/ ١٤: ١٨.

(٤) خر/ ١٨/ ٢٠.

المطلب الثاني
التناقض في أسفار اللاويين والعدد والتثنية

أ - التناقض في سفر اللاويين: إن من يقرأ سفر اللاويين (الأحبار) يجد فيه هٰذه الجملة التي وردت في النسخة العبرانية: (كما أمر موسى) وتوجد بدلها اليونانية والسامرية هٰذه الجملة: (كما أمر الرب موسى)(١). حيث إن الاختلاف واضح بين النسختين. وجاء في السفر: هٰذه العبارة (إذ انزل بكم غريب في أرضكم فلا تظلموه وليكن عندكم الغريب الدخيل فيما بينكم كالصريح منكم وكنفسك تحبه لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر)(٢). وفي هٰذا السفر إيجاب بقتل أي من بني إسرائيل أو الغرباء الدخلاء فيهم يعطي من نسله (لمولك)(٣). ثم يستمر الإصحاح في الأوامر والنواهي والعقوبات بصيغة مطلقة بحيث تبدو إنها شاملة للإسرائيليين والغرباء والدخلاء فيما بينهم، هٰذا في حين أنه ليس في الأسفار ما ثني عما يدل على إن موسى أو بني إسرائيل مأمورون بدعوة غيرهم إلى ديانتهم، وإن كل ما فيها منصب على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة وكون الرب ربهم الخاص تنزه تعالى. فالظاهر إنهم كانوا يتساهلون فيقبلون انتساب الغرباء والدخلاء الذين يعيشون بينهم إلى ديانتهم ويشملونهم بأحكامها ورسومها(٤)، وليس ذٰلك دعوة ولا تبشيراً، بحيث يصح أن يقال أن الديانة اليهودية ليست تبشيرية ولا إنسانية عامة مع أن ما أنطوى فيها من تعاليم ومبادئ وخاصة وتوحيد الله وعبادته وحده بأسلوب صارم ويجعلها جديرة بأن تكون ديانة ورسالة إنسانية عامة وخالدة.

والمتبادر أن هٰذا قد أتى من عقيدتهم النفسية التي جعلتهم شديدي الأنانية

---

(١) لاو: ٩: ١٠، إظهار الحق/ الهندي/ ١/ ٣٤٨. (٢) لاو: ١٩: ٣٣ - ٣٤.
(٣) مولك: إلٰه كنعاني يقرب له الأبناء حرقاً، ولاو: ٢٠: ٢ - ٤.
(٤) ينظر: محمد عزة دروزه/ تاريخ بني إسرائيل من إسفارهم/ ص٥١.

والعزلة والكراهية بالنسبة للأمم الأخرى وجعلتهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المقدس ويعتبرون جميع الشعوب دونهم عبيداً لهم ويسجلون ذٰلك في أسفارهم مما أثار ضدهم جميع الشعوب قديماً وحديثاً[١].

وإذا كانت طوائف من أمم أخرى اعتنقت الديانة اليهودية مما هو ثابت يقيناً في ظروف سبيهم إلى بابل وبعد عودتهم من السبي ثم بعد جلائهم عن فلسطين بعد الميلاد فالمتبادر أن ذٰلك كان سبب ما صاروا إليه من حالة وهن وتشتت. ولعله كان من قبيل التساهل بقبول من أراد اعتناقها ممن كان مندمجاً فيهم كدخلاء أو غرباء أو لأجل تقوية أنفسهم بهم. وقد احتوى هٰذا السفر: ترغيباً وترهيباً شديدين لبني إسرائيل في حالة إتباعهم هٰذه الوصايا ومخالفتهم لها فقال لهم بلسان الرب: (إن جريتم على رسومي وحفظتم وصاياي وعملتم بها أتت غيوثكم في أوانها وأخرجت الأرض غلالها وتأكلون طعامكم شبعاً وتقيمون في أرضكم آمنين والقي السَّلام في الأرض وأزيل الوحوش الضارية منها فلا يكون عليهم مزعج ولا في أرضكم سيف.. ثم إن لم تطيعوني بعد هٰذا زدتكم تأديباً على خطاياكم سبعة أضعاف. فأحطم شامخ عزكم وأجعل سماءكم كالحديد وأرضهم كالنحاس وتفرغ قواكم عبثاً... وإذا كانوا حينئذ في أرض أعدائهم لا أخذلهم ولا أكرهم بحيث أفنيهم وأفسخ عهدي معهم لأني أنا الرب إلٰههم بل أذكر لهم عهد الأولين الذين أخرجتهم من أرض مصر على عيون الأمم لأكون لهم إلٰهاً أنا الرب»[٢]...

ويلمح في العبارات الأخيرة أثر من مزاعم الاختصاص التي أوجدت عقدة في بني إسرائيل من حيث كون الإلٰه هو إلٰههم وكونهم هم شعبه وأنه يشفق عليهم وينقذهم مهما أثموا وانحرفوا وطغوا وبغوا. كما يلمح فيها كما وفي الإصحاحات أثر ما كان من سيرة بني إسرائيل وأحداثهم في أرض كنعان وما كان من انحرافاتهم وما أصابهم من نكال وتشريد بسببها[٣].

ب - التناقض في سفر العدد: جاء في هٰذا السفر: (فكان عدد بني إسرائيل جميعه لبيوت آبائهم وعشائرهم من ابن عشرين سنة وما فوق، ذٰلك كل الذين كان

---

(١) المصدر نفسه/ ٥١. (٢) لاو: ٢٦: ١ - ١٩.

(٣) ينظر: محمد عزة دروزة/ تاريخ إسرائيل من اسفاهم/ ص٥١.

لهم استطاعة الانطلاق إلى الحروب. ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسون رجلًا. واللاويون في سبط عشائرهم ولم يعدوا معهم)(١). يعلم من هٰذه الآيات إن عدد الصالحين لمباشرة الحروب كان أزيد من ستمائة ألف. وإن اللاويين مطلقاً ذكوراً أو إناثاً، وكذٰلك إناث جميع الأسباط الباقية مطلقاً، وكذا ذكورهم الذين لم يبلغوا عشرين سنة، خارجون عن هٰذا العدد. فلو ضممنا جميع التروكين والمتروكات من المعدودين لا يكون الكل أقل من ألفي ألف وخمسمائة ألف (٢٥٠٠٠٠٠) وهٰذا غير صحيح لوجوده.

الوجه الأول: إن عدد بني إسرائيل من الذكور والإناث حينما دخلوا مصر كان سبعين كما هو مصرح في الآية السابعة والعشرين من الإصحاح السادس والأربعين من سفر التكوين والآية الخامسة من الإصحاح الأول من سفر الخروج والآية الثانية والعشرين من الإصحاح العاشر من سفر التثنية وأن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر كانت مائتين وخمس عشرة سنة لا أزيد من هٰذه(٢). وقد صرح في الإصحاح الأول من سفر الخروج إن قبل خروجهم بمقدار ثمانين سنة، وأبناؤهم كانوا يقتلون وبناتهم تستحيا. وإذا عرفنا هٰذه الأمور الثلاثة، أعني عددهم حينما دخلوا مصر ومدة إقامتهم فيها وقتل أبنائهم. فالقول: لو قطع النظر عن القتل، وفرض أنهم كانوا يضاعفون في كل خمس وعشرين سنة، فلا يبلغ عددهم إلى ستة وثلاثين ألفاً في المدة المذكورة فضلًا عن أن يبلغ إلى ألفي ألف وخمسمائة ألف.

الوجه الثاني: يبعد كل البعد أنهم يكثرون من سبعين بهٰذه الكثرة، وأن سلطان مصر يظلمهم بأشنع ظلم، وكونهم مجتمعين في موضع واحد ولا يصدر عنهم البغاوة ولا المهاجرة من دياره والحال إن البهائم أيضاً تقوم بحماية أولادهم.

الوجه الثالث: إنه يعلم من سفر الخروج أن بني إسرائيل كان معهم المواشي العظيمة من الغنم والبقر، ومع ذٰلك صرح في هٰذا السفر أنهم عبروا البحر في ليلة واحدة وإنهم كانوا يرتحلون كل يوم، وكان يكفي لارتحالهم الأمر اللساني الذي يصدر عن موسى(٣).

---

(١) عد: ١: ٤٥ - ٤٧.

(٢) ينظر: الهندي/ إظهار الحق/ ١/ ٤٦ - ٤٧.

(٣) خرو: ١٢.

الوجه الرابع: إنه لابد أن يكون موضع نزولهم وسيعاً جداً، بحيث يسع كثرتهم وكثرة مواشيهم وحوالي طور سيناء، وكذٰلك حوالي اثنتي عشرة عيناً في إيليم ليسا كذٰلك. فكيف وسع هٰذان الموضعان كثرتهم وكثرة مواشيهم[(١)].

الوجه الخامس: وقع في الآية الثانية والعشرين من الإصحاح السابع من سفر الاستثناء هكذا: (فهو يهلك هٰذه الأمم من الأمم قدامك قليلا قليلًا تسمه إنك لا تستطيع أن تبيدهم بمرة واحدة لئلا يكثر عليك دواب البر). وقد ثبت أن طول فلسطين كان يعد مائتي ميل وعرضه بقدر تسعين ميلًا كما صرح به صاحب مرشد الطالبين في الفصل العاشر في كتابه في الصفحة (٥١).

فلو كان عدد بني إسرائيل قريباً من ألفي ألف وخمسمائة ألف وكانوا متسلطين على فلسطين مرة واحدة بعد إهلاك أهلها، لما يكثر عليهم دواب البر، لأن الأقل من هٰذا القدر يكفي لعمارة الملكة التي تكون بالقدر المذكور. وقد أنكر ابن خلدون أيضاً هٰذا العدد في مقدمة تاريخية، وقال: (الذي بين موسى وإسرائيل إنما هو ثلاثة آباء، على ما ذكره المحققون، ويبعد إلى أن ينشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هٰذا العدد)[(٢)].

وجاء في السفر: (إن خدام قبة العهد لابد أن لا يكونوا أنقص من ثلاثين وأزيد من خمسين)[(٣)].

وفي السفر: (أن لا يكونوا أنقص من خمس وعشرين وأزيد من خمسين)[(٤)].

حيث إن الاختلاف بين العبارتين واضح[(٥)].

وجاء في السفر في الترجمة اليونانية هٰذه العبارة (وإذا نفخوا مرة ثالثة ترفع الخيام للارتحال، وإذا نفخوا مرة رابعة ترفع الخيام الشمالية للارتحال)[(٦)]. حيث لا توجد هٰذه العبارة في النسخة العبرانية وجاء في السفر: هٰذه العبارة في النسخة السامرية (قال الرب مخاطباً لموسى أنكم جلستم في هٰذا الجبل كثيراً فارجعوا

(١) ينظر: الهندي/ إظهار الحق/ ١/ ص٤٧.
(٢) ينظر: الهندي/ إظهار الحق/ ١/ ٤٨.
(٣) عد: ٤: ٣.
(٤) عد: ٨: ٢٤ - ٢٥.
(٥) ينظر: الهندي/ إظهار الحق/ ١/ ٣٢٦.
(٦) عد: ١٠: ٦.

وهلموا إلى جبل الأمورانيين وما يليه إلى العرباء والى أماكن الطور الأسفل قبالة التيمن، والى شط البحر أرض الكنعانيين ولبنان، والى النهر الأكبر نهر الفرات. هوذا أعطيتكم الأرض فأدخلوا ورثوا الأرض التي حلف الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنه سيعطيكم إياها ولخلفكم من بعدكم)(١) حيث لا توجد هٰذه العبارة في النسخة العبرانية.

وجاء في السفر: (قيام مريم وهارون أخو موسى عليه السَّلام معا ندين لموسى امرأته الحبشية)(٢). كيف تكون حبشية وقد قال في أول توراتهم أنها بنت يثرون المدياني وهو بلا شك من ولد مدين بن إبراهيم (عليه السَّلام) فأحد هٰذين القولين يكذب الآخر.

وجاء في السفر هٰذه العبارة: (إن فداء خطأ الجماعة أنه كان لابد أن يكون ثوراً مع لوازمه وجدياً)(٣).

وذكر في الإصحاح الربع من سفر الأخبار (إن فداء خطأ الجماعة ثور واحد). حيث إن الاختلاف بينهما واضح.

وجاء في السفر: إن ملك عراد الكنعاني سمع خبر مجيء بني إسرائيل عن طريق اتاريم(٤).

فخرج إليهم وقاتلهم وسبى منهم فدعا بنو إسرائيل لربهم فدفع إليهم الكنعانيين فاسلبوهم هم ومدنهم حسب عبارة الإصحاح! ثم رحلوا من طريق بحر القلزوم على ما حكاه الإصحاح نفسه ليدوروا حول أرض أدوم ولم يلبثوا أن عادوا إلى تذمرهم على موسى قائلين له. لماذا أصعدتنا من مصر لنموت في البرية؟ فسلط عليهم الحيات فلدغت وأماتت من كثيرين فتضرع للرب فكف عنهم الحيات وأمره بصنع حية نحاسية ورفعها على سارية فيبرأ كل لديغ نظر إليها. حيث يظهر من هٰذا الكلام آثار الطقوس المصرية وتعاويذها على ما هو معلوم.ثم ارتحلوا بضع مراحل حتى نزلوا في منزل يدعى يا موت.

---

(١) عد: ١٠: ١٠ - ١١.

(٢) عد: ١٢: ١ - ٢.

(٣) عد: ١٥: ٢٤.

(٤) عد: ١: ٢١ - ٢.

ومن هنا أرسل موسى رسلًا إلى سيحون الأموري ملك حشبون التي يقوم مكانها اليوم قرية حسبان في البلقاء في شرق الأردن يطلب منه الأذن بالمرور من أرضه فأبى وخرج مع جميع قومه بني إسرائيل ومنهم وأشتبك معهم في حرب ياهص دارت فيها الدائرة عليه فاستولوا على أرضه ومدنه من أرنون إلى يبوق إلى تخم بني عمون الذي كان منيعاً على ما ذكره الإصحاح نفسه وقد ذكر في الإصحاح الثاني من سفر التثنية ثم أنهم قتلوا كل الرجال والنساء ولم يبقوا باقياً وأخذوا كل ما وجدوه من بهائم وأموال. وبعد أن أقاموا ردحاً في المدن والأرض المفتوحة صعدوا في طريق باشان التي يقوم مقامها اليوم مدينة بيسان فخرج عليهم ملكها عوج مع جميع قومه وأشتبك معهم في الحرب في مكان اسمه أذرعي - لعله مكان قرية اسمها زرعين اليوم بين بيسان ومرج بني عامر وشجعهم الرب[1]. وقال لهم تصنعون به ما صنعتم بسيحون فكتبت لهم الغلبة عليه فضربوه وقومه حتى لم يبقَ له شريد وورثوا أرضه.

ومن الجدير بالذكر هنا أن هٰذه العبارة تكررت بعد هٰذا كثيراً ولٰكن النصوص تفيد أنها لم تكن صادقة ومليئة بالكذب. وأنه كان في هٰذه المنطقة وغيرها مما ذكرت الأسفار نفس العبارة عن سكان لم يقوَ بنو إسرائيل على طردهم فبقوا حيث هم: مما هو في مبالغات الأسفار كما هو المتبادر.

وجاء في السفر هٰذه العبارة في النسخة العبرانية: (يجري الماء دلوه وذريته بماء كثير، فيتعالى من أجاج ملكة وترفع مملكته). حيث إن الاختلاف بين بينهما واضح[2].

ووردت في السفر هٰذه العبارة في النسخة العبرانية (ففتحت الأرض فاها وابتلعت مورح في موت الجماعة مع المائتين والخمسين الذين أحرقتهم النار وكانت آية عظيمة).

وفي النسخة السامرية هكذا (وابتلعتهم الأرض ولما ماتت الجماعة

(١) ينظر: محمد عزة دروزة/ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ ص٦٠.
(٢) ينظر: إظهار الحق/ الهندي/ ١/ ٣٢٨.

وأحرقت النار المائتين والخمسين فصار عبرة). نلاحظ بين العبارتين اختلاف [١].

ويعلم من السفر أن بني إسرائيل أفنوا الديانيين في عهد موسى (عليه السَّلام) وما أبقوا منهم ذكراً مطلقاً ولا بالغاً ولا غير بالغ، حتى الصبي الرضيع أيضاً. وكذا ما أبقوا منهم امرأة بالغة وأخذوا غير البالغات جواري لأنفسهم. ويعلم من سفر القضاة إن المديانيين في عهد القضاة كانوا ذوي قوة عظيمة، بحيث كان بنو إسرائيل مغلوبين وعاجزين منهم، ولا مدة بين العهدين إلَّا بقدر مائتي سنة فالقول هنا.إذا فني المديانيون في عهد موسى. فكيف صاروا في مقدار هٰذه المدة أقوياء بحيث غلبوا على بني إسرائيل وأعجزوهم إلى سبع سنين؟.

ج - التناقض في سفر التثنية:

يذكر السفر: (إن موسى عليه السَّلام ما أعطى بني جاد شيئاً من أرض عمون)[٢]. لأن الله قد نهاه وهٰذا مخالف للإصحاح الثالث عشر من يوشع حيث يقول (ونصف الأرض من بني عمون إلى عراوير التي هي محاذاة ديا). وإن أحد البيانين غلط يقيناً.

ويذكر السفر: في سياق تشجيع بني إسرائيل وتأميلهم بنصر الله حفظوا وصاياه بيان للخطة التي يجب أن يسلكها بنو إسرائيل مع أهل البلاد - أرض كنعان - بهٰذه العبارة (إذا أدخلك الرب إلٰهك الأرض التي أنت صائر إليها لترثها وأستأصل أمماً كثيرة من أمام وجهك الحيثيين والجرجاشيبين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع أمم أعظم وأكثر منك وأسلمهم الرب إلٰهك وضربهم فأبسلهم ابسالًا - بمعنى الأبارة والإفناء لا تقطع معهم عهداً ولا تأخذك بهم رأفة ولا تصاهرهم. أبنتك لا تعطها لابنه، وابنته لا تأخذها لابنك لأنه يغوي ابنك عن إتباعي فيعبد آلهة أخرى فيشتد غضب الرب عليكم ويبيدكم سريعاً بل تنقضون مذابحهم وتكسرون أصنامهم وتقطعون غاباتهم وتحرقون تماثيلهم بالنار.لأنك شعب مقدس للرب إلٰهك. وإياك أصطفي أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على وجه الأرض)[٣].

---

(١) ينظر: المصدر نفسه. (٢) تث: ٢: ١٩.

(٣) تث: ٧: ١.

والخطة توجيه نحو العدوان المباشر الهادف إلى إبادة السكان في غرب الأردن والحلول محلهم بذريعة أنهم مشركون دون ما أعذار ولا إنذار ولا دعوة إلى سلم وتوحيد مما لم يكد التاريخ يسجل مثيلها في الوحشية والقسوة والشمول. تعالى الله وتنزه عنها لما فيها من الكذب والتحريف. والراجح أن تسجيلها متأثر بواقع العدوان الإسرائيلي على أرض كنعان وتنفيذه الفعلي لها. كما أن فكرة الاختصاص التي كانت أقوى مظاهر ما انبثق في نفوس إسرائيل من عقد بارزة في هٰذا التسجيل وخاصة في الجملة الأخيرة التي سجلها كاتب السفر كمبرر كاف لهٰذا العدوان[١].

وجاء في السفر: وفي النسخة العبرانية هكذا (ثم ارتحل بنو إسرائيل من بيروت بني يعقن إلى موشرا، ومات هناك هارون، وقبر هناك ثم قبر بعده العازار ابنه، ومن ثم أتوا إلى غدغاد وارتحلوا من هناك، وحلوا في يطبشا أرض المياه والسواقي.

وفي ذٰلك الزمان أعتزل سبط لاوي ليحمل التابوت الذي فيه ميثاق الرب، ويقوم قدامه في الخدمة، ويبارك باسمه حتى إلى هٰذا اليوم)[٢].

وهٰذه العبارة تخالف عبارة الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد في تفصيل المراحل وعبارة سفر العدد هكذا (وارتحلوا من حشمونا وأتوا مشروت ومن مشروت نزلوا في بني عقان. وارتحلوا من بني عقان، وأتوا جبل حد حاد، ثم نزلوا في يطبث ومن يطبث أتوا عفرونا وارتحلوا من عفرونا ونزلوا في عصينجر. وارتحلوا من ثم وأتوا برية سين فهٰذه هي قادس. وارتحلوا من قادس في هور الطور الذي أقصى أرض أدوم ثم صعد هارون الجر إلى هور الجبل عن أمر الرب، فمات هناك في سنة أربعين من خروج بني إسرائيل من مصر في الشهر الخامس في اليوم الأول من الشهر. وهارون يومئذ ابن مائة وثلاث وعشرين سنة. وسمع الكنعاني ملك غارد الذي كان يسكن اليتمن في أرض كنعان إن جاء بنو إسرائيل ثم ارتحلوا من هور الطور ونزلوا في صلمونا. وارتحلوا من ثم وأتوا فينون).

إن الاختلاف بين النصين واضح. وإن النص في المتن السامري صحيح كما

(١) ينظر: محمد عزت دروزة/ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ ص٦٧.
(٢) تث: ١٠.

يقول المفسر آدم كلارل في الصفحة ٧٧٩ و٧٨٠ في المجلد من تفسيره[١].

وجاء في السفر: (إن طلع فيكم نبي وأدعى انه رأى رؤيا وأتاكم بخبر ما يكون وكان ما وصفه ثم قال لكم بعد ذٰلك اتبعوا أبناء آلهة الأجناس فلا تسمعوا له)[٢].

وفي هٰذا الكلام دس لكافر مبطل للنبوات كلها لأنه أثبت النبوة بقوله إن طلع فيكم نبي ويصدقه في الأخبار بما يكون ثم أمرهم بمعصيته إذا دعاهم إلى إتباع آلهة الأجناس وهٰذا تناقض فاحش ولئن جاز أن يكون نبي يصدق فيما ينذر به يدعو إلى الباطل والكفر فلعل صاحب هٰذه الوصية من أهل هٰذه الصفة وما الذي يؤمننا من ذٰلك وهل هاهنا شيء يوجب تصديقه وأتباعه ويبينه من الكذابين إلّا ما صحح نبوته من المعجزات فلما لزمت معصيته إذا أمر بباطل فإن معصية موسى لازمه وغير جائزة في شيء مما أمر به إذ لعله أمر بباطل إذ كان في الممكن أن نبي يأتي بالمعجزات يأمر بباطل وحاشا لله من أن يقول موسى عليه السَّلام هٰذا الكلام والله ما قاله قط ولقد كذب عليه الكذب المبدل للتوراة وكذٰلك حاشا لله أن يظهر آية على يدي من يمكن أن يكذب أو يأمر بباطل هٰذا هو التلبيس من الله على عبادة ومزج الحق بالباطل وخلطهما حتى لا يقوم برهان على تحقيق حق ولا إبطال باطل ويجب التذكير هنا أن كلام هٰذا الإصحاح والإصحاح الذي فيه أن السحرة عملوا مثل بعض ما عمل موسى عليه السَّلام فإنهما مبطلان على اليهود المصدقين بهما نبوة كل نبي يقرون له بنبوة قطعاً لأنه لا فرق فيهما بين موسى وسائر أنبيائهم وبين الكذابين والسحرة وحاشا لله من هٰذا الكلام. هٰذا مع قوله بعد ذٰلك وأيما نبي أحدث فيكم من ذاته نبوة مما لم نأمر به ولم أعهد إليه أو تنبأ فيكم يدعو للآلهة والأوثان فاقتلوه فإن قلتم في أنفسكم من أين يعلم أنه من عند الله أو من ذاته فهٰذا علمه فيكم إذا أنبأ بشيء ولم يكن فأعلموا إنه من ذاته[٣].

وهٰذا الكلام صحيح وهٰذا مضاد للذي قبله من أنه ينبئ بالشيء فيكون كما قال وهو مع ذٰلك يدعو إلى عبادة غير الله والقوم مخذولون نقلوا دينهم عن زنادقة مستخفين لامؤنه عليهم أن ينسبوا إلى الأنبياء عليهم السَّلام الكفر والضلال

---

(١) ينظر: إظهار الحق/ الهندي/ ١/ ٣٢٦. (٢) تث: ١٣: ١.

(٣) ينظر: ابن حزم الأندلسي/ الفصل في الملل/ ١/ ١٨٤.

والكذب والعمد كالذي ذكرنا قيل وكنسبتهم إلى هارون عليه السَّلام انه هو الذي عمل العجل لبني إسرائيل وبنى لهم مذبحاً وقرب له القربان وجرد أستاه قومه للرقص والغناء قدام العجل عراة وكما نسبوا إلى سليمان انه قرب القرابين للأوثان وأنه قتل يواب بن صوريا صبراً وهو نبي مثله وكما نسبوا إلى شاؤل وهو نبي عندهم يومي الله تعالى إليه مع الملائكة العون إلى الكفر وأن موسى وجيشه قتلوه ثم نسبوا النبوة إلى منسى بن حزقيا الملك وهو بإقرارهم كافر ملعون يعبد الأوثان ويقتل الأنبياء وينسبون المعجزات إلى شمسون الدابي وهو عندهم فاسق مشهور بالفسق متعشق للفواسد ملم بهن وينسبون المعجزات إلى السحرة فأعجبوا لعظيم بليتهم[١].

وجاء في هٰذا السفر: (إن اضطجع رجل مع امرأة غيره فكلاهما يموتان، الزاني والزانية وأرفع الشر عن إسرائيل)[٢].

وجاء في السفر: من سفر اللاويين (ومن زنى بامرأة صاحبة، أو زنى بامرأة لها رجل فليقتل الزاني والزانية)[٣]. وكذٰلك من الأحكام العشرة التي ذكرت في التوراة، لاتزن وإذا ما قارنا هٰذا الكلام في الإصحاحين المذكورين وأحكام التوراة في الزنا مع ما ورد في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر صموئيل الأول في حال داود عليه السَّلام وكذٰلك في الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني اللذين يتحدثان عن داود عليه السَّلام وكذٰلك وعلاقته مع المرأة الجميلة وهي بنت شباع امرأة أوريا. حيث أخذها ونام معها فحبلت منه حسب قول الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني وكذٰلك إرسال زوجها إلى القتال بعد الاتفاق مع يواب ثم مات أوريا وتزوجها داود (عليه السَّلام) فولدت له ابناً وأساء هٰذا الفعل الذي فعله داود أمام الرب. وفي الإصحاح الثاني من سفر صموئيل حكم الرب لداود على لسان ناثان النبي عليهما السَّلام هكذا (ولماذا أزريت بوصية الرب وارتكبت القبيح أمام عيني وقتلت أوريا الحيتاني في الحرب، وامرأته أخذتها لك امرأة وقتلته بسيف عمون؟ ولٰكن لأنك أشمت بك أعداء الرب بهٰذه الفعلة فالابن الذي ولد لك يموت موتاً).

---

(١) المصدر نفسه. (٢) تث: ٢٢: ٢٢.

(٣) سفر اللاويين ٢٠: ١٠.

فالقول هنا أن داود قد أخطأ بفعله هٰذا حيث أنه زنا بهٰذه المرأة الجميلة وكان سبباً بقتل زوجها وهٰذا الكلام للتوراة. حيث وجب على النبي داود عليه السَّلام القتل بحكم ما ورد في التوراة والوصايا العشرة لموسى عليه السَّلام. ونحن نقول: إن مثل هٰذا الكلام غير صحيح ومن وضع إنسان منحرف الكلم عن موضعه. وأن هٰذا الشخص المحرف لا يعلم أن الأنبياء معصومون عن الخطأ. وهٰذا الكلام محض افتراء على الله وعلى النبي داود عليه السَّلام.

وذكر السفر: (ومن كان ولد زانية لا يدخل جماعة الرب حتى يمضي عليه عشرة أحقاب)(١) وهٰذا غلط وإلا يلزم أن لا يدخل داود عليه السَّلام ولا آباؤه إلى فارض بن يهوذا في جماعة الرب، لأن فارض ولد الزنا كما هو مصرح في الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين وداود عليه السَّلام البطن العاشر منه. كما يظهر من نسب المسيح المذكور في إنجيل متى ولوقا. مع أن داود رئيس الجماعة والد البكر لله على وفق الزبور المحرف. ومثل ما وقع في الآية الأربعين من الإصحاح الثاني عشر من سفر الخروج.

ويذكر السفر: وفي النسخة العبرانية (فإذا عبرتهم الأردن فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل عيبال وشيدوها بالجص تشييداً)(٢).

وهٰذه الجملة (فانصبوا الحجارة التي أنا اليوم أوصيكم في جبل عيبال) وفي النسخة السامرية هكذا (فانصبوا الحجارة التي أنا أوصيكم في جبل جرزيم). وعيبال وجرزيم جبلان متقابلان. فيفهم من النسخة العبرانية أن موسى عليه السَّلام أمر ببناء الهيكل أعني المسجد على جبل عيبال وفي النسخة السامرية أنه أمر ببنائه على جبل جرزيم. وبين اليهود والسامرين سلفاً وخلفاً نزاع مشهور تدعي كل فرقة منهما أن الفرقة الأخرى حرفت التوراة في هٰذا المقام.

وذكر السفر: في النسخة العبرانية هكذا (هم أخرجوا نفوسهم، عيبهم ليس عيباً يكون على أبنائه، هم الجيل الأعوج المتعسف)(٣).

---

(١) تث: ٢٣: ٢. (٢) تث: ٢٧: ٤.

(٣) الإصحاح ٥:٣٢.

وفي النسخة اليونانية والسامرية هكذا (أخربوهم ليسوا له هم أبناء الغلط والعيب) وان العبارة السامرية واليونانية صحيحة وأما العبارة العبرية فمحرفة كما يقول المنسرين هينولي كينت وكني كات[١].

وذكر في السفر: هٰذه العبارة (وكلم الرب موسى في ذٰلك اليوم وقال له. أرق هٰذا الجبل عباريم، وهو جبل المجازاة، إلى جبل نابو الذي في أرض ماوب تلقاء أريحا، ثم أنظر إلى أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ليرثوها ثم مت في الجبل الذي تصعد إليه ويجتمع إلي شعوبك كما مات أخوك هارون في هور طور وأجتمع إلى شعبه على أنكما عصيتماني في بني إسرائيل عند ماء الخصام في قادس برية صين، ولم تظهر أني في بني إسرائيل، فإنك ستنظر إلى الأرض التي أنا أعطيها بني إسرائيل من تلقائها وأما أنت فلا تدخلها)[٢].

وجاء في سفر العدد هكذا: (وقال الرب لموسى وهارون: من أجل إنكما لم تصدقاني وتقدساني قدام بني إسرائيل، من أجل ذٰلك لا تدخلا بهٰذه الجماعة إلى الأرض التي وهبت لهم)[٣].

ففي هاتين العبارتين تصريح بصدور الخطأ عن موسى وهارون (عليهما السَّلام) بحيث صارا محرومين عن الدخول في الأرض المقدسة. وقد قال الله تعالى زاجراً إنكما لم تصدقاني وتقدساني وإنكما عصيتماني هٰذا ما صرحت به التوراة، ولٰكن الحقيقة أي أن الأنبياء (عليهم السَّلام) معصومون من الخطأ والعصيان، ولم تصدر منهم معصية أو تكذيب أو عدم تقديس فحاشا لله أي يصدر منه هٰذا الكلام وحاشا موسى وهارون (عليهما السَّلام) من العصيان والكذب[٤].

❋❋❋

(١) إظهار الحق/ الهندي/ ١/ ٣٢٧.

(٢) تث: ٣٢: ٤٨ - ٤٩.

(٣) عد: ٢٠: ١٢.

(٤) إظهار الحق/ الهندي/ ١/ ٤٧٢.

المبحث الثاني
أثر التناقض في الأعمال السلبية لليهود

لم تكن التوراة الحالية تمثل الشريعة اليهودية فحسب بل أنها سجل تاريخي طويل يضم بين دفتيه أما النشاط لليهودية الاجتماعي والسياسي الاقتصادي منذ عصور بعيدة جداً وقد عملت الديانة اليهودية - التوراة خاصة - بما حوته من نصوص وتعاليم ووعود كان أغلبها محرفاً أو مناقضاً لحقيقة التوراة الأصلية التي نزلت على موسى (عليه السلام) بما يجعل هٰذا التحريف أو التناقض مسخراً لخدمة اليهود وتنفيذ مآربهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية العمل به وفق أهوائهم متى ما شاء وكيف ما شاء ومن ضمن هٰذه الوعود المزعومة لديهم التي تعتبر من أهم الأمور التي تهدد عقيدتنا وأمننا وكياننا والتي سنتطرق إليها في هٰذا المجال هي تمليك اليهود أرض فلسطين باعتبارها (أرض - الميعاد) التي منحها رب اليهود (يهوه) (لشعبه المختار) لذٰلك كانت مقولة (أرض - الميعاد) التي وعد الله بها اليهود على لسان إبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم أباء بني إسرائيل - كما يدعون باعتبارهم (شعب الله المختار) الذي اختارهم الله دون بقية البشر وفضلهم على سائر الأجناس لذٰلك كانت هٰذه المقولة من أهم أسس الحركة الصهيونية التي اعتمدها يستمدها في دعوة يهود العالم للهجرة إلى فلسطين (الأرض الموعودة) فربطت بين الدين والسياسة واستغلت نصوص التوراة والتلمود التي وضعها أحبار اليهود. وحاخاماتهم في المنفى (الترحيل البابلي) حيث استطاعت هٰذه الحركة التأثير على عقول اليهود السذج والفقراء في الدول الأوربية وفي روسيا وبولونيا. وتمكنت مِن توجيههم صوب فلسطين العربية بهجرات جماعية متتالية تمكنت من احتلال تلك الأرض العربية وطرد سكانها منها تساعد في ذٰلك قوى الاستعمار العالمية الإمبريالية ولغرض الإلمام بجوانب هٰذا الموضوع سأتناول المناقشة بكل موضوع معتمداً بذٰلك على كتب اليهود ذاتها والكتب الدينية السماوية لدى

غيرهم، وسنقسم هٰذا المبحث على المطالب الآتية:

- **المطلب الأول**: أرض الميعاد.
- **المطلب الثاني**: شعب الله المختار.
- **المطلب الثالث**: أثر التناقض في فساد عقيدتهم.
  - **أولًا**: مع الله تعالى.
  - **ثانياً**: مع الأنبياء (عليهم السَّلام).
- **المطلب الرابع**: أثر التناقض في فساد أخلاقهم.
  - **أولًا**: علاقتهم مع الآخرين.
  - **ثانياً**: علاقتهم مع أنفسهم.

❋❋❋

المطلب الأول
«أرض الميعاد»

تعتمد العقيدة اليهودية على ما احتوته التوراة والتلمود والكتب اليهودية الأخرى من تعاليم ونصوص تزعم بأن لليهود حقاً بامتلاك فلسطين وإقامة (دولة يهودية) فيها باعتبارها (أرض - الميعاد) والتي وعد الرب بها إبراهيم ونسله بتمليكهم إياها.

وقد تكرر وعد الرب في كتب أنبيائه المقدسة ولذلك يرى اليهود أن الهجرة إلى فلسطين واحتلالها لإقامة دولتهم فيها تعبير عن أراده الله.. ووعده لهم بامتلاك أرض فلسطين وتنفيذ أوامره وتحقيق وعده لهم باعتبارهم - كما يعتقدون - شعبه المختار[1].

لقد وضعت كتب اليهود المقدسة (التوراة، التلمود، الزوها، وغيرها) أرض فلسطين بكثير من الصفات الدينية، وأسبغت عليها مختلف النعوت ذات التأثير الفاعل في نفوس اليهود وصفتها التوراة: بأنها (الأرض المقدسة)[2]، الأرض التي يسكنها الرب فهي أرض الرب[3]، وهي (أرض - الميعاد) التي وعد الله إبراهيم أن

---

(١) الإدعاءات الصهيونية والرد عليها، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة/ عبد الحميد رشوان/ ١٩٧٧/ ٥٣، وأيضاً: وثيقة الصهيونية في العهد القديم، بيروت - ١٩٨٢/ جورجي كنعان/ ٢٢.

وفي سوسيولوجية الصراع العربي الإسرائيلي/ وسعد الدين إبراهيم/ (ط١)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت/ ١٩٧٧/ ٦٨ - ٦٩، وتوازن القوى بين العرب وإسرائيل دراسة تحليلية بعدوان ١٩٦٧/ أمين النفوري، (ط١) دار الاعتدال للطباعة والنشر، دمشق. وموسوعة بهجة المعرفة - سيرة الحضارة، م - المجموعة الثانية (٣)، (ط) دار المختار للطباعة والنشر/ ٣٨.

(٢) زك: ٢: ١٢. (٣) هو: ٩: ٣.

تكون لنسله، والتي سيعود إليها اليهود تحت قيادة الماشيح (المسيح المخلص اليهودي)، وهي الأرض التي يرعاها الله[١]. وهي الأرض البهية[٢]. والأرض التي تفيض لبناً وعسلاً[٣].

والأرض المختارة التي تفوق قدسيتها أية أرض أخرى لأنها ترتبط بالشعب المقدس الشعب المختار[٤]. ويطلق اليهود على أرض فلسطين تسمية (أرض الخلاص) ويرمز هٰذا الإطلاق إلى ثلاثة مدلولات[٥].

١) تخلص اليهود من استعباد المصريين.

٢) تخلصهم من الكارثة الطبيعية التي حلت عليهم نتيجة العاصفة الشديدة في صحراء سيناء ونجاتهم من التيه في الصحراء المذكورة.

٣) تخلصهم من الفتن والاضطرابات التي كادت أن تقضي عليهم لعدم انسجام بني إسرائيل مع الأمم والشعوب التي حلوا بينها حوت جموعهم على القتلة واللصوص الفارين من المجتمع المصري، والذين لم يألفوا حياة الأمن والاستقرار واليهود يطلقون على أرض - فلسطين لفظة (ارتس يسرائيل) أي (أرض - إسرائيل)، حيث وردت هٰذه التسمية في كتاب التصوف اليهودي (الزوهار)، وأن فلسطين كانت تسمى بـ(أرض - إسرائيل) التي يرثها اليهود وعند تحقيقهم لشروط العهد والأيمان بالله وطاعته وإلّا فأنها تدعى باسم الغير (أرض كنعان) ويفسر الربانيون ما جاء في سفر (عايوده زاره) من قول بأن الإسرائيليين قد استولوا على أرض كنعان قبل استيلاء الرب عليها لذا فإن احتلال بني إسرائيل يساوي احتلال الرب، وعندما لا تكون فلسطين تحت سيطرتهم فكأن الرب لم يستولِ عليها بعد[٦].

---

(١) تث: ١١: ١٢.　　(٢) دا: ١١: ١٦.

(٣) تث: ١١: ٩.

(٤) اليهود والصهيونية وإسرائيل/ د. عبد الوهاب المسيري/ المؤسسة العربية للدراسة والنشر - بيروت/ ط١/ ١٩٧٥/ ١٠ - ١١.

(٥) الاستعمار والصهيونية/ محمد مصباح حمدان/ المكتبة العصرية - ١٩٦٧، ٢٤ - ٢٥.

(٦) التلمود والصهيونية، أسعد رزوق، د. ق، مركز الأبحاث القاهرة/ ١٩٧٥/ ٢٤٩، المسيري اليهودية والصهيونية وإسرائيل/ ١٠ - ١١.

ويقرر التلمود أهمية أرض فلسطين وقدسيتها، فيعتبر أن (أرض - إسرائيل) كانت بداية الخلق، فهي خلقت أولًا وجاء بعدها خلق العالم كله ونزلت على العالم عشرة مقادير من الحكمة كان نصيب فلسطين منها تسعة مقادير وبقية مقدار واحد للعالم أجمع، ونزلت عشرة مقادير من الجمال أخذت القدس منها تسعة تاركة المقدار العاشر لبقية مدن الأرض[١]. ولإضفاء مزيد من الارتباط اليهودي بالأرض جعل التلمود - أرض - فلسطين (أرض - إسرائيل) مركز الكون والدنيا لأنها تقف وسط العالم (كما يقف اليهود وسط غيرهم من الأغيار).

يشكل تاريخهم حجر الزاوية في تاريخ العالم)[٢]. وفي وسط (أرض إسرائيل) تقف أورشليم، وفي وسط أورشليم يوجد الهيكل وفي داخله يوجد قدس الأقداس، الذي يضم بداخله تابوت العهد، الذي يحتوي بداخله الوصايا العشرة والألواح وتحل فيه روح الله[٣]. وبذٰلك اعتبر التلمود الأرض المقدسة معادلة للتاريخ اليهودي[٤]. وفي محاولة تأكيد قدسيتها في النفوس اليهودية بعد أن أسهب في وصف حدودها وطبيعة تربتها وقابليتها على الإنتاج الزراعي الذي يختلف عن بقية بقاع الأرض، فجعلها (أرض الظبي) لقابليتها السريعة في إنتاج ثمارها وقابليتها على التوسع والاستيعاب منها خلق جذع آدم وأطرافه من بقاع الأرض الأخرى وكثير من الأمم تنبت مدنها وأطلقت عليها أسماء تيمناً (بأرض إسرائيل)[٥].

ويشير التلمود إلى أن تعاليم التوراة لا يمكن تنفيذها كاملة إلَّا في هٰذه الأرض، ولا يمكن للإنسان أن يتنبأ إلَّا فيها، لأن جوهرها يجعله حكيماً نبياً، فالعيش فيها والسكن في ربوعها ركن الأيمان، وأساس العبادة ولا بمكن اعتبار من يعيش خارج هٰذه الأرض مؤمناً بأنّ من أقام خارجها وأبتعد عنها فهو إنسان كافر أو غل في الشرك وعبد الأصنام والأوثان[٦].

---

(١) التلمود والصهيونية/ د. أسعد رزوق/ ٢٥٣.
(٢) اليهودية والصهيونية وإسرائيل/ د.عبد الوهاب محمد المسيري/ ١١.
(٣) نفس المصدر السابق/ ١١ - ١٤/ وللمؤلف نفسه: الأيدولوجية الصهيونية. ق٢/ ٢٤٤.
(٤) اليهودية والصهيونية وإسرائيل/ المسيري، ق٢، ٢٤٤.
(٥) التلمود والصهيونية/ د.أسعد رزوق، ٢٥٠ - ٢٥٣.
(٦) اليهودية والصهيونية وإسرائيل/ المسيري/ ١١.

وجعل التلمود فلسطين نقطة الارتكاز للسيطرة والتسلط على العالم لاعتباره الدنيا بكاملها ملكاً للإسرائيلي لكونه مساوياً للعزة الإلٰهية وجزءاً منها وفلسطين هي قطب العالم الذي يجب أن تقوم فيه (الدولة اليهودية) باعتبار هٰذه الأرض حقاً خالصةً لليهودية فلا يجوز لأي فرد في احتلالها والسيطرة عليها[١]. أما الكنعانيون أصحاب البلاد الشرعيون فقد أعتبرهم التلمود مجرد حراس للأرض لحين مجيء بني إسرائيل لاحتلالها والاستيلاء عليها منهم حراس وقتيون يصونون هٰذه الأرض ويحافظون عليها انتظاراً لقدوم أصحابها الشرعيين، كما أن وجود الكنعانيين فيها والسماح لهم بالعيش فيها كان على أساس المنة مقابل جهودهم في حراسة الأرض وحفظها وصيانتها[٢].

وقد جاء التلمود ما يبرر تمسك اليهود بفلسطين (سوف أعطيكم إياها لكي تمتلكوها) وقد فسر الربانيون[*] هٰذا القول بما يلي: سوف أعطيكم إياها ميراثاً إلى الأبد. ربما تحاجون بقولكم: ليس لدى ما أعطيكم سوى ما يخص الغير من المؤكد أنها ليست ملككم بل هي نصيب سام بن نوح، وأنتم أبناء سام، بينما هم - أي الكنعانيون من نسل حام ولو سألتم ماذا يفعلون هناك، أذن أجيب بأنهم يحرسون المكان إلى حين مجيئكم[٣].

ويعلل التلمود سبب حرمان بني إسماعيل من ملكية الأرض لأنهم من أبناء كنعان الذي لعنه الرب[٤].

وجعله عبداً لأخوته، والعبد إذا حصل على ملكية فإنها تؤول لمالكه لأن العبد وما يملك لصاحبه، وحتى لو أعطيت فلسطين إلى الكنعانيين فأنها ملك لأسيادهم اليهود (أبناء سام بن نوح)[٥].

---

(١) دعوى الصهيونية في حكم القانون الدولي/ د.محمد طلعت الغنيمي، مطبعة الأسكندرية، مصر/ ١٩٧٠، ٣-٥.
(٢) التلمود والصهيونية/ د. أسعد رزوق/ ٢٥٣ - ٢٥٤.
(*) الربانيون: وهم جمهور اليهود ويسمونهم الفريسيين.
(٣) نقلًا عن: د.أسعد رزوق: المصدر نفسه/ ٢٥٣.
(٤) تك: ٩: ٢٥.
(٥) التلمود والصهيونية/ د. أسعد رزوق/ ٢٥٥.

ولم تكن فلسطين حجر الزاوية في تعاليم التوراة والتلمود فحسب، بل أن بروتوكولات حكماء صهيون جعلتها ضمن خططها الرامية إلى الاستيلاء على العالم وإخضاعه للنفوذ والسيطرة اليهودية عن طريق أقامة حكومة يهودية عالمية مركزية تكون القدس (أورشليم) عاصمتها الموحدة[١]. لقد أرتبط الدين اليهودي بالأرض ارتباطاً كاملًا، وأصبح يعبر عن هٰذا الارتباط بعلاقة مترابطة بين المطلق الذاتي (الدين) المقيد النسبي (الأرض)، حيث جعل اليهود المطلق الذي يميل بطبيعته إلى العموم والشمول، ويتخطى الزمان والمكان مقصوراً عليهم وحدهم دون غيرهم. فكان الإلٰه خاصاً بهم لا علاقة للأمم الأخرى بهٰذا الإلٰه الخاص الذي اقتصرت علامته ووحدانيته على اليهود فقط، وبذٰلك أعتبر اليهود أنفسهم أمة قومية مقدسة. أمة من الكهنة والقدسيين - ذات صلة دائمة بالإلٰه لا تنفصم عراها. وهٰذا الارتباط الوثيق جعل من الدين اليهودي دين شعب يتطلع إلى أرض وكأنه يسكنها منذ الأزل، حيث عملت تعاليم الكتب الدينية اليهودية عملها في نفوس اليهود عقولهم لإقناعهم بأن أرض - الميعاد هي الأرض التي خلقت لشعب قد اختير من بين الشعوب ليقيم في هٰذه الأرض المقدسة[٢].

ولقد كان موقف الصهيونية من (الأرض) يماثل الأفكار والتعاليم اليهودية الواردة في كتبهم الدينية المختلفة، وبذٰلك استطاعت الصهيونية استغلال الأفكار الدينية اليهودية ذات التأثير الفاعل في نفوس اليهود وظهرت وكأنها امتداد للديانة اليهودية واستمرار لها محاولة بذٰلك تحويل الجماهير اليهودية لاعتناق مبادئها بعد أن استطاعت المزج بين المجالين الديني والسياسي وحولت الأفكار والرموز الدينية لدى اليهود إلى أفكار ورموز قومية بعد أن أفرغتها من محتواها الديني والأخلاقي ونقلتها من المجال الديني إلى المجال السياسي. وبهٰذا ضمنت الصهيونية اعتناق جماهير واسعة من اليهود - خصوصاً يهود أوروباً ذوي المشارب

---

(١) دعوى صهيونية في حكم القانون الدولي/ محمد طلعت الغنيمي، مطبعة جامعة الإسكندرية - مصر - ١٩٧٠م/ ٦.

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون/ محمد خليفة التونسي/ مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - ١٩٧٢م/ ٢٩ - ٣٠، ٢٣٥ - ٢٣٩.

المختلفة مبادئها بعد أن كانت تفتقر إلى مثل هٰذه الجماهير(١).

وقد اعتمدت الصهيونية على الديانة اليهودية في الترويج لأفكارها، فكانت تخاطب في المقام الأول الذي يعتنقون اليهودية والذين تجمعهم آلام الاضطهاد والتعذيب والمطاردة على مر العصور وروح العنصرية، وفكرة التفوق العنصري والشعب المختار، والدعوة لأرض الميعاد(٢).

وقد ساعدها في الترويج لأفكارها بعض رجال الدين اليهود الذين حاولوا تفنيد المفهوم اليهودي القديم حول الخلاص حيث قاموا بدعوة اليهود بالعودة إلى أرض الميعاد ونبذ الفكرة القائلة بان تلك الهجرة لا تتم إلَّا بمعجزة يقوم بها المسيح المنتظر، وهم بذٰلك قد منحوا الصهيونية الشرعية الدينية للصهيونية وأزالوا الشكوك من نفس اليهود المتزمتين(٣).

وبذٰلك يصرح رجال الفكر الصهيوني عن العلاقة الجوهرية بين اليهود والأرض وارتباطها بالتوراة، حيث يرون أن الإقامة في فلسطين (أرض - الميعاد) يعتبر من الأوامر الدينية اليهودية، إذ يمكن لليهود تحقيق ذاتهم (القومية) إلَّا من خلال الالتزام بتعاليم التوراة حيث أن القبس الإلٰهي لا يمكن أن يؤثر في (الشعب اليهودي) ألَّا وهو في أرض الميعاد، يعزز ذٰلك تقديس العمل اليدوي فيها لإعادة خلق الإنسان اليهودي وخلق أساس الوجود (القومي اليهودي) بعودة الأبناء إلى شعبهم المشرد لخلق الانبعاث القومي في (أرض - الميعاد)(٤).

وإن أثر هٰذا التعصب الشديد والأنانية القوية والأفق الضيق يبدو واضحاً من خلال أسفار التوراة المحرفة. وإن دعوى صلة اليهود اليوم بني إسرائيل وتاريخهم على ما في هٰذا التاريخ من سوءات زائفة كل الزيف، وإن تاريخهم ومنذ القدم خالٍ

---

(١) الأيدلوجية الصهيونية/ د.عبد الوهاب المسيري/ القسم الثاني/ ٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٤٤.

(٢) في سوسيولوجية الصراع العربي الإسرائيلي/ سعد الدين إبراهيم/ ٦٨.

(٣) موعد العقيدة من الفكر الصهيوني - بحث منشور في مجلة مركز الدراسات الفلسطينية - د.محمد محمود ربيع/ جامعة بغداد العدد ٤٢ - ٤٣، تموز/ أيلول/ كانون الأول/ ١٩٨١/ ٢٠٩.

(٤) اليهودية والصهيونية وإسرائيل/ محمد عبد الوهاب المسيري/ ١١٨.

من أي مجد عمراني وسياسي وعسكري ولامع ولم يكادوا يتركون في فلسطين بعد تشردهم النهائي عنها أثراً ما، تم تشتتوا في أنحاء الأرض وأندمج كثير منهم في النصرانية والإسلام والعبرانية واختلطت دماؤهم ودماء من بقي على اليهودية منهم بدماء الأقوام التي عاشوا بينها إلى الآن بحيث يصح أن يقال إن الدم الإسرائيلي القديم قد باد أو كاد وأن اليهود اليوم ليسوا إلَّا جماعة دينية تضم شتى الأجناس واللغات والدماء.

وبذلك يقول الحاخام (حاييم لانداو)[١]، (أن روح شعبنا لا تستطيع التعبير عن نفسها إلَّا إذا عادت الحياة القومية إلى أرضنا من جديد، لأن (القبس الإلهي لا يؤثر في شعبنا إلَّا وهو في أرضه)[٢].

وبذلك أكد (لانداو) الترابط بين (الشعب.. الله.. الأرض) وهي تظهر واضحة في كتابات الصهاينة المتدينين أمثال الحاخام (كوك)[٣]، الذي يشير إلى ذلك بقوله (ليست أرض إسرائيل شيئاً منفصلًا عن روح الشعب اليهودي. أنها جزء من جوهر وجودنا القومي ومرتبطة بحياتنا ذاتها وبكياننا الداخلي ارتباطاً عضوياً... أن ما تعنيه أرض إسرائيل يمكن فهمه فقط خلال روح الرب المنتشرة في شعبنا كله)[٤]، استغلت الصهيونية ما حوته الكتب الدينية اليهودية المحرفة في الترويج لأفكارها وخططها فاستمدت من التوراة والتلمود والزوهار وكتب التصوف اليهودي وأقوال الحاخامات ورجال الدين المتعاطفين معها ما يضفي الشرعية الدينية على أهدافها وغاياتها ويعدها أساساً لمنطلقات الصهيونية السياسية والعملية في ما تدعيه من حقوق إلهية في فلسطين (أرض الميعاد) قد وعدهم الله بها، فكانت تلك الإدعاءات

---

(١) (لانداو): هو الحاخام صموئيل حاييم لانداو، حاخام صهيوني اشتراكي بولندي المولد، وتلقى تربية دينية يهودية وكان عضواً في حركة (مزراحي) كان شديد الإيمان بالأمة اليهودية والتراث اليهودي.

(٢) نقلًا عن: د.عبد الوهاب محمد المسيري/ الأيدلوجية الصهيونية/ ٢٤٤.

(٣) الحاخام الصهيوني إبراهام إسحاق كوك (١٨٦٥ - ١٩٣٥) زعيم صهيوني ديني، من شمال روسيا وتلقى تعليمه الديني في إحدى مدارس التلمود. هناك، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٤. وموسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية/ د.عبد الوهاب المسيري/ ٣١٩.

(٤) نقلًا عن: الأيدلوجية الصهيونية/ د.عبد الوهاب المسيري/ ٣٤٥.

أهم ما تشبثت به الصهيونية ودعت إليه تحقيقاً لأحلامها في السيطرة والتوسع واستيطان فلسطين واستثمارها وتحقيق السيادة الكاملة عليها بعد طرد سكانها الأصليين عن طريق الغزو العسكري واستعمال القوة والعنف ضدهم، وإرغامهم على قبول سياسة الأمر الواقع. وقد سخرت الصهيونية جميع الوسائل التي تمكنها من الاحتفاظ بالأرض وإرغام أصحابها على قبول الأوضاع المستجدة مكرهين فسعت الصهيونية جاهدة للحصول على الدعم والحماية من الدول الاستعمارية والحصول كذلك على المساعدات المالية والاقتصادية وتوظيف الأموال الأجنبية والاستثمارات الخارجية فيها لإقامة الأساس الأرضي والجغرافي المادي، للكيان السياسي والاقتصادي (للدولة اليهودية) في فلسطين والاعتماد على ما توفره وسائل الدعاية والإعلام اليهودية من تأثير وأسع على الرأي العام العالمي، بغيةً الحصول على عطف كثير من الدول والشعوب وكسب تأييدها للصهيونية في دعواها لإقامة (الوطن اليهودي) المزعوم في فلسطين[١].

من أجل الهجرة اليهودية إلى فلسطين لإقامة دولتهم فيها وتحول حنينهم بالهجرة (إلى عقيدة راسخة في نفوسهم وفلسفة عميقة هيمنت على مشاعرهم وتفكيرهم وكانوا يصلون من أجل العودة إليها من أجل بناء أورشليم ويفنون بهذه العودة بمزاميرهم مقدسين ذكراها متلهفين إليها)[٢].

وبالرغم من زوال حكم اليهود القصير والجزئي في فلسطين منذ قرون طويلة فقد ظلوا يحلمون بالهجرة إلى أورشليم ويتطلعون بأفئدتهم إلى (صهيون) فكان الشوق والتطلع كامناً في نفوسهم يعبرون عنه بتمسكهم بتعاليم دينهم وطقوسه، يساعدهم في تأجيج هذا الحماس والتشوق أنبياؤهم الذين كانوا يعللونهم الآمال بالهجرة إلى أورشليم ويحدثوهم عن الهيكل الجديد الذي سيعيدون بناءه، وبذلك صار الشوق إلى (صهيون) إلى الأرض الميعاد وغدت كلمة صهيون تشمل الأرض

---

(١) توازن القوى بين العرب وإسرائيل/ أمين النفوري/ دار الاعتزال للطباعة والنشر، دمشق، ط١/ ١٩٦٨م، وموسوعة بهجة المعرفة المجلد (١) المجموعة الثانية (٢)/ ٣٠٨.

(٢) قضية فلسطين في ضوء القضاء الدولي، د.حسن الجلبي، معهد البحوث والدراسات - القاهرة/ ١٩٦٩/ ١١.

المقدسة جميعاً، وسميت الأرض المقدسة بـ(ابنة صهيون)[١].

استطاعت الصهيونية الكامنة استغلال تلك العاطفة الدينية الكامنة لدى أولئك اليهود المتشوقين وتسخيرها لخدمة مطامعها السياسية الاستعمارية، وأصبحت مقولة (أرض - الميعاد) من أهم أسس الصهيونية ومقوماتها بعد أن بلغت مداها في العقيدة الدينية اليهودية فانطلقت الصهيونية تسخر أعظم الجهود واستخدام مختلف الوسائل والأساليب القذرة لنشر مبادئها في مختلف الأوساط والمجتمعات، فتمكنت بذلك من تحويل فلسفتها الخاصة إلى فلسفة دولية عمق المجتمع الدولي عامة. وكان لها الدور الفاعل في تحديد الاتجاهات المواقف الدولية[٢]. وقد استندت المزاعم اليهودية في تحديد (أرض - الميعاد) على النصوص التي احتوتها التوراة والكتب الدينية اليهودية المقدسة، التي أشارت إلى حدود تلك الأرض التي تضمنتها الوعود الإلٰهية التي قطعها الرب لإبراهيم وذريته ووعدهم فيها بتمليكهم تلك الأرض[٣].

تقع أرض الميعاد وكما يفهم من نصوص التوراة في الجنوب الغربي من آسيا وتضم فلسطين بحدودها أيام الانتداب البريطاني وأجزاء من لبنان وسوريا والعراق ومصر[٤].

إن حدود أرض الميعاد التي وردت في أسفار التوراة، والكتب الدينية اليهودية تتصف بأنها تندرج في التوسع التدريجي حيث أنها تبدأ بمناطق ضيقة محدودة ثم تتسع فتشمل مناطق شاسعة المساحة فكان أول وعد قطع لإبراهيم هو الذي تضمنه سفر التكوين قد حدد أرض الميعاد بأنها منطقة (شكيم) (نابلس)، واجتاز إبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة... وظهر الرب لإبرام وقال: لنسلك أعطي هٰذه الأرض[٥]. فعبارة (هٰذه الأرض) تشير إلى (شكيم) (نابلس) فقط[٦].

---

(١) قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي/ حسن الجلبي/ ١١.

(٢) الملك المعاصر في الديانة اليهودي/ د.إسماعيل زاجي الفاروقي/ القاهرة/ مكتبة وهبة - ط٢/ ٦ - ٧.

(٣) الموسوعة الفلسطينية: إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، (ج١)، (ط١) توزيع شركة الفجر العربي - بيروت/ ١٩٨٤م/ ٥٩١.

(٤) المصدر نفسه ٥٩٢.

(٥) تك: ١٢: ٦ - ٩.

(٦) إسرائيل في التوراة والإنجيل ٢٧/ د. مراد كامل، الصهيونية والكتاب من كتاب إسرائيل في الكتاب المقدس ١٨.

ثم بدأت التوراة بالتوسع التدريجي في توسيع حدود أرض الميعاد، فقد زاد سفر التكوين مساحة الأرض بإضافة مناطق جديدة لم تذكر في الوعد الأول (وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه أرفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالًا وجنوباً وشرقاً وغرباً. لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد[١].

واستناداً إلى هٰذا النص نرى أن التوراة قد زادت عن مساحة الأرض عندما أشارت إلى حدود وهمية لم تحدد بدقة ووضوح[٢]. بل إن التوراة عادت لتجعل أرض الميعاد تمتد من النيل إلى الفرات وفي ذٰلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلًا: (لنسلك أعطي هٰذه الأرض من نهر مصر[٣]. إلى النهر الكبير نهر الفرات[٤].

إن سعة مساحة الأرض التي وعد الله بها إبراهيم ونسله والتي حددتها أسفار التوراة بأنها تمتد من النيل إلى الفرات لا يختص بها اليهود دون غيرهم من أبناء إبراهيم، لأنها منحت لإبراهيم قبل ولادة إسماعيل وإسحاق كما لا يمكن قبول مطالبة اليهود بإقليم شرق الأردن أو لا يعتبر النص الوارد في سفر التكوين (لأن جميع الأرض التي ترى لك أعطيها...)[٥]. دليلًا قاطعاً لمطالبهم بهٰذا الإقليم لأنه كان يسبق مولد إسماعيل وإسحاق، وترد ذرائع اليهود القائلة بأن إبراهيم كان يشاهد شرق الأردن من المكان الذي وقف فيه بين (بيت أيل) و(عاى) لأنه حتى وإن أمكن مشاهدة تلك المنطقة فلا يمكن إبعاد أحد من ذرية إبراهيم ونسله من حقه في ميراث تلك الوعود التي شملتهم جميعاً وباعتراف النص السابق[٦].

وإذا كانت التوراة قد جعلت حدود أرض الميعاد تضيق أو تتسع كما حددتها في أرض كنعان في العهد المقطوع لإبراهيم (وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض

---

(١) تك: ١٤ - ١٥.

(٢) إسرائيل في التوراة والإنجيل/ د. مراد كامل، المطبعة الفنية الحديثة/ القاهرة/ ١٩٦٨/ ٢٩.

(٣) يعتقد د. جورج يوت إن نهر مصر يقصد به نهر العريش لا نهر النيل، قاموس الكتاب المقدس/ جورج يوت، ج٢، ١٧١.

(٤) تك: ١٥: ١٨.

(٥) تك: ١٣: ١٥.

(٦) إسرائيل في التوراة والإنجيل/ مراد كامل، ٢٧ - ٢٨. الصهيونية والكتاب المقدس من كتاب إسرائيل في الكتاب المقدس: ترجمة حسني خشبة، ٣٠.

غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً... وأكون إلٰههم[١].

وزادت مساحتها في عهد الرب مع يعقوب (الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غرباً وشرقاً وشمالًا وجنوباً)[٢].

فأنها عادت لترسم حدودها جديدة لتلك الأرض وتعبدها موسى عند خروجه من مصر، وكأنها أرض ميعاد جديدة تختلف في مساحتها ورسم حدودها عن الأرض الأولى وعبد بها إبراهيم ونسله[٣] وقد حددت هٰذه الأرض لموسى بإشارة التوراة (وصعد من عربات موآب إلى جبل بنو إلى راس الفسجة الذي قبالة أريحا، فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان وجميع نفتالي وأرض أفرايم ومنسي وجميع أرض يهوذا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقصة أريحا مدينة النخل إلى صوغر، وقال له الرب هٰذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلًا: لنسلك أعطيها. قد أريتك إياها بعينك ولٰكنك إلى هناك لا تعبر)[٤].

وتبدو حدود أرض - الميعاد الجديدة حدوداً مبهمة غير واضحة رغم إسهاب التوراة في وصفها وتعريفها، ولٰكن يمكن القول بأنها شملت الأراضي الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط غرباً والفرات شرقاً بما في ذٰلك القسم المأهول من إقليم شرق الأردن، وبين النقب جنوباً (وهو خط يصل بين العريش والعقبة) ولبنان شمالًا (لم توضح الحدود في هٰذه الجهة، وإنما إشارة إلى حرمون (جبل الشيخ) فقط[٥].

وفي الدعوة للتوسع وضم مساحات واسعة من الأراضي ذكر سفر يشوع أن هنالك مساحات شاسعة لم يتم الاستيلاء عليها، ودعا اليهود لبسط نفوذهم والسيطرة عليها [٦]. ولٰكنهم عجزوا عن تنفيذ هٰذه الدعوة فلم يستطيعوا الوصول إلى الساحل الغربي حيث الفلسطينيون، ولم يتمكنوا من السيطرة على الموانئ أو الأراضي الفينيقية أو حتى الوصول إليها، ولٰكنهم استطاعوا الاستيلاء على دمشق

---

(١) تك: ١٧: ٨.
(٢) تك: ٢٨: ١٣ - ١٤.
(٣) الموسوعة الفلسطينية، ٥٩٢.
(٤) تث: ٣٤: ١ - ٤، وقارن مع تث ١: ٦ - ٨.
(٥) إسرائيل في التوراة والإنجيل/ د. مراد كامل/ ٢٨.
(٦) يش: ١٣: ١ - ٦.

بمعاهدة عقدها داود مع ملك صور الفينيقي حيرام، وان مملكة (بني إسرائيل) في عهد داود وسليمان قد تفككت وانفصلت عنها معظم أجزائها وأسترجعها أصحابها بعد وفاة سليمان، وبذلك آلت هٰذه المملكة إلى الضعف والانقسام وأصبحت محصورة حول أورشليم وبمساحة لا تزيد عن بضعة مئات من الكيلومترات حتى لفظت أنفاسها الأخيرة على يد الأشوريين ثم البابليين(١).

لقد تميزت حدود أرض - الميعاد التي أوردتها التوراة وكتب اليهود المقدسة الأخرى بصفتين أساسيتين هما:

الصفة الأولى: الغموض والإبهام.

إن حدود أرض الميعاد حدود غامضة مبهمة متناقضة بعيدة عن الدقة والتحديد ولا يمكن الاعتماد عليها في رسم حدود ثانية ودقيقة لتلك الأرض أو معرفة مدى أتساع رقعتها أو مقدار مساحتها(٢)، وهٰذا الغموض والتناقض متأتٍّ من أسباب عديدة أهمها:

غموض وإبهام أسفار التوراة المنشئة لتلك الحدود حيث أنها تركت أسماء التخوم مبهمة غير معرفة واختارت الأسماء المشتركة التي توقع الباحث في اللبس والإرباك وتجعل من الممكن تأويل نصوصها وحملها على حسب مقتضى الحال حيث استفاد الصهاينة من هٰذه الفرصة لتحقيق أطماعهم التوسعية(٣).

وقد كان لعامل الزمن الذي دونت فيه أسفار التوراة أثر واضح في هٰذا لتناقض والاختلاف في رسم الحدود حيث العديد من المبادئ والنظريات التوسعية المعبرة عن وجهة نظر اليهود طيلة فترة التدوين(٤).

---

(١) الصهيونية والكتاب المقدس: من كتاب إسرائيل في الكتاب المقدس/ الفريدجيوم/ ٣٠ - ٣١. إسرائيل في التوراة والإنجيل/ د. مراد كامل/ ٢٨ - ٢٩. ١ مل ٨: ٦٥.

(٢) الجذور الأيدلوجية للمفاهيم الإسرائيلية حول الحدود/ د. عمر الخطيب/ مجلة الدراسات الفلسطينية - جامعة بغداد، العدد (٣٤ - ٣٥) (تموز - كانون أول) - ١٩٦٨، والكتاب المقدس/ ٢٩ - ٣٠.

(٣) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل/ محمود نعناعة/ ج١/ ٣٠٩، والموسوعة الفلسطينية/ ٥٩٢.

(٤) المصدر نفسه/ ٣٠٩.

وكان للتفسيرات والاجتهادات المختلفة لنصوص التوراة التي أشارت إلى حدود أرض الميعاد، وكذلك للاتجاهات المتعددة ووجهات النظر المتباينة للباحثين الدور الكبير في التوصل إلى نتائج متباينة ومختلفة تنسجم مع أهداف لأصحابها سواء كانت دينية أم علمانية أم سياسية، وتتوافق مع ما يستندون عليه من نصوص دينية أو معطيات ومعلومات مستمدة من التقاليد أو التاريخ أو الجغرافية [(١)].

إن الغموض الوارد في التوراة لحدود أرض الميعاد جاء من تحديد هٰذه الأرض تحديداً عاماً فجعلتها بعض النصوص تمتد من النيل إلى الفرات دون تحديد لأي منطقة من المناطق التي يجتازها النيل أو تغطيها فروعه التي تستند إليها حدود أرض الميعاد، كما أن نصوصاً أخرى اعتبرت امتداداً تلك الأرض من سيناء إلى الفرات أو من البحر الأحمر إلى بحر فلسطين أو من الفرات إلى البحر المتوسط وهي بالأجمال حدود عامة مبهمة من الممكن أن تشمل سيناء جميعاً فتكون داخله ضمن أرض الميعاد باعتبارها أرض التيه المقدسة التي تمثل جانباً مهماً في العقيدة الدينية اليهودية التقليدية [(٢)].

وقد وردت حدود أرض الميعاد بصورة مفصلة في سفر العدد (٣٤: ١ - ١٢). وكذٰلك في سفر حزقيال (٤٧: ١٥ - ٢٠)، وتلك الحدود في سفر العدد أصغر منها في أي نص أخر.

الصفة الثانية: التوسعية

وتظهر صفة التوسع الإقليمي واضحة جلية في نصوص التوراة التي وردت فيها حدود أرض الميعاد والوعود الإلٰهية الممنوحة لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وكذٰلك لموسى ويشوع وداود وسليمان والتي تم استعراضها سابقاً. وقد اعتمدت المنظمة الصهيونية مبدأ التوسع لتنفيذ أطماعها وإن لم توضّح بالشكل الكامل لاعتبارات سياسية دولية أو عملية إلَّا أنه لم يغب عن ذهن الصهيونية من حيث التطلع نحو التوسع التدريجي واستخدام مختلف الطرق والأساليب لضم الأراضي

---

(١) إسرائيل الكبرى/ د. أسعد رزوق/ ٢٩٣.

(٢) الموسوعة الفلسطينية/ ٥٩٣.

العربية وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين من أجل توسيع الكيان الصهيوني. وقد فتحت التوراة الباب أمام التوسع الصهيوني وأصبح من أبرز الأسس في السياسة الإسرائيلية، فكان التوسع الصهيوني والضم الزاحف باستمرار حتمية ملازمة للوجود الإسرائيلي في فلسطين[١].

وقد نادى الصهيوني أرثور روبين (١٨٧٦ - ١٩٤٣)، بتكليف من المؤتمر الصهيوني الثامن (١٩١٧ م) دراسة مفصلة عن بناء (أرض إسرائيل) اقترح فيها حدوداً جديدة تختلف عن الحدود المقترحة سابقاً [٢]، وكانت المبادئ التوسعية من أهم أسس التفكير الصهيوني. فقد أقترح كل من (بن غوريون) و(إسحاق بن تزقي) حدود الكيان الصهيوني تتصف بالقدرة والقابلية على التطور الاقتصادي والازدهار الزراعي مع توفر مستلزمات السيطرة العسكرية بجعل تلك الحدود مؤهلة للدفاع عنها عسكرياً، لذٰلك كانت الحدود المقترحة التي تقدم بها هٰذين القطبين تشمل الأراضي الواقعة بين البحر المتوسط ونهر الأردن من نهر الليطاني في الشمال من صحراء سيناء في الجنوب، مضافاً إليها شرق الأردن وأقاصي الشمال حتى جبل الشيخ وأقاصي الجنوب حتى خليج إيلات (العقبة)[٣].

لقد تبارى الزعماء الصهاينة في تأكيد ضرورة الإسراع بالتوسع بعد إعلان قيام الكيان الصهيوني ١٥مايو (أيّار) عام ١٩٤٨ فيصرح بن غوريون في الكتاب السنوي لعام ١٩٥١م (الآن فقط وبعد سبعين عاماً من كفاح الرواد استطعنا أن نصل إلى أول استقلالنا في جزء من وطننا الصغير)[٤].

وبذٰلك أستحدث التوسعية جذورها من التوراة التي تحث على (كل مكان

---

(١) الاقتصاد السياسي الإسرائيلي/ د. فؤاد مرسي/ ٢٥.

(٢) مدى مشروعة أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين: دراسة في إطار القانون الدولي العام. عالم الكتب. القاهرة ١٩٧٥/ د. ممد إسماعيل علي السيد/ ٧١ - ٧٢، الجذور الأيدلوجية الإسرائيلية حول الحدود/ عمر الخطيب/ ٥٣.

(٣) الجذور الأيدلوجية للمفاهيم الإسرائيلية حول الحدود/ د. عمر الخطيب/ مجلةم.د.ف/ بغداد/ عدد ٣٤-٣٥/ ١٩٧٩/ ٥٤، إسرائيل الكبرى/ أسعد رزوق/ ٢٩٥.

(٤) إسرائيل قيامها - واقعها - مصيرها،دار المعارف بمصر القاهرة/ نقلًا عن د. محمد كامل الدسوقي وعبد التواب عبد الرزاق سليمان/ ١٢٥.

تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم...)[١].

وتطبيقاً للمبادئ التوسعية التي تمسكت بها المنظمة الصهيونية العالمية فقد طالبت تلك المنطقة مؤتمر الصلح المنعقد في باريس عام ١٩١٩ وإقرار الحدود التي تقدمت بها إلى المؤتمر المذكور باعتبار أنها الوطن القومي لليهود وتتفق تلك الحدود مع الحدود التي وعد بها موسى وتبلغ مساحتها (٠٠٠و٥٩) ألف كم٢ وتقع على ضفتي نهر الأردن [٢]. والحقيقة إن مسألة تحديد أرض - الميعاد تعتبر من أكثر المسائل التي دار النقاش حولها في أوساط المنظمة الصهيونية العالمية التي انبثقت عن المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بازل عام ١٨٩٧م، وانطلاقاً من أطماعها التوسعية رسمت الصهيونية العالمية حدوداً مختلفة لإقامة (الوطن القومي اليهودي) أو ما يسمى بـ(إسرائيل الكبرى) كان التوسع التدريجي وضم المناطق المجاورة أهم ما يميز تلك الحدود، وقد جسدت الصهيونية خططها التوسعية بإقامة المستعمرات الزراعية وبناء المدن وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين من مختلف دول العالم فاستطاعت بذلك ضم مساحات شاسعة وتحويلها إلى مستوطنات يهودية صهيونية تعتمد القوة والإرهاب ضد العرب سكان البلاد الشرعيين [٣]. ولقد استرشد رجال الفكر الصهيوني بنصوص التوراة التي تحث على التوسع وضم المناطق لمجاورة بصورة تدريجية وحسب الظروف الملائمة لذلك، الأمر الذي دعا قادة الحركة الصهيونية ومفكريها إلى التقدم بحدود مختلفة لأرض - الميعاد فقد أقترح الحاخام (صموئيل هيلل ابزاكسي)[٤] حدوداً معينة مسترشداً بالحدود التي أوردتها التوراة في سفر العدد (١:٣٤ - ١٢)، وقد تتضمن كتابه (الحدود الحقيقية للأرض المقدسة) الصادر في شيكاغو عام ١٩١٧

---

(١) تث: ١١:٢٤، وقارن مع يشوع٣:١.   (٢) الموسوعة الفلسطينية، ٥٩٣.

(٣) العبور إلى القدس/ عرفات حجازي، (ط١)،١٩٧٤ بدون ذكر محل النشر أو اسم الناشر، ٥٢ - ٥٣.

(٤) صموئيل هيلل ايزاكس: حاخام يهودي بولندي ولد عام ١٨٢٥ وهاجر إلى نيويورك عام ١٨٤٧م.وترأس فيها معهد التلمود والتوراة (١٨٨٦ - ١٨٨٧) وعمل التقاويم التلمودية،وأهتم بجغرافية فلسطين. توفي أوائل كانون الثاني عام (١٩١٧ م) للمزيد إسرائيل الكبرى - دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني/ د. أسعد رزوق - م.ت.ف. مركز الأبحاث الفلسطينية. سلسلة كتب فلسطينية بيروت ١٩٦٨/ ٣١٧- ٣١٨.

مقترحاته حول الحدود وهي تختلف عن الحدود التي حدد هرتزل عام ١٩٠٤م، وهذان المشروعان يختلفان عن الحدود التي تقدمت بها المنظمة الصهيونية إلى مؤتمر الصلح بفرساي عام ١٩١٩م. كما أن المهندس (سولومون كابلانسكي)[١]. قد اقترح في بحثه (قدرة فلسطين الاستيعابية) ضم أراضي جديدة متاخمة للكيان ويقول (بيرنشتين) وزير التجارة والصناعة الإسرائيلي السابق في خطبة له (على الشعب أن يقلل من استهلاكه ويتكتل وراء زعمائه استعداداً للساعة الفاصلة التي تمحو فيها الدول العربية من الوجود)[٢].

ويكشف (ليفي أشكول) رئيس العدو الصهيوني سابقاً عن مطامع الكيان الصهيوني التوسعية في تصريح نشرته جريدة (اللوموند) الفرنسية قبيل عدوان حزيران ١٩٦٧م. بقول (لا يزال هناك عشرون ألف كيلو متر من فلسطين القديمة لم نضع أيدينا عليها حتى الآن)[٣].

وعلق (أيريك رولو) المحرر السياسي للصحيفة المذكورة على تصريح اشكول بقوله (إن اشكول يقصد بذلك أن جزءًا من العراق وجزءًا من سوريا وكافة الضفة الغربية وشرقي الأردن هي أجزاء من فلسطين القديمة التي يحلم اشكول بأن يضع يدهُ عليها)[٤].

(وبعد قيام الكيان الصهيوني في عام ١٩٤٨ م بدء العدو بسلسلة من أعمال التوسع واستغلال الفرص بإعلان حروب خاطفة على الدول العربية المجاورة منها عدوان ١٩٥٦م، وعدوان عام ١٩٦٧ م لإكمال المرحلة الثانية من المخطط الصهيوني في إقامة الدولة اليهودية) في فلسطين. فأستطاع بذلك ضم العديد من المناطق العربية منها الضفة الغربية لنهر الأردن وسيناء، ومرتفعات الجولان،

---

(١) د. سولمون كابلانسكي، (١٨٨٤ - ١٩٥٠) مهندس بولندي المولد، كان صهيونياً اشتراكياً. عمل في صفوف الحركة العلمانية اليهودية والتي تسمى (عمال صهيون) وقد تولى عدة مناصب في تنظيمات المنطقة الصهيونية العالمية) له مؤلفات كثيرة تخص الاستعمار والاستيعاب. إسرائيل الكبرى/ د. إسعد رزوق/ ٢٩٧.

(٢) إسرائيل قيامها - واقعها - مصيرها - ١٢٠. (٣)العبور إلى القدس/ عرفات حجازي/ ٥٢.

(٤) إسرائيل - قيامها - واقعها - مصيرها/ د. محمد كمال الدسوقي، وعبد الرزاق عبد التواب/ ١٢١.

وكذلك العدوان الإسرائيلي على لبنان عام ١٩٨٢ مرحلة جديدة من مراحل المخطط الصهيوني التوسعي[١].

وتبين مما تقدم إن ما اعتمدته الصهيونية من ذرائع تستقي أصولها من التوراة والتلمود وكتب أخبار اليهود التي تدعو لامتلاك أرض فلسطين باعتبارها (أرض - الميعاد) التي يحلم بها اليهود لإنشاء دولتهم المزعومة تعتبر ذرائع باطلة، ذلك لأن الواعد لم يحدد محل الوعد تحديداً قاطعاً مما يجعل الالتزام به أمراً مستحيل التنفيذ[٢]. كما إن الوعد الإلهي الذي يتمسك اليهود به ويرونه سنداً من أسانيد السيادة اليهودية على فلسطين يعد باطلًا ومنقوضاً في التوراة والإنجيل والقرآن والقانون الدولي لم ينظر إلى الدين كعنصر من عناصر الدولة، أو مميزاً لعنصر الشعب فقد يعتنق الشعب الواحد ديانات متعددة ولم يحدث خلال التاريخ أن اعتبر الدين أساساً لوجود شعب ما، إذ إن علاقة الفرد بالدولة هي علاقة سياسية بالدرجة الأولى تقوم على رابطة الجنسية التي تبنى على حق الدم أو حق الإقليم حيث إن الجنسية لا تبنى على الدين مطلقاً[٣]. كما أن القانون الدولي العام لم يعترف بالدين مصدراً من كمصادر الحقوق والالتزامات، أو سبباً وكسباً للسيادة على إقليم معين من الأقاليم باستخدام القوة للاستيلاء على الأرض أو اللجوء إلى الحرب والفتح العسكري لتغيير الأوضاع الإقليمية ذات الطابع الدولي[٤]. وبذلك أصبح حق الفتح عملًا غير معترف به في ظل القانون الدولي منذ قيام عصبة الأمم المتحدة حيث نصت مبادئ هذه العصبة على منع استعمال الحرب لحسم الخلافات بين الدول أو لتعديل الأوضاع الإقليمية للدول الأعضاء أو النيل من استقلالها السياسي ودعت لتطبيق أحكام في فض المنازعات الدولية عن طريق الاتفاقات الدولية العامة والخاصة أو استخدام الأعراف والمبادئ الدولية المعترف بها عالمياً، أو اللجوء إلى مبادئ القانون الدولي العام التي أقرتها الأمم المتحدة، وكذلك اعتماد أحكام

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، ٥٩٨.

(٢) مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين/ د. محمد إسماعيل علي السيد/ ٧٩ - ٨٠.

(٣) المصدر نفسه/ ٨١.

(٤) قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي/ د. حسن الجلبي/ ٣٦ - ٣٨.

المحاكم الدولية ومذاهب كبار المؤلفين في القانون الدولي العام وقد جاءت المادة (٣٨) من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية مشتملة لجميع هٰذه الفقرات في حل المنازعات الدولية، وأعلن ميثاق الأمم المتحدة منذ إعلانه على تحريم استخدام القوة المسلحة في المجال الدولي حيث جاءت معظم مواده ترفض الحرب وتدعو لحفظ السلم والأمن الدولي ولم يكن الدين مصدراً من المصادر الرسمية في القانون الدولي، وحيث أن الكتب الدينية اليهودية المقدسة لا سند لها في القانون الدولي العام، ولم يكن التوريث الإلٰهي سبباً من أسباب السيادة في ذٰلك القانون، لذٰلك تعد الإدعاءات الصهيونية في فلسطين باطلة، لعدم تحديد المستفيد من الوعد، أو تعيين محل هٰذا الوعد تعييناً نافياً للجهالة واستحالة تطبيق الوعد مع انعدام اعتراف القانون الدولي بنظرية ملكية الرب للأرض، وبهٰذا تصبح جميع الذرائع اليهودية باطلة دينياً، وتاريخياً وقانونياً[1].

***

(١) قضية فلسطين في ضوء القانون الدولي/ د. حسن الجبلي/ ٣٥ - ٣٨، مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين/ ٨١ - ٨٢، الإدعاءات الصهيونية والرد عليها/ حسين عبد الحميد أحمد رشوان/ ٥٠

المطلب الثاني
شعب الله المختار

تعتبر نظرية (شعب الله المختار) ومفهومها الأساس الثاني الذي اعتمدته الحركة الصهيونية في الترويج لأفكارها التي تهدف إلى عد اليهود عنصراً متميزاً وجنساً متقدماً وأنهم يمثلون (أمة واحدة) و(قومية متميزة)، ومستهدفة من وراء ذٰلك المطالبة بإقامة (الدولة اليهودية) على (أرض الميعاد) التي وعد اليهود بها - كما تروي - التوراة وكتب اليهود المقدسة... وسوف أناقش هٰذا المفهوم تمهيداً لإبطال تلك الإدعاءات وبيان زيفها بالاعتماد على ما ورد في كتب اليهود الدينية ذاتها من نصوص تشير إلى مخالفة هٰذه الإدعاءات مستنداً إلى الحقائق التاريخية والعلمية في مناقشة تلك الذرائع. وعلينا أن نبحث في هٰذا المفهوم بشكل تفصيلي وكما يلي:

يعتقد اليهود أن الله قد اختار بني إسرائيل من بين جميع البشر وفضلهم على سواهم وجعل (شعب إسرائيل) وفق هٰذا الاختيار محل عطفه واهتمامه وجعل التاريخ ومسيرته الطبيعة ترتبط بحياة اليهود وتدور حول مصيرهم[1]. ولذٰلك يرون أن الرب (يهوه) اله واحد مقصور عليهم وحدهم دون سواهم أما الأغيار (غير اليهود) فلهم آلهتهم التي ترعاهم[2] لقد كان اختيار اليهود - وفق تصورهم - محدداً بوعد إلٰهي أزلي لا ينقض، بموجبه أصبح اليهود أمة مقدسة - أمة من الكهنة والقديسين - بهم يعاقب الله الأمم الأخرى، ولهم السيطرة والسيادة على الشعوب إلى آخر الزمن. فهم الشعب الأزلي (عم عولام) والشعب الأبدي (نيتسح)، والشعب المقدس (عم قادوش). وهم جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه، لا

---

(١) ينظر: اليهودية والصهيونية وإسرائيل/ د. عبد الوهاب محمد المسيري، ص٩. وينظر: وعد الله ليس لبني إسرائيل/ محمد عبد الرحمٰن عبد اللطيف، ص٨٣.

(٢) ينظر: عبد الوهاب محمد المسيري: اليهود والصهيونية وإسرائيل،ص٩.

أول لهم ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية [(١)]...

يستند اليهود في أدعائهم أنهم (شعب الله المختار) إلى ما احتوته الكتب الدينية اليهودية (التوراة، التلمود، القبالة، الزوهار، وغيرها) وبروتوكولات حكماء صهيون من نصوص تشير إلى اختيار الله لهم وتفضيله إياهم دون سائر الشعوب وارتباطهم وإياه بعلاقة خاصة لدرجة أن هٰذا الاعتقاد قد أصبح جزءاً لا يتجزأ من العقيدة اليهودية وعد من لا يؤمن بذٰلك منهم خارجاً من تلك الديانة [(٢)].

وقد احتوت التوراة في الكثير من أسفارها على ما يشير إلى هٰذا الاختيار ويدل عليه دلالة قاطعة فنصت أنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلٰهك إياك قد اختار الرب إلٰهك لتكون شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم[(٣)]، (مبارك تكون فوق جميع الشعوب)[(٤)]، وأشارت التوراة بأن الله سيبارك بني إسرائيل ويزيد نسلهم حتى يفوق الأمم ويعلو عليهم (أباركك مباركة وأكثر من نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر ويرث نسلك باب أعدائه ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض)[(٥)].

ويؤمن اليهود بأن الرب (يهوه) قد أختار بني إسرائيل ووعد بتمليكهم أرض فلسطين (أرض الميعاد) استناداً إلى العهد المبرم بينه وبين آبائهم (إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب)، فأشارت التوراة إلى تذكير الرب إياهم بوفائه بعهوده المقطوعة؛ ليس لأجل برِّك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم الكنعانيين بل لأجل إثم أولئك الشعوب بطردهم الرب من أمامك، ولكي يفي بالكلام الذي أقسم الرب عليك هٰذه لآبائك إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، فاعلم أن ليس لأجل برك يعطيك الرب إلٰهك هٰذه الأرض الجيدة لتمتلكها لأنك شعب صلب الرقبة [(٦)]. كما أن التوراة أكدت بأن (الشعب اليهودي) هو أفضل الأجناس بناءً على العهد المقطوع

---

(١) ينظر: د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص٢٩.

(٢) ينظر: عبد اللطيف شرارة: الصهيونية جريمة العصر الكبرى (ط١) دار المكشوف، بيروت، ١٩٨٤، ص٦٣.

(٣) تث: ٧: ٦ - ٨.

(٤) تث: ٧: ١٤، وقارن مع تث: ١٤: ٢

(٥) تك ٢٢: ٧.

(٦) تث: ٩: ٥ - ٦.

لإبراهيم فَوَرَدَ فيها: «أنا الرب إلٰهكم الذي ميزكم من الشعوب، تكونون لي قديسين. لأني قدوس أنا الرب، وقد ميزتكم من الشعوب لتكون لي»[(١)] لم يكن مفهوم «الشعب المختار» قد جسدته التوراة في أسفارها بل إن التلمود وهو ديانة وآداب إسرائيل قد أكد هٰذا المفهوم فكان بذٰلك قاعدة البناء الرضية التي اعتمدتها الصهيونية، والأساس المهم للدولة اليهودية التي نادى بها حاخامات اليهود [(٢)].

فقد كان أثره واضحاً في حياة اليهود وتأريخهم وساهم أيضاً في صياغة الفكر اليهودي وعمل على إيقاظ وتطوير النشاط الفكري على مستوى الحياة الدينية اليهودية، فكان التلمود كما وصف بأنه «مربى الأمة اليهودية ومعلمها»[(٣)].

لما نادى به من آراء ومفاهيم تمسك بها اليهود وطوعوها لخدمة غاياتهم وكانت تشير إلى الاستعلاء والتفوق والرغبة في السيادة التي قد طبعت نفوسهم بميزات خاصة وخلقت فيهم التعصب وجسدت فيهم روح الانعزالية فتطلعوا إلى التسلط على العالم والسيطرة على ممتلكات الغير على اعتبار أن الدنيا ملك للإسرائيلي ومن حقه التسلط عليها لأنه مساوٍ للعزة الإلٰهية [(٤)]. ولهٰذا جاءت نصوص التلمود وتعاليمه تحمل أفكار الاختيار والتفوق والاستعلاء. وقد حافظ اليهودي على هٰذه الأفكار، واستمر في النظر بأنفه واحتقار لمن يخالفه في شريعته، فقد علمه التلمود التعصب وضيق النظرة الإنسانية.

والتفوق على الشعوب غير اليهودية، تمثل ذٰلك النصوص المقتطفة من التلمود [(٥)].

- (الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية، وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير).

- (أيها اليهود إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله، أما باقي

---

(١) لاو ٢٠: ٢٤ - ٢٦.

(٢) ينظر: د.محمد طلعت الغنيمي: دعوى الصهيونية في حكم القانون الدولي، ص٣.

(٣) ينظر: د. أسعد رزوق: التلمود والصهيونية، ص١٩٨.

(٤) ينظر: التلمود والصهيونية/ أسعد رزوق/ ١٩٧. دعوى الصهيونية في حكم القانون الدولي/ ٥٠٣.

(٥) ينظر: يوسف حنا نصر الله، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص٦٠ - ٨٦. وبلص حنا مسعد: همجية التعاليم الصهيونية، ص١٢٧ - ١٤٠، وراجع مبحث التلمود.

الأمم فليست كذٰلك لأن مصدرها الروح النجسة).

- (تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده).

- (أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح لأن الأرواح غير اليهودية أرواح شيطانية، وشبيهةٌ بأرواح الحيوانات).

- (لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش. لماذا أختار الواحد القدوس تبارك اسمه؟). لأن كل الأمم رغبت عن التوراة ولٰكن إسرائيل قبلتها واختارت الواحد القدوس تبارك اسمه[(١)].

وكان التصوف اليهودي (القبالة، الزوهار) دور كبير في التأكيد على استعلاء اليهود على غيرهم على اعتبار أنهم امة الكهنة التي تقف وسط الأغيار ويشكل تأريخهم بحجر الزاوية في تأريخ العالم واعتبرت اليهودي هو مركز الكون ويتوقف كل شيء على أعماله فهو الذي يحدد النظام الكوني لأنه جزء من الله وما بينهما من وحدة وانسجام جعل القديسين اليهود يمسكون بمفاتيح العالم العلوي والسفلي، حيث تشير الفلسفة القبالية إلى مركز اليهود في العالم إذ ترى أن في حركة التاريخ وعلى ارتفاع منه يقف الشعب اليهودي المختار وفي وسط هٰذا الشعب يقف الأنبياء والملوك والكهنة وفي وسط الأنبياء يقف (الماشيح) الذي يجسد روح الله، وبهٰذا يكون بنو إسرائيل وثقل مركزهم هو أساس الخلاص.

وهٰذه الفلسفة ترمز إلى نوع من الحلولية التي اتصفت بها الديانة اليهودية، إذ يعتقد اليهود أن الرب إلٰههم الخاص وهو يحل منهم ولا يتركهم أحراراً بل انه يقبض عليهم في كل زمان ومكان استناداً إلى ذٰلك يعتقدون أن لأقوالهم قدسية وهي لا تقل شأناً في ذٰلك عن أقوال الله وكلماته[(٢)].

إن الوحدة والانسجام التي أوردتها الفلسفة القبالية تشير إلى تجلي الخالق

---

(١) نقلًا عن المسيري: اليهودية والصهيونية وإسرائيل، ص٢٥.

(٢) د. عبد الوهاب محمد المسيري: اليهودية والصهيونية وإسرائيل، ص١٤.

عبر مراحل يعبر عنها بالمراحل العشرة (السفيروت) ويمتد الخالق (الابن مسوف) بالشيخناه (العنصر الأنثوي للخالق) وهي شعب إسرائيل أو بنت صهيون، وأن هٰذا الشعب هو التوراة أو عروس الله التي سيتزوجها المسيح عند مجيئه وعند اتحاد الخالق بالمخلوق تفيض الحياة[١].

ولذٰلك يقول الباحث (هتزبيرج) في سبب اختيار اليهود دون الشعوب في سيناء وتجلى الله لموسى والنبي إسرائيل، وكانت السماوات والأرض شهوداً لهٰذا العقد [٢].

كما أن برتوكولات حكماء صهيون قد غذت الفكر اليهودي بمبادئ الاستعلاء والتفوق والتسلط وهي في رسمها لتلك المفاهيم لا تختلف كثيراً عما ورد في الكتب الدينية اليهودية المقدسة.

لقد كان مفهوم «شعب الله المختار» (شعب يهوه) هو سيطرة اليهود إذ أنه عمق الشعور لديهم بتفوقهم على الشعوب والأمم غير اليهودية، وأن لهم ما لا يحق لغيرهم وعمل على توجيههم نحو بناء العزلة الذاتية حول أنفسهم فكان التعالي والتفوق هما أساس تعامل اليهود مع غيرهم وبذٰلك نمت الشخصية اليهودية في ظل عزلة روحية وتميز اجتماعي وطابع خلقي معارضة بذٰلك ما جاءت به الديانات السماوية ولا تتفق أو تنسجم مع طبيعة المجتمعات الإنسانية [٣].

لقد كان مفهوم (شعب الله المختار) من أبرز السمات الرئيسية للفكر اليهودي والتي تتصل اتصالًا مباشراً بعقيدة اليهود الدينية ولا تنفك عنها، وجعلت من الصعب والتفوق أهم ما يميز اليهودي عن غيره وأسبغت عليه الكثير من صفات المدح والتكريم وجعلت من الشعوب والأمم غير اليهودية شعوباً منحطة ينظر إليها نظرات المقت والازدراء وتستخدم في وصفها المفاهيم والتعبيرات التي تجسد الاستعلاء والتعصب اليهودي فقد استخدمت كلمة (جويم) إشارة إلى القذارة الروحية والمادية للأغبار، واستخدمت عبارة «عاريل» وتعني (الأقلف) إشارة إلى

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٥.

(٢) نقلًا عن: عبد اللطيف شرارة: الصهيونية جريمة العالم العصر الكبرى، ص٢٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٧.

غير المختتن وقد شاع استخدامها بإطلاقها على المسحيين لعدم شيوع الختان بينهم، ويعتقد اليهود أن الشخص الأقلف يبقى فطيراً بدائياً قذراً كافراً، وقد كان استخدامهم هٰذه العبارة «مميز» أي (ابن الزنا) للدلالة على الشخص المسلم لاعتقادهم بأن إسماعيل (أبو العرب) ابن غير شرعي لهاجر الجارية[١].

وبذٰلك تكون الديانة اليهودية قد ساعدت على تعميق عزلة اليهود عن المجتمعات التي يعيشون فيها وأدت إلى أحجامهم عن الاندماج والانصهار في تلك المجتمعات، حيث إن تلك الديانة قد كبلت أتباعها بعدد لا يحصى من الشعائر والطقوس الدينية التي تغطي كل جوانب حياتهم وعن طريق توحيد تلك الشعائر والطقوس التي توجب بقاء اليهود على مقربة من بعضهم البعض ليتسنى لهم القيام بتنفيذها تكون اليهودية قد أكدت انفصال اليهود عن غيرهم.

إن القوانين الدينية اليهودية التي تشمل قوانين الطعام (الكاشير) والختان، والاحتفال بيوم السبت وصلاة الجماعة (المنيان)، وشعائر الدفن الخاصة، وقوانين المحظورات التي تحرم بعض الأطعمة لعدم نظافتها من ناحية الشرعية اليهودية، كل هٰذه القوانين والشعائر تهدف إلى تذكير اليهودي بانفصاله عن المجتمع الذي يعيش فيه وتفرده عن غيره ولذٰلك عاش اليهود في مختلف البلدان التي تواجدوا في أحياء خاصة بهم منعزلين عن غيرهم، وكانت تلك الأحياء تتخذ تسميات متعددة تبعاً للمناطق التي سكنوها، فقد عرفت تلك الأحياء باسم (حارة اليهود) في العراق ومصر، (وقاعة اليهود) أو (المسبتة)[٢]. في اليمن و(الملاح) في بلدان المغرب العربي وعرفت مناطق تواجدهم في أوربا الشرقية باسم «مناطق الاستيطان» واستثمر الشنتل[٣].

---

(١) ينظر: د. رشاد عبد الله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص٣٠.
ود. عبد اللطيف شرارة: الصهيونية جريمة العالم الكبرى، ص٦٤.

(٢) المسبتة: هو حي اليهود الخاص المتعارف عليه في بلاد اليمن نسبة ليوم السبت. ينظر: د. رشاد الشامي: ص٢٠ - ٢١.

(٣) الشنتل: تجمع سكاني يهودي يضم عدداً من اليهود ويتراوح عددهم من (١٠٠٠ - ٢٠٠٠و٢٠) يهوديٍّ يسكنون بيوتاً من الخشب بالقرب من المعبد اليهودي، ويكون الشنتل منفصلًا حضارياً واجتماعياً وعرقياً عن البيئة المحيطة به.

القهال[1]، والجيتو. ويعتبر الأخير أشهر أنواع أماكن العزلة اليهودية في العالم حيث كان في كل بلد يقطن فيه اليهود حي خاص بهم يعيشون فيه مجتمعين سوية حيث أن الشعائر والطقوس الدينية قد حفزتهم على التجمع والإقامة بصورة طوعية واختيارية[2].

وتؤكد ذٰلك دائرة المعارف اليهودية إذ تنص على (إن واقع وطابع حياة اليهود دفعَ بهم إلى التجمع والإقامة سوياً في شارع واحد أو في حي واحد للمحافظة إلى الشرائع الدينية والعدد الشرعي للصلاة «المنيان» والمقابر، والمطهر «بركة التطهير»، والمساعدة المتبادلة للأقلية المضطهدة والمهانة وكذا انعدام الأمن لديهم كغرباء مكروهين، جعلهم ينظمون سوياً ويخلقون شوارع أو أحياء لليهود في كل البلدان الأوربية)[3].

إن رغبة اليهود في التركز في أحياء خاصة بهم (الجيتوات) قد جاءت بوصفهم أقلية دينيه اقتصادية حيث كان اليهودي داخل الجيتو (الحي اليهودي) يمارس طقوسه وشعائره بكل حرية، ويمتنع عن العمل أيام السبت تعجيلًا بعودة (المسيح المنتظر) الذي سيقود شعبه إلى (أرض - الميعاد) كما تعمق إيمان اليهودي داخل هٰذه الأحياء بانتمائه إلى الأمة المقدسة والشعب المختار[4]. وكان لرجال الدين اليهود وحاخاماتهم الأثر البارز في العمل على عزل اليهود في أحيائهم الخاصة ورفض جميع المحاولات الرامية إلى صهر اليهود بمجتمعاتهم[5] كما أن اليهود كانوا يشكلون أقلية اقتصادية يتعاملون بالتجارة والربا يوفر لهم (الجيتو) نوعاً من الاستقلال الاقتصادي الذي يبغونه بوصفهم طبقة

(١) القهال: خلية أساسية لتنظيم حياة اليهود، ومهمته تشابه مهمة الدولة تجاه مواطنيها وتعتبر تجسيداً للحكم الذاتي من قبل الدولة.

(٢) ينظر: د. عبد الوهاب محمد المسيري: الأيدلوجية الصهيونية ق١ - ص٢٠ - ٣٢، وينظر أيضاً د. رشاد الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص١٢ - ٢١.

(٣) نقلًا عن د. رشاد الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، ص١٢ - ٢١.

(٤) ينظر: د. عبد الوهاب محمد المسيري: الأيدلوجية الصهيونية، ق١، ص٤٣.

(٥) ينظر: د. محمد إسماعيل علي السيد: مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين: ص٦٢ - ٦٣.

لها مصالحها ومشاكلها الاقتصادية والدينية الخاصة، في وقت - العصور الوسطى الزراعية والإقطاعية وكانت فيه العزلة أمراً طبيعياً حيث لم يكن الفصل بين الطبقات مقصوراً على اليهود بل إنه كان من الأمور المألوفة والمتعارف عليها في تلك المرحلة التاريخية [١] وقد كان اليهود داخل (الجيتو) يمارسون أعمالهم بصورة اعتيادية سواء التي تفيد الجماعة اليهودية وليبكي حاخاماتهم أو تلك التي تفيد اليهود الأغيار في ذات الوقت [٢]. وهٰذا متأتٍ من كون (الجيتو) مجتمعاً مصغراً يتصف بجميع صفات المجتمعات الكبيرة ويعتبر جزءاً لا يتجزأ منها، سوى أن اليهود قد فضلوا عيش تلك الطباع طواعية وبرغبتهم الذاتية حيث أشارت الوقائع التاريخية إلى أن أسقف مدينة سبير قد منح اليهود عام ١٠٨٤م. الحق في العيش داخل أحياء خاصة محاطة بأسوار عالية، كما أن يهود براغ الذين كانوا يعيشون خارج نطاق المنطقة المخصصة لليهود طالبوا في القرن الخامس عشر بالانضمام إلى أخوانهم الذين يعيشون داخل تلك المناطق، وفي ذٰلك إشارة إلى شعور اليهود بالخوف وفقدان الأمن خارج أسوار الجيتو مع الشعور بالراحة والاطمئنان والوحدة والانسجام فيما بينهم لإقامتهم الشعائر الدينية والعبادات وأنهم يرون الإقامة في هٰذه الأحياء إقامة مؤقتة بعدما يفارقون العالم الغريب الشرير المعادي لليهود حيث تعقب هٰذه الإقامة الوقتية هجرة اليهود إلى أرض - الميعاد، ولذٰلك أفرزت هٰذه المرحلة من الأحلام الماشيحانية وجعلتهم يتطلعون للخلاص [٣].

ولٰكن نتيجة لسلوك اليهود في تعاملهم مع المجتمع الخارجي (غير اليهودي) والدور الاقتصادي الذي لعبه التاجر اليهودي كمنافس للتجارة والحرفين غير اليهود وتواطؤ التجار اليهود مع الملوك والأمراء والنبلاء والأشراف فقد أفادت هٰذه الأسباب مجتمعة التجار والحرفيين، بالأغيار بالعمل ضدهم فكان هٰؤلاء الذين

---

(١) ينظر: عبد الوهاب محمد المسيري: الخلفية التاريخية للحركة الصهيونية المشروع الصهيوني في الفكر والتطبيق ص٦١ - ٦٢. والمسيري الأيدلوجية الصهيونية ١/ ٤١.

(٢) ينظر: نفس المصدر السابق: الأيدلوجية الصهيونية ق١، ص٤١.

(٣) ينظر د. عبد الوهاب محمد المسيري: الخلفية التاريخية للحركة الصهيونية: المشروع الصهيوني،ص٦٢ .

وينظر: المؤلف نفسه: الأيدلوجية الصهيونية ق١، ص٤١.

أشعلوا فتيل الثورات ضد اليهود الذين عجزوا أيضاً عن مواكبة عمليات تحول المجتمعات من المراحل الإقطاعية إلى المراحل الرأسمالية حيث فقدوا نتيجة ذلك أدوارهم الاقتصادية كتجار دوليين وانحدروا تجاراً محليين ثم مرابين صغاراً أثاروا عليهم غضب مختلف الطبقات بسبب عمليات الإقراض التي أنهكتهم فوائدها(١).

كما أن كره اليهود واضطهادهم كان متأتياً من قبل بعض الشعوب المسيحية بسبب تصرفات اليهود وسلوكيتهم التي نجم عنها اشتراكهم في صلب السيد المسيح، حيث تجسد الصراع بين اليهودية والمسيحية بعد اعتناق قسطنطين الديانة المسيحية في أوائل القرن الرابع الميلادي واعتباره الدين الرسمي للإمبراطورية في فترة بلغ فيها التزمت الديني أشده، وبذلك ظهرت في أوربا حركة اضطهاد واسعة لليهود أطلق عليها باللاسامية(٢) وهي ظاهرة وقتية من ظواهر العصر الذي ظهرت فيه لم تلبث أن اختفت بعد تطور الحريات السياسية وتحرير اليهود وبعد قيام الثورة الفرنسية واعتبار اليهود المقيمين في فرنسا مواطنين لهم حقوق المواطن وعليهم واجباته(٣). وقد اتبعت فرنسا في ذلك العديد من الدول، مثل بروسيا وروسيا وكندا، وألمانيا، والنمسا والجر وسويسرا وبذلك تسقط ادعاءات الصهيونية القائلة بتعرض اليهود في مختلف المجتمعات الدولية للاضطهاد وإرغامهم على العزلة في إحياء خاصة بهم تنقصها وسائل الأمن والحماية وأبسط المستلزمات الاجتماعية(٤).

والحقيقة انه كان لليهود جميع فرص الاعتناق (أي تحديث المجتمع وجعله عصرياً ومنه اليهود، بدءاً بحركة الإصلاح الديني وظهور المذهب البروتستانتي ثم عصر النهضة)، (حيث ظهرت الفلسفة الإنسانية ثم حركة التنوير (الفلسفة العقلانية) في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر قد أدى استمرار اليهود في تعصبهم

---

(١) ينظر: المسيري: الأيدلوجية الصهيونية ق٢، ص٤١.

(٢) ينظر: حاتم صادق: نظرة على الخطر الصهيوني - عن إستراتيجية السياسة لإسرائيل، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٨، ص٦٦.

(٣) ينظر: جودت السعد: الشخصية اليهودية عبر التاريخ،ط١، العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٥، ص٩٦. وينظر: عبد الوهاب محمد المسيري، الأيدلوجية الصهيونية، ص٥٩.

(٤) المصدر السابق نفسه.

وعزلتهم المغلقة مما أدى إلى تدهور مستواهم الثقافي والفكري والاجتماعي والاقتصادي[١] (وهكذا يتعقد الموقف وتتشابك حلقاته وتتداخل الأسباب بالنتائج ويمتزج العقل برد الفعل بحيث يصبح الأمر في نهاية المطاف وقد غدا من الصعب معرفة أياهما أعمق جذوراً وأشد تأثيراً تعالي اليهود وعزلتهم؟ أم اضطهاد الآخرين؟[٢].

واستطاعت الصهيونية استغلال المفاهيم الدينية الواردة في التوراة ومنها مفهوم (الشعب المختار) وأخرجته من سياقه الروحي والديني وعدته أساساً وصيتاً تتذرع به للترويج لمطامعها حيثما أعطت هٰذا المفهوم طابعاً دنيوياً ومعنى سياسياً لم يكن متوفراً في دلالته الأصلية في الكتاب المقدس[٣].

وقد أجمع المفسرون على أن اختيار بني إسرائيل وتفضيلهم على البشرية يقصد به التفضيل على المجتمعات الإنسانية الموجودة في زمانهم، والتي كانت تدين بالشرك والوثنية، ولا يشمل هٰذا الاختيار من سبقهم وغيرهم من الناس حيث إن حكمه التفضيل والاختيار كانت لشعب يقيم شريعة السماء ويحي دينها[٤] وبذٰلك جاء القرآن الكريم مؤكداً بقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[٥].

إلَّا أن اختيار الله بني إسرائيل وتفضيله لبني إسرائيل قد رفع عنهم وحرموا منه حتى تقاعسوا عن حمل الرسالة وحفظ العهد، إذ صرح القرآن بذٰلك فقال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾[٦].

---

(١) ينظر: حاتم صادق: نظرة الخطر اليهودي، ص٦٧.
والمسيري: الأيدلوجية الصهيونية، ق(١)، ص٥٠.

(٢) ينظر: رشاد الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية. ص٣٢.

(٣) ينظر: د. فايز صايغ: حول قرار الأمم المتحدة التاريخي (الصهيونية والعنصرية) أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية المنعقد في بغداد سنة ١٩٧٦ ص١٤٠ - (ق١). (ط١) المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ١٩٧٧، ص١٢.

(٤) ينظر: محمد عبد الرحمٰن عبد اللطيف: وعد الله ليس لنبي إسرائيل. القاهرة الهيئة العامة للتأليف والنشر/ ١٩٧١/ ص٨٢.

(٥) سورة البقرة/ الآية ٤٧.

(٦) سورة البقرة الآية ٥٩.

وبذلك يشير القران الكريم - وكما أشارت التوراة والإنجيل قبل - إلى خروج اليهود على عهود الله ومواثيقه وعدم وفائهم بالأمانة التي حملوها وبذلك يكون من المنطقي والمعقول أن لا تختار العدالة الإلهية شعباً خاملًا منحلًا لإقامة الشرعية وتحقيق العهود الإلهية ولا تفضله على بقية الخلق بعد أن تحلل من أية التزامات أخلاقية أو أية مقومات دينية لأن ذلك يتعارض صراحة مع المفاهيم الدينية الصحيحة لجميع الرسالات السماوية[١]، ويرى اليهود أنهم لم يحفظوا عهد الله أو يلتزموا باختيار إياهم دون بقية البشر، وأنهم بسبب عدم التزامهم بهذا الاختيار وتفريطهم به أن أصبحوا هدفاً للانتقام ونزلت عليهم القربات المتتالية، والمصائب المروعة أكثر من غيرهم لأن الاختيار كان يوجب عليهم أن يكونوا أكثر الناس طاعة واستجابة ولكنهم بعصيانهم كان عاقبتهم أقسى من سواهم على نفس العصيان[٢].
لقد جعلت فترة الترحيل البابلي من اليهود طائفة من الناس ترتبط مع بعضها بشعور مشترك حيث أن الذل والقهر والمهانة قد أيقظ مشاعر العنصرية والعظمة، ودفع بقادتهم ودعاتهم إلى اللجوء لتحريف نصوص التوراة لصالحهم، حيث أكد مدونوها نقاء هذه المجموعة واعتبروا أنفسهم (شعب الله المختار)، ووضعوا الكثير من القوانين والتشريعات التي تدعو للحفاظ على نقاء الدم اليهودي وعدم اختلاطه بغيره بعد أن رأى أولئك القادة توطد العلاقة والانفتاح الذي جرى بين اليهود والعراقيين، فاصطنعوا مقولة (الشعب المختار) في محاولة منهم للمحافظة على أنفسهم كعرق متميز يفضل على الشعوب والأمم الأخرى وغير قابل للاندماج معها، ولهذا جاءت التوراة منتقدة زواج اليهود من الأجنبيات وأكدت وجوب التفريق بين اليهود وغيرهم وفرضت نوعاً من العزلة وعدم الاختلاط بين اليهود وغيرهم حيث كان للتعاليم والتشريعات الدينية أثرها في إنماء تلك العزلة وإذكاء شعور اليهود بتفوقهم ورغبتهم الشديدة في السيطرة على العالم[٣].

---

(١) ينظر: محمد عبد الرحمٰن عبد اللطيف: وعد الله ليس لبني إسرائيل، ص٩١.
(٢) ينظر: د. أحمد شلبي: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص١٨٧.
(٣) ينظر: سهيل ديب. التوراة تاريخها، غاياتها، ص١٧ - ١٨. و. د.محمد عبد الرحمٰن عبد اللطيف: وعد الله ليس لبني إسرائيل، ص ٩٣ - ٩٤.

المطلب الثالث
أثر التناقض في فساد عقيدتهم

أولاً: مع الله تعالى:

إن الرب الذي عرفناه بفطرتنا واهتدينا إليه بعقولنا هو ذٰلك الرب الذي عرفناه من الكتب السماوية المنزلة على أنبياء الله بواسطة جبريل الأمين عليه السلام وبلغ إلينا بواسطة الرسل والأنبياء الصادقين. عرفناه عنهم إنه رب العالمين لا رب فئة من البشر ولا رب البشر وحدهم بل هو رب الكون بما فيه الأرض وما أقلت والسمٰوات وما أضلت، هو ربنا ورب كل شيء، هو الله رب العالمين يستحيل عليه إلَّا أن يكون عادلًا يضع الموازين بالقسط لا يحابي أحداً ولا ينحاز إلى أحد، ولا يظلم ربك أحداً.

إن الله رب العالمين لا يمكن أن يكون إلَّا رحيماً لا يأمر بالسوء ولا يحض على الفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا البغضاء ولا الشر ولا المنكر، هٰذا هو الله رب العالمين الذي عرفناه جميلًا حليماً، كريماً، رحيماً، متصفاً بكل فضيلة، منزهاً سبحانه عن كل رذيلة.

هٰذا هو ربنا الذي نعبده نجله ونعظمه وتخشع لذكره قلوبنا.

أما رب اليهود بنظر العقيدة اليهودية فهو غير هٰذا الرب الذي عرفناه على خط مستقيم فهو ليس رب العالمين بل هو رب اليهود وحدهم، وهو ليس الإلٰه العادل بين الناس على حد سواء، بل هو ميز اليهود على بقية العالمين. إذ جعل اليهود شعبه المختار!.. وإنه صنع العجل وعبد الطاغوت، وأسال دماء البشر وبقر بطون الحوامل وأتى على النساء والشيوخ والأطفال والمقعدين [1].

إن دين اليهود الذي يمارسونه منبثقاً من توراتهم الحالية، دين عجيب، وإلٰههم

---

(١) حقيقة يهود/ خير الله طلفاح/ ٧/ ٢٠٨.

إلٰه عجيب، إلٰه جاهل حيناً وعالم حيناً آخر. إلٰه ضعيف تارة وجبار تارة أخرى.

إلٰه يفضل سكنى البيوت على سكنى السحاب ... إلٰه متعطش لسفك الدماء وحرق شحومها لأن رائحة الشحوم المحروقة تبعث في نفسه السرور والبهجة، إلٰه جشع محب للذهب إلى حد بعيد. إلٰه أرستقراطي يحب أن يخدمه عشرات الألوف من الكهنة، يسخرون أنفسهم لتنظيم عبادات وطقوس عجيبة ليس لها مثيل في أي دين من أديان البشر، وقد عدد اليهود آلهتهم في التوراة، فهم يركزون على يهوه بعد الخروج من مصر، ويعتبرون هٰذا الإلٰه خاصاً بهم، فتارة يسمونه إلٰه إسرائيل وتارة أخرى رب الجنود، ويضفون على يهوه صفات الحسيه التي تنطبق على الإنسان تارة وعلى الشيء المرعب العجيب تارة أخرى، وما أسهل في نظر التوراة من المقابلات والمجادلات والمناجاة التي تتم بينهم وبين يهوه، حتى ليخيل للإنسان إن تلك المقابلات كانت أسهل من المقابلات التي تتم في الوقت الحاضر مع بعض حكام الدول وملوكها [(١)].

وبدأ اليهود في التوراة عملية مسخ ليهوه مشعرين أنهم أقوى منه كي يسير معهم حسب أهوائهم.

ويشرك اليهود ويعترفون بوجود آلهة كثيرة (الآن علمت أن الرب أعظم من جميع الآلهة لأنه في الشيء الذي بغوا به كان عليهم) [(٢)].

وإن يهوه اختارهم لأنه أحبهم واصطفاهم، وقد بلغ من تعصبهم وصلتهم وغرورهم إنهم اعتبروا يهوه إلٰهاً خاصاً بهم، احتكروه لأنفسهم وحرموا بقية الشعوب من الاتصال به.

ويؤكد يهوه غرامه ومحبته والتصاقه بشعبه المختار «لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم، بنتك لا تعطى لأبنه وبنته لا تأخذ لأبنك ... لأنك أنت شعب مقدس للرب إلٰهك، إياك قد اختار الرب إلٰهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب

---

(١) جذور البلاء/ عبد الله التل/ القسم الأول/ ١٥.

(٢) خرو/ الإصحاح/ ١٨: ١١.

التصق الرب بكم واختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أُقسم لأبنائكم أخرجكم الرب بيد شديدة وفداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر»[(١)].

(ولٰكن الرب إنما التصق بآبائك ليحبهم فاختار من بعدهم نسلهم الذي هو أنتم فوق جميع الشعوب كما في هٰذا اليوم...)[(٢)].

وإلٰه اليهود هٰذا وقف عليهم لا يسمحون له أن يتصل بسواهم من الشعوب لهدايتها، كما لا يسمحون لتلك الشعوب أن تتصل به لتتعرف إليه وتعبده.

«فدخل موسى وهارون إلى فرعون وقالا له هكذا يقول الرب إلٰه العبرانيين إلى متى ستخضع لي، أطلق شعبي ليعبدوني»[(٣)].

وإن إلٰه إسرائيل كما تصفه توراتهم المحرفة إنه قاسٍ وظالم ومتوحش وإن إلٰههم هٰذا قد غرز في نفوسهم غريزة البطش والإرهاب والقسوة.

ولا شك إن قارئ التوراة يعجب حين يجد ذكر رب الجنود الذي هو رب اليهود يرد في أغلب صفحات التوراة محارباً جباراً نيابة عن شعبه المختار مما يساعد على إدراك حقيقة جبن اليهود[(٤)].

وتصف التوراة يهوه بأنه كان خادماً مطيعاً ينفذ رغائب الشعب المدلل المختار وهي رغائب لا حد لها. ويقولون إن يهوه هان على نفسه وسمح لأحد أجدادهم يعقوب (إسرائيل) أن يصرعه.

وشق لهم البحر ليمروا بسلام، وأوقف لهم الشمس في فلكها من أجلهم وحماهم في التيه أربعين سنة، وأنزل عليهم المن والسلوى وأباح لهم إبادة الشعب الفلسطيني، ومنحهم أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلًا، وأحل لهم استعباد الشعوب وتسخيرها لخدمتهم.

وكذٰلك وعدهم بملكوت العالم، وجعل لهم فلسطين قاعدة ذٰلك المُلك...

---

(١) تث/ الإصحاح/ ٧/ ٢ - ٨.
(٢) تث/ الإصحاح/ ١٠: ١٥.
(٣) خرو/ الإصحاح/ ١٠: ٣٠.
(٤) جذور البلاء/ عبد الله التل/ القسم الأول/ ٦٠.

وأحل لهم عمل المنكرات وإتباع القسوة والهمجية [١].

هٰذا هو الله عن اليهود فحاشا لله أن يكون رباً لفئة معينة دون أخرى وأن ينحاز لملة وعلى حساب ملة أخرى.

ثانياً: مع الأنبياء عليهم السَّلام.

لقد وصف اليهود من خلال الأنبياء والرسل وهم بطبيعة الحال أعرف الناس بهم فقالوا عنهم (اليهودي غليظ القلب، صلب الرقبة، ابن الأفعى، قاتل الأنبياء وراجم المرسلين) والظاهر أن اليهود كما تواصوا بهٰذه الصفات الدنيئة والطباع الخبيثة والنفوس الشريرة أقول كما تواصوا بذٰلك فإن هٰذه الصفات مع الزمن وبالتكرار سرت في دمائهم وصارت أجزاء من مكوناتهم وطبيعة من طبائعهم فهم لا يستطيعون إلَّا أن يقتلوا ويسرقوا ويدمروا ويعملوا الكبائر، وتقول توراتهم المحرفة إن لوطاً قد ضاجع ابنتيه وهو سكران (فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابناً ودعت اسمه مؤاب، وهو أبو المؤابين إلى اليوم والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمي، وهو أبو بني عمون إلى اليوم)[٢].

وأستن رأوبين بن يعقوب سنه الاعتداء على زوجة الأب (رأوبين أنت بكري قوتي وأول قدرتي فضل الرفعة وفضل العز، فائراً كالماء لا تتفضل، لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته، على فراشي صعد)[٣].

وفي شرعة التوراة إساءة كبيرة للأنبياء حيث جاء في التوراة أن إبراهيم لما قَرُب أن يدخل مصر قال لساراي امرأته، إني قد علمت إنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآكِ المصريون أنهم يقولون هٰذه امرأته، فيقتلونني ويستبقونكِ، قولي إنكِ أُختي، وحدث لما دخل إبراهيم إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة إنها حسنة جداً فمدحوها لدى فرعون فأُخذت إلى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيراً بسببها. (فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة إبراهيم، فدعا فرعون إبراهيم وقال ما هٰذا الذي صنعت بي، لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ لماذا

---

(١) جذور البلاء/ عبد الله التل/ ٦٨.
(٢) تك/ الإصحاح ٣٦: ٣٨.
(٣) تك/ الإصحاح ٤٩: ٣-٤.

قلت «إنها أُختي» حتى أخذتُها لتكون لي زوجة؟ والآن هي ذا امرأتكَ خذها واذهب)[١]. ومن جانب آخر حرصت التوراة على أن تسجل لإبراهيم إنه حابى ابنه إسحاق وأعطاه كل ما كان له، وأما بنو السراري اللواتي كن لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعدُ حي)[٢]، وإذا كان واضعو التوراة قد حرصوا على إبعاد إسماعيل أيضاً، فقد نسوا ذٰلك وعادوا فذكروا ما يدل على أن إسماعيل ظلَّ بجوار أبيه حتى موته.

وحدث مثل ذٰلك ليعقوب وأخيه عيسو ولدي إسحاق، وتروي التوراة إن إسحاق يحب عيسو وأما رفقة زوجته فتحبّ يعقوب وحاول يعقوب أن يحل محل أخيه عيسو في البكورية تقول التوراة إن عيسو باع بكوريته إلى أخيه يعقوب بالخبز والطبيخ وكذٰلك تذكر التوراة المحاولات التي قام بها يعقوب لينال ميراث أبيه دون أخيه عيسو ويصف سفر التكوين أعمال يعقوب بالشطط والكذب لينال ما ليس له.

وتصف التوراة أحداثاً عجيبة يدهش الإنسان أن تجري في بيت رسول. ومن هٰذه الأحداث إن زوجة يعقوب (راحيل) كانت وثنية، حتى بعد أن مضت عدة سنوات على زواجها منه، وقد بلغ من وثنيتها وأخلاقها إنها سرقت أصنام أبيها وفرت بها هاربة من بيت أبيها مع زوجها إلى فلسطين[٣].

وتذكر التوراة (إن راؤيين بن يعقوب بن البكر زنى بيلهة زوجة أبيه وأم أخويه دان ونفتالي، وشاع هٰذا الخبر حتى سمعه يعقوب)[٤]. ومن هٰذه الأحداث أيضاً واقعة زنا وغدر يقصها سفر التكوين كما يلي: وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض فرآها شكيم بن حمور رئيس الأرض. فأخذها وزنا بها وتعلقت نفسه بها فكلم أباه أن يطلبها زوجة له، فخرج حمور إلى يعقوب ليطلب ابنته إلى ابنه...)[٥] وتتوالى الإساءات الكبيرة إلى الأنبياء وزوجاتهم وأبنائهم في التوراة.

---

(١) تك: ١٢/ ١٤ - ١٩.
(٢) تك: ٢٥/ ٥ - ٦.
(٣) تك: ٣١/ ١٩.
(٤) تك: ٣١: ١٩.
(٥) تك: ٣٤.

وفي عهد موسى عليه السلام أحداث مسألة سرقة بني إسرائيل لحليّ المصريين تنفيذاً لوصية الرب التي أوصى بها موسى وبلغها إلى قومه بها فعملوا بها، وفيما يلي كلمات (وأُعطي أي أنل الله - نعمة لهٰذا الشعب في عيون المصريين، فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيله بينها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين)[١].

(وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين)[٢].

ومهما كان من أمر فإن تسجيل هٰذا الخبر بهٰذا الأسلوب يدل على ما كان وظل يتحكم في نفوس بني إسرائيل من فكرة استحلال أموال الغير وسلبها بأية وسيلة، ولو لم تكن حالة حرب ودفاع عن النفس، كما إنه كان ذا أثر شديد بدون ريب في رسوخ هٰذا الخُلق العجيب في ذريته ومن دخل في دينهم من غير جنسهم [٣].

أما هارون فإنه بناء على ما ورد في التوراة - استجاب لقومه حينما استبطؤوا موسى وطلبوا منه أن يقيم لهم إلٰهاً يعبدونه وفيما يلي نص التوراة: ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون وقالوا له، قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هٰذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هارون، انزعوا أقراط الذهب التي في آذانكم، وأُتوا بها إلى هارون، فأخذ ذٰلك من أيديهم، وصورةً بالأزميل، وصنع عجلًا مسبوكاً فقالوا هٰذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه، ونادى هارون وقال: غداً عيد للرب فبكرّوا في الغد واصعدوا محرقات، وقدموا ذبائح سلامة وجلسوا للأكل والشرب ثم قاموا للعب)[٤].

أما داود التوراة فإنه يسطو على زوجة أحد ضباطه أثناء غيابه، ثم يتآمر على حياته ليخلو له الجو فيتزوج المرأة الجميلة التي زنا بها.

---

(١) خرو/ ٣: ٢١ - ٢٢. (٢) خرو/ ١٢: ٣٥ - ٣٦.
(٣) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم/ محمد عزة دروزة/ ١/ ٧٨ - ٧٩.
(٤) خرو/ ٣٢: ١ - ٦.

وتفشت هٰذه العادة عند ملوكهم وأبناء ملوكهم فطبقها أبشالوم بن داود على نطاق واسع، وأبشالوم هٰذا ورث الدعارة عن أبيه داود التوراة، وليس داود بالذي يجله القرآن الكريم ويحقره اليهود، فالأحداث التي روتها التوراة: إن لأبشالوم بن داود شقيقة اسمها ثامار وقد أحبّها وتتيم بها أخ لها من أبيها اسمه أمنون، وحدث أن أمنون مرض وطلب من أبيه أن تحضُر أخته لتعد له طعاماً وتطعمه ولما حضرت أخته أخلى المكان وزنا بها على الرغم منها، وخرجت ثامار صارخة باكية ولما عرف أبشالوم شقيقها هٰذا الأمر وبرَّ في نفسه مكيدة لينتقم من أمنون فدعاه هو وأخوته إلى الطعام، وأوصى عبيده أن يثقلوا الطعام والشراب لأمنون حتى يسكر ثم يقتلوه[١].

أما في عهد سليمان فاتجه إلى الملاذ والترف أكثر من اتجاهه إلى خدمة الدين والمبادئ حسب ما روته التوراة وأنه أثقل كاهل الشعب بالضرائب، ليقوم بنفقات شهواته في جمع السراري، وإن كان المؤرخون ينقصون زوجاته السبعمائة إلى ستين وسراريه الثلاثمائة إلى ثمانين، وقد فرض سليمان الأتاوات على جميع القوافل المارة بفلسطين كما فرض جزية الرؤوس على جميع رعاياه، وأعاد للدولة احتكارها القديم لبعض صنوف التجارة[٢].

وتنسب التوراة انحرافات دينية لسليمان ولنقتبس بعض العبارات عن ذٰلك (وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدوئيات وحيثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهٰؤلاء بالمحبة وكان له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان في شيخوخة سليمان.

إن نساءَه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملًا مع الرب الإلٰه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتورث آلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العموبنيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب، ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه، حينئذ بنى سليمان مرتفعاً لكموش رجس المؤابين على الجبل المواجه لأورشليم، وكذٰلك مرتفعاً لمولك رجس بني عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات

---

(١) صموئيل الثاني/ ١٣.

(٢) قصة الحضارة/ ول ديورانت/ ٢: ٣٣٣.

اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الرب على سليمان، لأن قلبه مال عن الرب إلٰه إسرائيل الذي تراءى له مرتين، وأوصاه في هٰذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظوا ما أوصى به الرب»[١].

وإن أقامة سليمان هيكل أورشليم ورؤياه لربه ومحادثته له في مستهل حكمه، لم تحل دون ابتداعه في أواخر أيامه جزءاً من العبث بالأمور الدينية أكثر من الزواج، وأخذ يرفه عن زوجاته الكثيرات بتقديم الضحايا لآلهتهن القومية، فهو يقدم القربان لربه صيدا (عشتورت) ولرب مؤاب (شموش) وغيرهما. والواقع أن وصف التوراة لسليمان يصوره لنا ملكاً متقلباً كغيره من الملوك، وأخذت عنايته بالدين تقل على مر الأيام كما أخذ يتردّد على حريمه أكثر ممَّا يتردد على الهيكل ولشدَّ ما يلومه كتاب التوراة على شهامته، إذ أقام مذابح للآلهة الخارجية التي كانت تعبدها زوجاته الأجنبيات، وهكذا تجد الإساءة واضحة في أسفار العهد القديم إلى الأنبياء والرسل وزوجاتهم وأبنائهم وبناتهم لذٰلك نقرأ أثر التناقض في التوراة في عكس الحقائق والصفات التي كان يتحلى بها الأنبياء والرسل وجعلهم أناساً يميلون إلى إشباع الشهوات والرغبات دون وازع أو رادع وكأنهم ليسوا بأنبياء أو رسل. هٰذا هو ديدان اليهود في كل شيء، إنهم يطمسون الحقائق بزيفهم المفضوح في توراتهم المحرَّفة.

❋❋❋

(١) الملوك الأول: ١١/ ١ - ١٠.

المطلب الرابع
أثر التناقض في فساد أخلاقهم

أولاً: علاقتهم مع الآخرين:

(١) طبائعهم الغليظة ونبذ الشعوب لهم.

لقد عرفت الأمم والشعوب أخلاق اليهود بعد أن ذاقوا منهم المر والحنظل فأرادوا أن يخلصوا البشرية من شرورهم وأن يجتثوا جرثومة اليهود من الأرض التي عاث اليهود فيها نهباً وسلباً وقتلًا وهتكاً وكذباً ونفاقاً ولذٰلك عاقبتهم الأمم على أفعالهم السيئة هٰذه ودمرتهم تدميراً كاد يؤدي بهم من قتل وسبي وجلاء، وما أفعال نبوخذنصر والرومان عنا بعيدة، كما أننا نعلم الشيء الكثير رسول الإنسانية محمد بن عبد الله من يهود المدينة حتى أضطر أن يقاتلهم وأن يجليهم عن جزيرة العرب، وفيما يلي بعض الأمثلة التي تذكر عقوبة هٰذه الشرذمة في العالم حيث اشتركت فيه مختلف الأجناس والأقوام وهي:

أ- في أوائل القرن السادسَ عشرَ للميلاد طردت بريطانيا اليهود ومنعتهم من الدخول إلى بلادها مدة استمرت ثلاثة قرون إلى أن سمح لهم (كروبيل) بالدخول إلى بريطانيا.

ب- وعرفت فرنسا اليهود وما كادوه للشعب الفرنسي حتى اضطر القديس لويس التاسع عشر أن يطردهم من بلاده وأن يحرق تلمودهم.

ت- وعرفتهم كذٰلك أسبانيا فطردتهم من بلادها وحرمت عليهم دخولها مدة طويلة من الزمان.

ث- وعرفت البرتغال حقيقة اليهود بعد أن ذاقت منهم الأمرّين حتى اضطرت إلى طردهم وإخراجهم من البلاد.

ج- وفي سنة ١٤٩٢ م أصدر الملك (فرديناند) والملكة إيزابيلا مرسوماً يقضي بطرد اليهود من البلاد، وهٰذا نصه (يلوح أن الكثير من الضرر قد يلحق المسيحيين من جراء اختلاطهم ومحادثاتهم مع اليهود الذين لا يخفون أحقادهم بالمحاولات التي يبذلونها لهدم الكاثوليكية المقدسة. ويتمادى اليهود في الهزء والسخرية بطقوسنا وعوائدنا الدينية، ونحن نأمر جميع اليهود واليهوديات على اختلاف أعمارهم أن يغادروا قبل نهاية يونيو من سنة ١٤٩٢ م هٰذه البلاد بلا رجعة وأن يصحبوا معهم أبناءهم وبناتهم وخدامهم وخادماتهم وأقاربهم كبيرهم وصغيرهم)، وقد دام هٰذا الطرد خمسة قرون كاملات.

ح- أما في أمريكا فنجد صحيفة اليهود السوداء، وإذ قال فيهم الزعيم الأمريكي الذي يتصف بجدارة وبعد نظر وثاقب الفكر حيث قال (بنيامين فرنكلين) عن اليهود ما نصه بالحرف الواحد: (هناك خطر كبير يهدد الولايات المتحدة الأمريكية، هٰذا الخطر الكبير هو اليهودية العالمية. ففي أي مكان حل فيه اليهود كانوا السبب في خنق القيم الأخلاقية وانحطاط الأمانة التجارية. فإذا لم نمنعهم من دخول أمريكا بموجب الدستور ففي أقل من مائة عام سيتدفقون إلى هٰذه البلاد بأعداد هائلة إلى درجة أنهم سيحكمون ويحطمون نظام الحكم القائم الذي بذلنا نحن الشعب الأمريكي عن رضا وضحينا بأرواحنا وممتلكاتنا وحريتنا الشخصية في سبيل إقامته. إذ لم نمنع اليهود من الإقامة في أمريكا بموجب الدستور ففي خلال مائة سنة سيكون أطفالنا يعملون كخدم في الحقول ليطعموا اليهود بينما يجلس هٰؤلاء اليهود في بيوتهم يفركون بأيديهم ويحصون ما ربحوا).

وهكذا كان، فمع أن اليهود لا يشكلون في أمريكا سوى ٤ ٪ إلَّا إن نسبة التجار منهم ٧٧٪ وهم من كبار التجار وأصحاب الملايين، بينما نجد ١٠٠٪ من العمال العاطلين هم من الأمريكيين و٩٨٪ من المزارعين هم من الأمريكيين، واليوم إذ نجد اليهود قد تبوؤوا مناصب حساسة في أمريكا وهم الذين يديرون سياسة أمريكا في الداخل والخارج، وكذٰلك نلاحظ الموقف الأمريكي منحازاً إلى اليهود سواء في أمريكا أو في غيرها.

حيث تجد إسرائيل دعماً كبيراً من قبل أمريكا سواء كان مادياً أو معنوياً وخصوصاً في المحافل الدولية حين يصدر قرار بإدانة إسرائيل على أفعالها في فلسطين فإنها تعلن معارضتها لأي قرار يصدر من الأمم المتحدة.

خ- وقد تعرض اليهود في ألمانيا لقسوة شديدة ما بين حربي **١٩١٤ - ١٩٣٩**م، ونحن نقول إن ما لاقاه اليهود جزاءً وفاقاً لأعمالهم الشريرة لأنهم هم السبب الأول لخسارة ألمانيا الحرب في هاتين الحربين التي استنزفت دماء الملايين من الألمان وأودت بمدن مأهولة بأهلها وعرضت خزينة ألمانيا إلى خسارة لا تعوض.

هٰذه الأمور وكثير غيرها هي التي جعلت هتلر زعيم ألمانيا يضيق بهم ذرعاً ويكيل لهم الصاع صاعين.

ثانياً: الزنا والربا

عاش اليهود طوال حياتهم بؤرة فساد ومنكر وفحشاء ينشرون الرذيلة في العالم ويحاربون الفضيلة في كل مكان، تنفيذاً لما ورد في توراتهم وتلمودهم من دعوةٍ سافرة إلى الفسوق والفجور والدعارة، فقد كان اليهود وما زالوا مصدراً للمنكر والفحشاء وإنهم أصحاب بيوت الدعارة في العالم وناشرو الانحلال الجنسي في كل مكان.

وأنهم يسخّرون المال الذي سرقوه من دماء الشعوب في إشاعة الرذيلة من أجل تحطيم القيم الخلقية عند الناس كافة وإنهم أعداء الدّاء لكل ما له صلة بالشرف الإنساني، وأنهم يحتقرون البشر ويستحلون سرقة مال غير اليهود وتدنيس أعراضهم وتلويث شرفهم وامتصاص دمائهم.

واليهود في خطتهم هٰذه لا يخسرون شيئاً لأنهم لا شرف عندهم ولا كرامة ولا ضمير[١].

واعتمد اليهود على بيع أعراضهم لكسب المال واسترجاعه ليكون في حوزة إسرائيل ويتم ذٰلك بأن يصدّروا فتيات إسرائيل إلى مواخير جميع العالم في أوربا وأمريكا، ويصدروا كذٰلك أعداداً كبيرة من الفتيات إلى أسواق الرقيق الأبيض في العالم وإلى الملاهي والنوادي الليلية تحت إشراف جمعيات يهودية منظمة.

---

(١) جذور البلاء/ عبد الله التل/ ١٠٨.

وبالإضافة إلى المال الذي يجنيه اليهود من بيع فتياتهم للزوار الأجانب فإنهم يستخدمون الجنس للحصول على أسرار ومعلومات من الزبائن الكبار الذين يحضرون إلى إسرائيل بدعوة من حكومتها وتشرف وزارة الخارجية الإسرائيلية على عملية تقديم المتعة للضيوف الأجانب وخاصة وفود الدول الأفريقية التي تخدعها حكومة اليهود وتوجه إليها الدعوات الكثيرة فالعلاقات الجنسية في إسرائيل تتم بلا روابط من زواج أو طلاق، وفي المستعمرات اليهودية يتناسلون على الطريقة البدائية، والدولة تسلخ الأطفال عن أمهاتهم لتقتل في نفوسهم العاطفة فيشبوا قساةً مجرمين، والفتيات يسرن في الشوارع بالملابس الفاضحة، ويبلغ الانحلال الخلقي أشده في الفنادق التي يؤمها السياح الأجانب.

وعلى الحدود التي تفصل الدولة اليهودية عن البلاد العربية تطوف دوريات من المجندات في الاختلاط برجالها وجنود قوات الطوارئ الدولية[١].

ويرى اليهود أن ممارستهم للدعارة والفجور ليست جديدة عليهم وأن غريزة الفسق والفجور أصيلة عندهم راسخة في عروقهم وأصولهم ولا يرون في تطبيقها أي حرج ولا ملامة.

وأما الربا: فقد لجأ اليهود من أجل سرقة مال غير اليهود إلى وسيلة دنيئة غدت وقفاً عليهم ورمزاً على جشعهم فبرعوا فيها وأتقنوا فنها ونجحوا في تخريب الحكومات والشعوب والأسر نتيجة ممارستها الربا، وحين جاء الإسلام حاربهم في أعز ما لديهم في الحياة حاربهم في جشعهم وحبهم للابتزاز مال الغير، وحاربهم في الركن الأساسي الذي تقوم عليه أنظمة حياتهم الاقتصادية المبنية على استغلال جهد غير اليهود في سبيل تأمين حياة رغده لليهود وحارب الإسلام الربا عدو الإنسانية والسيف البتار الذي يقطع به اليهود النظام الاجتماعي من البشر كافة[٢].

وهٰذا تلمودهم أيضاً يوصي بالربا إذ يقول: غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلَّا بالربا، وكذٰلك يقول مسموح غش الأممي وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش[٣].

---

(١) المصدر نفسه/ ١٧٤.
(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه/ ١٨.
(٣) الكنز المرصود/ ٧٦.

ثانياً: علاقاتهم مع أنفسهم.

إن اليهود حاولوا عبر العصور أن يعيشوا في عزلة تامة عن الناس، ففي كل بلد لليهود حارة خاصة بهم، وفي كل بلد لليهود سوق خاص بهم، وفي كل بلد لليهود صناعات وأشغال خاصة بهم، وهٰذا ما جعلهم أن تكون أخلاقهم تتناسب وتتناقل بالوراثة من جيل إلى جيل كما تتناقل أشكالهم الجسمية وسماتهم الظاهرية من جيل إلى جيل، والعجيب أن اليهودي مهما حاول أن يبعد عنه هٰذه الصفات فإنها تغلبه أخيراً وقديماً قيل: (الطبع يغلب التطبع)[(١)].

وهنا فتح الحاخامون القفل الذي كان موصداً والباب الذي كان مقفلًا، فأباحوا لليهود كل محرم وحللوا لهم كل ممنوع وليس ذٰلك فقط بل أطلقوا أيديهم يفعلون ما يشاءون من المعاصي ويستبيحون ما يشتهون من الشهوات واضعين لهم قاعدة: (الغاية تبرر الواسطة).

فكانت وصايا اليهود كما جاءت في التلمود على الشكل التالي:

١. لا تقتل: يعني يهودياً.

٢. لا تسرق: يعني يهودياً.

٣. لا تزن: يعني يهودية.

٤. لا تشهد بالزور: يعني على يهودي.

٥. وجاء في التلمود قوله: (إن مثل اليهود كمثل سيدة في منزلها يستحضر لها زوجها النقود تأخذها بدون أن تشترك معه في الشغل والتعب)[(٢)].

وقاموس اليهود خلو من كلمات الغش والسرقة والكذب والزور والربا والخداع والنفاق والمكر إذ كلها جائزة عند اليهودي ما دام هو يتعامل بها مع غير اليهودي.

ولليهودي وصية خاصة به مقتبسة من كتبه الدينية يطلق عليها الوصية الجامعة وهٰذه هي:

---

(١) حقيقة يهود/ خير الله طلفاح/ ٧/ ٢١٨. (٢) الكنز المرصود/ نصر الله/ ٧٤.

أ- اهدم كل قائم.

ب - لوث كل طاهر.

ت - احرق كل أخضر.

ث - اقتل كل إنسان من غير اليهود كي تنفع بذلك يهودياً ولو بفلس واحد.

ج - اقتلوا جميع من في المدن من رجل وامرأة وطفل وشيخ وبقر وغنم وحمير بحد السيف.

ح - اقتل أفضل من قدرت عليه من غير اليهود.

د- العن رؤساء الأديان عدا اليهود ثلاث مرات باليوم.

ولليهود كما علمتهم كتبهم الدينية دعاء خاص ينفردون به يدعون ربهم بهذا الدعاء نلخصه فيما يلي: في بدء كل عام جديد يقول اليهود يا إله يهودا كما أعنتني على إلحاق الأذى بالحيوانات الناطقة (الكوييم) في العام الماضي أكمل علي نعمتك والحق بيدي الأذى بتلك الحيوانات في العام الآتي).

حقاً إن الشعب اليهودي متميز عن العالم كله ولكن بماذا؟ أنه يتميز بالهمجية والوحشية والرعاعية وكل صفة تخرج الإنسان من إنسانيته وتحط به إلى مرتبة الحيوان.

ويعتقد اليهود إنهم متميزون عن بقية البشر فهم متميزون بأرواحهم عن بقية الأرواح لأن أرواحهم كما يدعون جزء من روح الله، لأن الابن جزء من والده!!

ويدّعون أيضاً أن أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لبقية أرواح المخلوقات الأخرى، لأن أرواح غير اليهود ينظر اليهود هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات ولا يدخل الجنة بزعمهم إلّا اليهود، أما الجحيم فهي مأوى الكافرين والكافرون بنظر اليهود هم جميع خلق الله عدا اليهود[(١)].

وتتدرج التوراة في غرس حب الانعزال والتعصب من أيام إبراهيم عليه السلام إلى

---

(١) حقيقة يهود/ طلفاح/ ٧/ ٢١٣.

آخر سطر فيها، حيث يوصي إبراهيم بعدم الزواج من بنات الكنعانيين، وكذلك فعل إسحاق بابنه يعقوب (فدعا إسحاق يعقوب وباركه وأوصاه وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان)[١]، ثم تأتي أوامر يهوه إلى نبيه موسى (احفظ ما أنا موصيك اليوم، ها أنا طارد من قدامك الآموريين والكنعانيين والحيثيين والفرزيين والحوريين واليبوسيين...)[٢].

وتوصي التوراة ألا يقطع موسى عهداً مع سكان الأرض وأن لا يأكل من ذبائحهم وألا يأخذ بناتهم زوجات لأبنائه.

❋❋❋

---

(١) تك: ٢٨: ١.

(٢) خرو: ٣٤: ١١ - ١٦.

الفصل الثالث
المقارنة بين ما جاء في التوراة والقرآن الكريم

وفيه خمسة مباحث وهي:

- المبحث الأول: خلق السماوات والأرض، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: رواية الخلق في التوراة.

- المطلب الثاني: رواية الخلق في القرآن الكريم.

- المبحث الثاني: قصص الأنبياء.

- المبحث الثالث: أنبياء في القرآن الكريم لا وجود لذكرهم صراحة في التوراة.

- المبحث الرابع: أنبياء في التوراة لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم.

- المبحث الخامس: نبوة محمد (ﷺ) في التوراة والقرآن الكريم.

***

المبحث الأول
خلق السماوات والأرض

يختلف القرآن عن العهد القديم من حيث أنه لا يقدم رواية كاملة عن الخلق. فبدلًا عن الرواية الواحدة المستمرة - كما في التوراة - نجد في أماكن متعددة فقرات تذكر بعض جوانب رواية الخلق ولا بد تجميع هٰذه الآيات للحصول على فكرة واضحة عن الطريقة التي سبقت بها هٰذه الأحداث. وليس تناثر روايات متعددة تختص بموضوع واحد خاص بروايات الخلق في القرآن. فالقرآن يعالج بهٰذا الشكل عديداً من الموضوعات الهامة سواءً كانت ظاهرات دنيوية أو سماوية أو مسائل خاصة بالإنسان تهم رجل العلم.

إن الاختلافات بين روايات القرآن وبين روايات التوراة ليست ثانوية مطلقاً من وجهة النظر العلمية كما يعتقد البعض - حيث تكتشف في القرآن مواضيع لا تجد البحث عن معادل لها في التوراة، كما إن التوراة من ناحية أخرى تحتوي على معالجات تفصيلية لا معادل لها في القرآن.

أن التجانسات الظاهرية بين النصين معروفة جداً. فبين هٰذه التجانسات نجد في الوهلة الأولى أن ترقيم مراحل الخلق المتعاقبة هو نفسه في النصين فأيام الخلق الستة في التوراة تعادل الأيام الستة في القرآن، ولٰكن المشكلة في الواقع أكثر تشابكاً وتستحق وقفه عندها. تذكر رواية التوراة، ودون أي غموض، تمام الخلق في ستة أيام يتبعها يوم راحة يوم السبت، وذٰلك بالتجانس مع أيام الأسبوع وقد ظهر نتيجة الاستقرار أن مفهوم الراحة يوم السبت قد أدخل إلى الفكر اليهودي من قبل كهنة القرن السادس قبل الميلاد التي تحث على ممارسة سبت الراحة[1].

---

(١) ينظر: علاء الدين شمس الدين المدرس/ الظاهرة القرآنية والعلم/ ص١٠٠/ مطبعة العاني/ بغداد (ط١)/ ١٩٨٦م/ وينظر: موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة/ ص٣٤/ ترجمة نخبة من =

فعلى كل يهودي يستريح يوم السبت كما فعل الرب بعد أن عمل طيلة أيام الأسبوع الستة. إن كلمة (يوم) كما يفهم من التوراة تعرف المسافة الزمنية بين إشراقين متواليين للشمس أو غروبين وذٰلك بالنسبة لسكان الأرض.

ولبيان المقارنة العلمية سنقسم هٰذا المبحث على مطلبين:

- **المطلب الأول: رواية الخلق في التوراة.**
- **المطلب الثاني: رواية الخلق في القرآن الكريم.**

***

= الدعاة/ دار الكندي للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت - لبنان/ ط١/ ١٩٧٨م.

المطلب الأول
رواية الخلق في التوراة

ليكن نور فكان نور، ورأى الله أن النور حسن. وفصل بين النور والظلمات. ودعا الله النور نهاراً والظلمات ليلًا، وكان مساء وكان صباح اليوم الأول. ليكن جلد في وسط المياه التي تحت الجلد والمياه فوق الجلد ودعا الله الجلد سماء، وكان مساء وكان صباح: اليوم الثاني - لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان في كتلة واحدة ولتظهر اليابسة وكنا كذلك. ودعا الله اليابسة أرضاً ومجتمع المياه دعاه (بحاراً) ورأى الله ذلك أنه أحسن. وقال الله: لتنبت الأرض خضرة عشباً يحمل بزراً كجنسه، وشجراً يعطي ثمراً من جنسه وبزراً. ورأى الله أنه أحسن وكان مساء وكان صباح: اليوم الثالث وقال الله: لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون علامات للأعياد كما للأيام والسنين ولتكن أنوار في جلد السماء لتضيء الأرض وكان كذلك وعمل الله المنيرين العظيمين - المنبر الأكبر لحكم النهار والمنير الأصغر لحكم الليل والنجوم.

وجعلها الله في جلد السماء لتغير على الأرض ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة ورأى الله ذلك أنه أحسن. وكان مساء وكان صباح. اليوم الرابع: وقال الله: ولتعج الأرض بعجيج الكائنات الحية ولتطر الطيور فوق الأرض[1]. وعلى وجه جلد السماء، وكان كذلك، وخلق الله كبار ثعابين البحر وكل الكائنات الحية التي تنزلق وتعج في البحار، كل بحسب جنسه وكل ذي جناح بحسب جنسه، ورأى الله ذلك أنه حسن وباركها الله قائلًا:أثمري وأكثري واملئي البحار ولتتكاثر الطيور على الأرض. وكان ليل وكان نهار: اليوم الخامس قال الله: لتخرج الأرض الكائنات الحية كجنسها بهائم وبايات ووحوش كجنسها. وكان

---

(١) ينظر: المصدرين السابقين/ ص١٠١، ص٣٤، ٣٥.

كذٰلك ... وقال الله لنعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ويتسلطوا على سمك البحر وعلى طيور السماء وعلى البهائم وعلى كل الوحوش والدبابات التي تزحف على الأرض. فخلق الله الإنسان على صورته، ذكراً وأنثى وباركها الله وقال لهما: أثمرا وأكثرا وأملا الأرض. وأمضاها وتسلطاً على البحار وطيور السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض ... وكان كذٰلك ورأى الله كل ما علمه فإذا هو حسن وكان مساء وكان صباح: اليوم السادس. فأكملت السماوات والأرض بكل حينها فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي هو عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأن فيه استراح من جميع عمله للخلق، هٰذه مبادئ السماوات والأرض حيث خلقت [١].

وواضح أن هٰذه (الراحة) التي نفترض الله قد أخذها بعد عمل ستة أيام هي أسطورة ولٰكن لها تعليل إذا لا يجب نسيان أن رواية الخلق المدروسة هنا تأتي من النص الكهنوني الذي كتبه الكهنة وهم الوارثون الروحيون لحزقيال بني النفي ببابل في القرن السادس قبل الميلاد [٢]. ومعروف أن الكهنة قد أعادوا روايتي الخلق اليهودية والألوهية وأعادوا صياغتهما على مشيئتهم وحسب اهتماماتهم الخاصة التي كتب الأب ديفو عنها قائلًا أن طابعها (التشريعي) كان جوهرياً. إن إدراج مراحل الخلق المتعاقبة في إطار أسبوع هٰذا الإدراج الذي أراده الكاتب الكهنوني بهدف الحث على الطاعة الدينية لا يقبل الدفاع من وجهة النظر العلمية وهكذا إذ يبدو رواية التوراة للخلق كبناء خيالي مبتكر كان يهدف إلى شيء أخر غير التعريف بالحقيقة. إن اليوم وفق التعريف العلمي يرتبط وظيفياً بدوران الأرض حول نفسها. وواضح تماماً أن من المستحيل منطقياً أن نتحدث عن (الأيام) بهٰذا المعنى الذي تحدد على حين أن العملية المركبة التي ستؤدي إلى ظهورها أي وجود الأرض ودورانها حول الشمس لم تكن قد أنشأت بعد عند أولى مراحل الخلق وذٰلك بحسب رواية التوراة [٣].

---

(١) العهد القديم - سفر التكوين.

(٢) الظاهرة القرآنية والعلم، علاء الدين شمس الدين/ ١٠٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه. دراسة الكتب المقدسة/ موريس بوكاي/ ٣٤ - ٤٠.

المطلب الثاني
رواية الخلق في القرآن الكريم

أما إذا رجعنا إلى آيات القرآن حول الموضوع فأننا نقرأ منها التجانس مع ما تعلمنا التوراة به. إن القرآن يقول هو أيضاً بامتداد عملية الخلق على مدة ستة أيام ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (١). ترى ماذا يقصد القرآن بكلمة يوم، هل هناك ما يشير إلى أن يذهب مذهب التوراة في توضيح اليوم المتكون من الليل والنهار أم أنه يريد - وحسب دلالات اللغة العربية وما ورد في القرآن من آيات توضح المعنى - أنها مراحل، أو عصور زمنية.

الواقع ودون نقص لأي طريقة في الرؤيا والتفسير يمكن أن نرى المشكلة عن قرب أكثر، وأن نفحص المعاني الممكنة في القرآن نفسه في لغة العصر عامة لتلك الكلمة (يوم) (٢) أن الكلمة مفردة تنحو الدلالة على النهار أكثر منها للدلالة على فكرة زمنية بين غروب الشمس وغروبها في اليوم التالي. أما إذا جمعت فلا تعني فقط أيام أي وحدات تتكون كل منها من أربع وعشرين ساعة، بل تعني أيضاً دهراً طويلًا أو فترة من الزمن غير محددة وإن طالت. ومن ناحية أخرى فمعنى (فترة زمنية) الذي يمكن للكلمة أن تدل عليه موجود أيضاً في القرآن: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝﴾ (٣). ومما هو جدير بالملاحظة أن الآية السابقة على الآية ﴿٥﴾ تذكر بالتحديد الخلق في ستة (أيام) (٤)، وإليك آية أخرى تعطي معنى الفكرة الزمنية على اليوم: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝﴾ (٥).

وكون أن كلمة يوم كان يمكن أن تدل على فترة زمنية تختلف تماماً عن تلك

(١) سورة الأعراف/ الآية (٥٤).
(٢) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ ج٢/ ١٩٣.
(٣) سورة السجدة/ الآية (٥).
(٤) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ ج٢/ ١٩٣.
(٥) سورة المعراج/ الآية (٤).

التي تعطيها لمعنى (اليوم)[1] قد بهر كثيراً من المفسرين القدامى الذين لا يملكون بالطبع معارف واسعة من تلك التي نملكها اليوم عن مدة مراحل تكون الكون، فبهٰذا الشكل في القرن السادس عشر ميلادي، ظن أبو السعود الذي لم يكن يملك معرفة عن اليوم كما يحدده علم الفلك بالاستناد إلى دورة الأرض.

إن من واجب تصور تقسيم (مراحل) ليس إلى أيام بالمعنى الذي تفهم عادة بل إلى (نوبات) والمفسرون المحدثون حالياً يفسرون الأيام التي تذكر في مراحل الخلق بمعنى (فترات طويلة) أو (عصور).

فمن حقنا إذن أن نقبل، فيما يتعلق بخلق العالم، بقول القرآن ضمناً بفترات زمنية طويلة رقمها بالعدد (٦)، ولا شك أن العلم الحديث لم يسمح للناس بتقرير أن عدد المراحل المختلفة للعمليات المعقدة التي أدت إلى تشكيل العالم هو ستة مراحل ولٰكنه قد أثبت بشكل قاطع أنها فترات زمنية طويلة جداً، تتضاءل إلى جانبها الأيام كما نفهمه وتصبح شيئاً تافهاً.

إن واحدة من أطول فترات القرآن التي تتناول الخلق تذكر ذٰلك، واصفة جنباً إلى جنب رواية خاصة بأحداث دنيوية وأخرى سماوية[2].

يقول الله تعالى لنبيه (ﷺ) في كتابه الكريم:

﴿قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذٰلك رب العالمين وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾[3].

هٰذه الآيات الأربعة من سورة فصلت دلت دلالة واضحة عن خضوع السماوات والأرض للأوامر الإلٰهية بعد تشكلها، والواقع أن هٰذا النص الذي يدعو

---

(١) ينظر: الظاهرة القرآنية/ علاء الدين المدرس/ ١٠٣.
(٢) ينظر: الظاهرة القرآنية/ علاء الدين شمس المدرس/ ١٠٤.
(٣) سورة فصلت/ الآيات (٩ - ١٢).

الإنسان لتأمل القدرة الإلٰهية ابتداءً من الأرض وحتى يكمل تأوله الخاص بالسماوات، يقدم جزأين معطوفين بكلمة (ثم) التي تعني (زيادة على ذٰلك) وأن عنت أيضاً (من بعد) كما قد تعني (فضلًا عن ذٰلك) والمعنى المقصود هنا مجرد الإشارة إلى أحداث مرتبة جنباً إلى جنب دون فيه إدخال معنى التوالي على هٰذه الأحداث حيث تستطيع فترات خلق السماء أن تكون مصاحبة تماماً لفترتي خلق الأرض. وسندرس فيما بعد كيف أن هٰذه العملية تنطبق معاً على السماوات والأرض بالاتفاق مع مفاهيم الحديثة. عندئذ يمكن إدراك الشرعية الكاملة لهٰذه الطريقة في تصور معية الأحداث المذكورة هنا.

ولا يبدو أن هناك تعارضاً بين الفقرة المذكورة هنا والمفهوم النابع من نصوص أخرى للقرآن تخص تشكيل الكون في ست مراحل أو فترات.

القرآن لا يحدد ترتيباً في خلق السماوات والأرض في الآيات التي ذكرت قبل قليل من سورتي الأعراف وفصلت تشير إحداهما إلى خلق السماوات والأرض (الأعراف - ٥٤) والأخرى إلى خلق الأرض والسماوات (فصلت ٩ - ١٢) لا يبدو أذن أن القرآن يحدد ترتيباً في خلق السماوات والأرض.

هناك عدد قليل من الآيات تشير إلى الأرض أولًا. كما هو الحال في سورة البقرة - ٢٩، وسورة طه - ٤. التي تشير إلى (فمن خلق الأرض والسماوات) وعلى العكس من ذٰلك يوجد عدد أكبر من الآيات يشار فيها إلى السماوات قبل الأرض (الأعراف - ٥٤، يونس - ٣، هود - ٧ الفرقان - ٥٩، السجدة - ٤، ق - ٣٨، الحديد - ٤، النازعات - ٢٧ - ٣٣، الشمس - ٥ - ١٠) الحقيقة باستثناء سورة النازعات ليس في القرآن أي آية تحدد بشكل قاطع أي ترتيب: فحرف العطف (و) هو الذي يربط طرفي الجملة: أو كلمة (ثم) التي رأيناها في الآية المذكورة سابقاً والتي قد تشير إلى التوالي أو إلى مجرد وضع عنصر بجانب أخر ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [1].

إن وصف نعم الله الدنيوية على الناس ذٰلك الذي يعبر عنه القرآن في لغةٍ

(١) سورة النازعات/ الآية (٢٧ - ٣٣).

تناسب مزارعاً أو بدوياً في شبه الجزيرة العربية مسبوق بدعوة للتأمل في خلق السماء، ولٰكن المرحلة التي مد فيها الله الأرض وأخصبها تأتي بالتحديد زمنياً بعد إنجاز عملية توالي الليل والنهار، المذكور هنا أذن هو مجموعتان من الظاهرات جزء منها أرضي والآخر سماوي وقد حدث كلاهما في اتصال مع الآخر وبالتالي فذكر هاتين المجموعتين من الظاهرات يعني أن الأرض كانت بالضرورة موجودة قبل أن تمد(١).

وعليه فقد كانت موجودة حين بنى الله السماوات وينتج من هٰذا فكرة المصاحبة الزمنية لنمو كل من السماوات والأرض بشكل تتداخل فيها الظاهرتان وبناءًا عليه فلا يجب أن ترى أي دلالة خاصة في إشارة النص القرآني خلق الأرض قبل السماوات أو خلق السماوات قبل الأرض: فمواضيع الكلمات لا تبين وجود ترتيب تحقق الخلق في إطاره إلَّا أن تكون تفصيلات أخرى معطاة).

مما تقدم نستنتج ما يلي:

أ) الدعوة بوجود كتلة غازية ذات جزيئات، فكذٰلك يجب تفسير كلمة (دخان) إذ يتكون الدخان عموماً من قوام غازي حيث تعلق به بشكل أكثر أو أقل ثبوتاً جزيئات دقيقة قد تنمي إلى حالات المواد الصلبة أو حتى السائلة مع درجة في الحرارة قد تقل أو تكثر.

ب) الإشارة إلى عملية الفتق للكتلة الفريدة الأولى التي كانت عناصرها في البداية ملتحمة (بقول القرآن الرتق)، ولنحدد جيداً... إن (فتق) هو فصل القطع أو فك اللحام أو الفصل وأن (رتق) وصل اللحام ووصل العناصر بهدف تكوين كل. هٰذا المفهوم في تفصيل الكل إلى أجزاء يتحدد بشكل دقيق في فقرات أخرى من القرآن. وذٰلك يذكر عوالم متعددة أن الآية الأولى من أول سورة في القرآن بعد فاتحته (بسم الله الرحمٰن الرحيم) هي (الحمد لله رب العالمين) ويتكرر تعبير (العالمين) عشرات من المرات في القرآن وكذٰلك السماوات فهي تذكر باعتبارها متعددة وليس ذٰلك فقط في صيغة الجمع. بل تذكر أيضاً مع ترقيم رمزي وذٰلك

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ ج٤/ ٤٠٩.

بالاستعانة بالرقم (٧) الرقم (٧) مستخدم (٢٤) مرة في كل القرآن لتعددات مختلفة وكثيراً ما يعني التعدد دون أن تعرف بشكل محدد سبب هٰذا الاستخدام بذٰلك المعنى أن الرقم (٧) يبدو عند اليونان والرومان وكأن له المعنى نفسه للتعدد غير المحدد، وفي القرآن بعود الرقم (٧) على السماوات بمعناها الصرف سبع مرات، كما يشير الرقم مرة واحدة بشكل ضمني إلى السماوات، كما يشير مرة واحدة إلى طرق السماء السبعة[1]. ومن هٰذا قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾[5].

يلاحظ دائماً أن القمر والشمس مذكوران على أنهما منيران أما في القرآن فيشير إليهما دائماً بشكل مختلف إذ يصف الأول (بالنور) على حين يقرن الثاني في الآية بالسراج الذي ينتج الضوء ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾﴾[6]. السراج الوهاج هنا هو الشمس المثيرة [7]. وبالنسبة لكل هٰذه الآيات فإن معظم مفسّري القرآن يعتقدون أن الرقم (٧) يشير إلى تعدد دون تحديد آخر، وقد وردت نصوص أخرى في القرآن أو الحديث النبوي لاستخدام الرقم (٧) والرقم (٧٠) للتعدد غير المحدود وهو أمر معروف عند العرب[8].

والسماوات إذن متعددة وكذٰلك الكواكب المشابهة للأرض، وليس أقل ما يثير دهشةً قارئ القرآن في العصر الحديث أن يجد فيه تصريحاً بإمكان وجود كواكب أخرى تشبه الأرض في الكون وهٰذا ما لم يتحقق منه الناس بعد في عصرنا

(١) ينظر: الظاهرة القرآنية والعلم/ علاء الدين شمس الدين المدرس/ ١٠٧.
(٢) سورة البقرة/ الآية (٢٩).
(٣) سورة المؤمنين/ الآية (١٧).
(٤) سورة الملك/ الآية (٣).
(٥) سورة نوح/ الآيتان (١٥ - ١٦).
(٦) سورة النبأ/ الآيتان ١٢ - ١٣.
(٧) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ ج٤/ ٤٠٤.
(٨) الظاهرة القرآنية والعلم/ علاء الدين المدرس/ ١٠٨.

وإن كان العلماء يتوقعون بشكل مؤكد لتوفر ظروف مشابهة في بقية المجرات والعوالم في الكون ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [1]، فيمكن استنتاج أن النص القرآني يشير بوضوح لا إلى أرض البشر فقط بل هناك في الكون كواكب أخرى تشبه الأرض وهٰذا سبب أخر لأثاره دهشة قارئ القرآن في القرن الحادي والعشرين.

- تلك الآيات التي تشير إلى ثلاث مجموعات من المخلوقات وهي:

- تلك التي توجد في السماء.
- تلك التي توجد على الأرض.
- تلك التي توجد بين السماوات والأرض.

وإليكم بعض هٰذه الآيات:

قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [2].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ﴾ [3].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [4].

اللغوب وهو التعب [5]، وتبدو هٰذه المقولة التي تصرح بأن الخلق لم يتعب الله مطلقاً، تبدو كأنها رد واضع على فترة التوراة التي ذكرناها والتي تقول بأن الله قد استراح في اليوم السابع - ما شاء الله - بعد العمل الذي أنجز في الأيام التي سبقت [6].

إن الإشارة في القرآن إلى (ما بين السماوات والأرض) موجودة في الآيات التالية:

(الأنبياء/ ١٦، الدخان/ ٧ - ٣٨، النبأ/ ٣٧، الحجر/ ٨٥، الأحقاف/ ٣، الزخرف/ ٨٥). بديهي قد يبدو هٰذا الخلق خارج السماوات وخارج الأرض

(١) سورة الطلاق/ الآية ١٢.
(٢) سورة طه/ الآية ٦.
(٣) سورة الفرقان/ الآية ٥٩.
(٤) سورة ق/ الآية ٣٨.
(٥) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ ج٤/ ٢٠٢.
(٦) الظاهرة القرآنية والعلم/ علاء الدين المدرس/ ١٠٩.

والذي أشير إليه مرات عديدة، قد يبدو قليل التصور، ولٰكن لكي تفهم معاني تلك الآيات يجب الاستعانة بأحدث الملاحظات البشرية حول وجود مادة كونية (خارج المجرات) كما يجب لهٰذا السبب نفسه، أن نتناول من جديد المعارف التي أثبتها العلم المعاصر حول تشكيل الكون منتقلين في ذٰلك من الأبسط إلى الأعقد.

ونلخص النقاط الأساسية التي يعلمنا بها القرآن فيما يتعلق بالخلق وبالاستناد إلى ما سبق فهٰذه النقاط هي:

١. وجود ست مراحل للخلق عموماً.

٢. تداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض.

٣. خلق الكون ابتداءً من كومة أولية فريدة كانت تشكل كتلة متماسكة تجزأت بعد ذٰلك.

٤. تعدد السماوات وتعدد الكواكب التي تشبه الأرض.

٥. وجود خلق وسيط (بين السماوات والأرض).

ويحسن بنا في هٰذا المقام أن نعقد مقابله بين العلم الحديث والمعطيات القرآنية في الخلق:

ولنفحص الآن النقاط الجوهرية الخمس التي يعين القرآن عليها معلومات دقيقة خاصة بالخلق.

١) تغطي المراحل الست لخلق السماوات والأرض في قول القرآن تكوين الأجرام السماوية وتكوين الأرض والتطور الذي لحق بهٰذه الأخيرة مما جعلها بأقواتها قابلة لسكنى الإنسان، لقد وقعت الأحداث الخاصة بالأرض في رواية القرآن على أربع مراحل.

ترى أيجب أن نرى في هٰذه المراحل معادلًا للعصور الجيولوجية التي يصفها العلم الحديث والتي ظهر الإنسان في الرابع منها كما نعلم..؟ ليس هٰذا إلَّا مجرد فرض والله أعلم.

ولٰكن ينبغي ملاحظة أن تكوين الأجرام السماوية والأرض قد تطلب مرحلتين كما يذكر القرآن (فصلت ٩ - ١٢) ويعرفنا العلم بأننا إذا أخذنا كمثال

تكوين الشمس ونتاجها الثانوي أي الأرض نجد أن العملية قد تمت من خلال تكاثف السديم الأولى وانفصالهما وذلك بالتحديد ما يعبر عنه القرآن بشكل صريح عندما يشير إلى العملية التي أنتجت ابتداءً من (الدخان) السماوي (رتقاً ثم فتقاً) إننا نسجل هنا هذا التطابق الكامل بين المعطية القرآنية والمعطية العلمانية.

٢) أوضح العلم تشابك حدثي تكوين نجم (مثل الشمس) وتابعه أو واحد من توابعه (مثل الأرض) ألا يتضح هذا التشابك في النص القرآني مثلما رأينا..؟.

٣) إن المطابقة واضحة بين مفهوم السديم الأولى في العلم الحديث والدخان كما يذكر القرآن للدلالة على الحالة الغازية الغالية للمادة التي كونت الكون في هذه المراحل الأولى[(١)].

٤) إن تعدد السماوات الذي عبر عنه القرآن، بالرقم الرمزي (٧) والذي رأينا دلالته، تؤيده الحقائق المكتشفة عن تعدد العوالم، وذلك يفضل ملاحظات على الفلك عن نظم المجرات وعددها العظيم، وعلى العكس، فإن تعدد الكواكب التي تشبه أرضنا هو مفهوم مستخلص من النص القرآني ولكن لم يثبت العلم وجوده حتى الآن ومع ذلك فيرى المتخصصون أن هذا المفهوم معقول ويتفق مع توقع علماء الفلك.

٥) يمكن التقريب بين وجود الخلق الوسط بين (السماوات) و(الأرض) المعبر عنه في القرآن وبين اكتشاف جسور المادة توجد خارج النظم الفلكية المنظمة بناء على ذلك فإذا كانت المسائل التي تطرحها رواية القرآن لم تتلقَ تماماً حتى يومنا هذا توكيداً من المعطيات العلمية فأنه لا يوجد على أي حال أقل تعارض بين المعطيات القرآنية الخاصة بالخلق وبين المعارف الحديثة عن تكوين الكون. وذلك أمر يستحق الالتفات إليه فيما يخص القرآن على حين قد ظهر بجلاء أن نص العهد القديم، الذي تملك اليوم، قد أعطى عن هذه الأحداث معلومات غير مقبولة من وجهة النظر العلمية[(٢)]. وكيف لا تدهش لذلك خاصة إذا علمنا أن النصوص

---

(١) الظاهرة القرآنية والعلم/ علاء الدين شمس الدين المدرس/ ١١٦.

(٢) المصدر نفسه/ ١١٧. ودراسة الكتب المقدسة/ موريس بوكاي/ ١٧٢.

الأكثر تفصيلية عن رواية الخلق في التوراة قد كتبت بأقلام كهنة عصر النفي إلى بابل، وقد كان لهٰؤلاء الكهنة الأهداف التشريعية التي حددناها أعلاه فاصطنعوا لتلك الأهداف رواية تتفق ونظراتهم اللاهوتية. إن وجود هٰذا الاختلاف بين رواية التوراة والمعطيات القرآنية عن الخلق جدير بالتنويه أمام الاتهامات - التي يذكرها المستشرقون - والتي تقول بأن محمداً ﷺ قد نقل روايات التوراة. ففيما يتعلق بموضوع الخلق الذي نحن بصدده الآن. فإن الاتهام لا يتمتع بأي أساس، حيث كيف كان يمكن لإنسان، منذ أربعة عشر قرناً تقريباً، أن يصحح إلى هٰذا الحد الرواية الشائعة في ذٰلك العصر، وذٰلك باستبعاد أخطاء علمية، وبإضافة تفصيلات مهمة بمبادرته وحده بمعطيات أثبت العلم أخيراً صحتها في عصرنا! هٰذا فرض لا يمكن الدفاع عنه، إن القرآن يعطي عن الخلق رواية تختلف تماماً عن رواية التوراة، ويؤكد مصدره الرباني[1].

***

(١) المصدر السابق نفسه/ ١١٧، و١٧٣.

المبحث الثاني
قصص الأنبياء

سنبحث في صلب الموضوع المتمحور حول معالم النبوة، وكما وردت في التوراة وكما وردت في القرآن الكريم لندرك مدى التوافق، إن وجد ومدى الاختلاف والتناقض بين ما أوردته التوراة وما أورده القرآن الكريم. لقد أوردت التوراة أسماء عدد كبير من الأنبياء وكذلك أورد القرآن الكريم عدداً من الأنبياء والأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة والقرآن، هم:

(آدم، إدريس (أخنوخ)، نوح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، موسى، داود وسليمان، إلياس، وأيوب، وشعيب (يثرون). عليهم السَّلام).

أما الأنبياء الذين ورد ذكرهم في التوراة ولم يرد ذكرهم في القرآن الكريم فهم:

أشعيا، ارميا، حزقيال، دانيال، صموئيل. والأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن ولم يذكروا في التوراة صراحةً فهم:

(صالح، يونس، هود، عيسى، محمد، عليهم الصَّلاة والسَّلام). وقد أوردت التوراة أسماء نساء أدَّعين أنهن نبيات. مثل مريم أخت موسى وهارون ودبورة التي عاشت في عصر القضاة، وهناك أنبياء وردت أسماؤهم في القرآن الكريم بخلاف أسمائهم الواردة مع أن الأحداث التي مروا بها تتشابه أو تتطابق. مثل اليشع. ذو النون. وذو الكفل. أما آدم عليه السلام فقد ورد في القرآن على أنه نبي وكذلك أكدت نبوته أحاديث الرسول محمد ﷺ.

يقول تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[1]

فآدم نبي اصطفاه الله سبحانه وتعالى مثل ما أصطفى نوحاً وبقيه الأنبياء وقد

(١) آل عمران/ ٣٣.

وردت بعض الأحاديث المشيرة إلى نبوته.

وقد أورد القرآن الكريم قصة خلق آدم وفيها طلب الله سبحانه من الملائكة السجود لآدم فسجدوا إلَّا إبليس أبى واستكبر ومعنى السجود احترام ما خلق الله وليس سجود عبادة ثم يورد القرآن الكريم قصة خطأ آدم. وبيّن أن آدم لم يكن له عزم. وعلى هٰذا قيل إن آدم لم يكن من الأنبياء ذوي العزم على أية حال فإن مهمة آدم عليه السلام تبليغ عقيدة التوحيد لأولاده وأحفاده وتميزت منذ بدايتها بالاستغفار لله وطلب الهداية.

ويقول تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾[(١)].

ويقول تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[(٢)].

أما التوراة فلا تشير إلى نبوة آدم وأنه صاحب رسالة. ويقتصر حديثها على أن الرب صنعه من تراب ووضعه في جنة عدن شرقاً ثم خلق الله له حواء. ثم أغوت الحية حواء، فأكلت من الشجرة المحرمة، وأطعمت زوجها. ثم غضب الله عليهما وأهبطهما من الجنة إلى الأرض. وفي التراث التوراتي وكذٰلك التراث المسيحي، إن آدم سبب بخطيئته لعنة الله على الأرض، فقد ورد في روميه ١٢ : ٥

(يذكر الرسول بولس أنه بآدم دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت. وهكذا أجتاز الموت إلى جميع الناس).

أما أخنوخ والذي هو إدريس حسب كافه المصادر الإسلامية فإن التوراة تحدثت عنه بشكل عابر جداً فهي تقول (وعاش أخنوخ خمساً وستين سنة وولد متوشالح. وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه)[(٣)]، أما في القرآن الكريم فقد ورد ذكرنا النبي إدريس عليه السلام، وأشارت الآيات إلى نبوته.

يقول تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾[(٤)].

وقد أثنى عليه السلام ووصفه بالنبوة والصدّيقية ويقال أنه أول نبيّ أعطي النبوة بعد آدم عليه السلام ولم تتضح رسالته وقومه. وإنما الإشارة تقتصر على نبوته. وأن إدريس هو

---

(١) سورة البقرة/ ٣٧.

(٢) سورة الأعراف/ ٢٣.

(٣) تك: ٥: ٢١ - ٢٤.

(٤) سورة مريم/ الآيتان ٥٦ - ٥٧.

جد نوح عليهما السَّلام، وقيل هو أول من أعطي النبوة من ولد آدم وبعث بالجهاد[١].

أما نوح عليه السلام ففي التوراة تفصيل توراتي عنه وقد ذكر في القرآن الكريم في سور عديدة. ويتضح منهج دعوته وطبيعة قومه وقصة بنائه السفينة ثم الطوفان، تشير التوراة إلى صلاح نوح تارة وفساده تارة أخرى، فتقول (كان نوح رجلًا باراً كاملًا في أجياله، وسار نوح مع الله)، وتشير التوراة إلى أن الله تحدث لنوح عن فساد الأرض والبشر: (فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم)[٢].

وهٰذه الإشارة تبين أن صلة ما كانت موجودة بين الله وبين نوح وهٰذه الصلة كما نعرف لا تقوم إلَّا عن طريق الوحي بين الله سبحانه وبين نبي أن التوراة لم تشر إلى نوح على أنه نبي باللفظ أنما الواضح أنها تكنى عن النبوة بقولها - سار مع الله - وتقول التوراة (وبنى نوحاً مذبحاً للرب)[٣]. ثم تقول:

(وبارك الله نوحاً ونبيه)[٤]. وقد جاء في سفر التكوين الإصحاح التاسع بعض التشريعات التي فرضها الله على نوح.

تقول التوراة: (غير أن لحماً بحياته دمه ولا تأكلوه. وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط من يد كل حيوان أطلبه ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان من يد الإنسان أخيه، سيسفك دم الإنسان بالإنسان يُسفك دمهُ)[٥].

وتقول: (وها أنا مقيمٌ ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم. ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم)[٦]، وقد أشارت التوراة إلى أن نوحاً قد سكر وتعرى داخل خبائه.

(أستيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته)[٧]. والفقرات التوراتية التي أشارت لتعري نوح وشربه الخمر

---

(١) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٥٩. والبداية والنهاية/ ج١/ ٩٩. ودائرة معارف القرن العشرين/ محمد فريد وجدي/ ١/ ١١٩.

(٢) تك: ٦: ١٣.
(٣) تك: ٨: ٢٠.

(٤) القرآن والتوراة/ حسن باش/ دار قتيبة للطباعة والنشر/ بيروت (ط١) ٢٠٠٠ م/ ج٢/ ١٣٦.

(٥) تك: ٩: ١.
(٦) تك: ٩: ٤ - ٧.

(٧) تك: ٩: ٩ - ١٠.

ولعنته لكنعان ملفقة عليه وهي من صنع كتبه التوراة [١]، وقد ورد الحديث عن النبي نوح عليه السلام في القرآن الكريم في عدد من السور، فقد ورد الحديث عنه في سورة يونس وفي سورة هود. وفي سورة المؤمنون. وفي سورة الشعراء. وفي سورة العنكبوت. وفي سورة الصافات. وفي سورة القمر وردت سورة كاملة باسم سورة نوح. وورد الحديث عنه في سورة النساء. وسورة الأنعام. وسورة التوبة وسورة إبراهيم وسورة الإسراء. وسورة الأحزاب. وسورة غافر. وسورة الشورى. وسورة ق. وسورة الذاريات. وفي سورة النجم. وفي سورة الحديد. وفي سورة التحريم، والآيات التي أشارت إلى نبوته كثيرة.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾[٢].

ويقول تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[٣].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾[٤].

ويقول تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾[٥].

فالآيات تشير إلى نبوة نوح ورسالته. وتشير إلى الوحي الذي كان واسطة الرسالة إليه[٦].

ويعتبر إبراهيم من أكثر الأنبياء الذين تحدثت عنهم التوراة، وتحدث عنهم القرآن الكريم، وفي الاتفاق بين التوراة والقرآن فأن النبي إبراهيم هو أب لإسماعيل وإسحاق، وإسحاق أنجب يعقوب ويعقوب أنجب الأسباط، ويوسف عليهم السَّلام. وقد ورد ذكر النبي إبراهيم عليه السلام في خمسة وعشرين سورة هي:

(البقرة، وآل عمران، والنساء، والأنعام، والتوبة، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحجر، والنحل، ومريم، والأنبياء، والحج، والشعراء، والعنكبوت، والأحزاب، والصافات، والشورى وصّ، والزخرف، والذاريات، والنجم، والحديد، والممتحنة، والأعلى).

---

(١) تك: ٩: ٢٤ - ٢٥.

(٢) سورة الحديد/ الآية ٢٦.

(٣) سورة النساء/ الآية ١٦٣.

(٤) سورة نوح/ الآية ١.

(٥) سورة الأعراف/ الآية ٦١.

(٦) البداية والنهاية/ ابن كثير/ ج١/ ١٠٠.

وتتضح فيها نبوته، ورسالته، ودعوته لديانة التوحيد، ومنهجه في هٰذه الدعوة أما في التوراة فإن الحديث عن النبي إبراهيم يظهر مع بداية الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين. حيث تورد قولها المتكرر وقال الرب الإبرام... تقول التوراة في سفر التكوين:

(وقال الرب لإبرام أذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك)(١).

وتقول التوراة في سفر التكوين (وقال الرب لإبرام بعد اعتزال لوط عنه) (٢).

وتقول بعد هٰذه الأمور صار كلام الرب إلى إبرام في الرؤيا قائلًا لا تخف يا إبرام أنا نرسل لك. أجرك كثيراً جداً) (٣).

وتقول: (ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملًا فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً)(٤)، وتقول: (وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي) (٥)، وتقول: (وظهر له الرب عند بلوطات ممراً وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار) (٦).

وجاء في التوراة: (ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء قال بذاتي أقسمت يقول الرب)(٧)، وجاء قبله: (فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم فقال هاأنذا)(٨).

وجاء فيها: (وشاخ إبراهيم وتقدم في الأيام وبارك الرب إبراهيم في كل شيء) (٩).

وجاء فيها (وأسلم إبراهيم روحه ومات بشيبة صالحة شيخاً وشبعان أياماً وأنضم إلى قومه) (١٠).

ونلاحظ أن لفظة النبي وكذٰلك لفظة النبوة لم تردا في التوراة. إنما الذي دل على نبوته مناداة الله له أو مناداة ملاك الرب، ومن خلال هٰذه النصوص التوراتية

---

(١) تك: ١٢ - ١.
(٢) تك: ١٣ : ١٤.
(٣) تك: ١٥ : ١.
(٤) تك: ١٧ : ١ - ٣.
(٥) تك: ١٧ : ٩.
(٦) تك: ١٨ : ١.
(٧) تك: ٢٢ : ١٥ - ١٦.
(٨) تك: ٢٢ - ١١.
(٩) تك: ٢٤ - ١.
(١٠) تك: ٢٥ : ٨.

نرى أن إبراهيم لم يكن صاحب رسالة أو صاحب دعوة أو صاحب منهج معين في الدعوة ولم تشر التوراة إلى أي رسالة سماوية تلقاها إبراهيم من ربه [١]. ولم تتضح أية تعاليم تلقاها إبراهيم من ربه وكذلك لم نرَ أي تشريعات خاصة بديانة التوحيد ومن هنا نستطيع القول أن نبوة إبراهيم حسبما جاءت معالمها في التوراة هي نبوة ناقصة فيها عنصران هامان وتفتقد إلى عدة عناصر:

(أ) عنصر الكلام بينه وبين الله والوحي.

(ب) انصياعه لأمر الله في بعض القضايا واعتراف التوراة بأخلاقه الحميدة بينما تفتقد نبوته إلى:

١) الرسالة التي من المفترض أن يكون تلقاها من ربه.
٢) الدعوة إلى عقيدة التوحيد.
٣) منهج الدعوة كما عهدنا ها عند الرسل والأنبياء.

وإذا عُدنا إلى آيات القرآن الكريم تتضح لنا معالم النبوة كاملة متكاملة والآيات نفسها تبين ذلك.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [٢].

ويقول تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [٣].

وهذا يدل صراحة بأن إبراهيم عليه السلام كان نبياً وصادقاً ودليل الرسالة التي تلقاها إبراهيم عليه السلام من ربه هو. قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [٤].

أخرج عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (قلت يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب قال: مائة كتاب وأربع كتب. أنزل على شيت خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف وعلى

(١) القرآن والتوراة أين يتفقان؟ وأين يفترقان؟/ حسن الباش/ ٢/ ١٣٧.
(٢) سورة الأنبياء/ الآية ٥١.
(٣) سورة مريم/ الآية ٤١.
(٤) سورة الأعلى/ الآيتان ١٨ - ١٩.

موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. قلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟.

قال: أمثال كلها. أيها الملك المتسلط المبتلى المغرور لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض. ولٰكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها ولو كانت من كافر. وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه ويتفكر فيما صنع، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال فإن في هٰذه الساعة عوناً لتلك الساعات واستجماعا للقلوب وتفريغاً لها. وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلًا على شأنه حافظاً للسانه، من حسب كلامه من عمله أقل الكلام إلَّا فيما يعنيه وعلى العاقل أن يكون طالباً لمعاش أو تزود لمعاد أو تلذذ في غير محرم.. قلت يا رسول الله: هل أنزل عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى. قال: يا أبا ذر نعم :﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ (١)

أما قصة إبراهيم عليه السلام فهي الدليل على رفضه عبادة الأصنام ودعوته للتوحيد ثم جداله مع من أدعى الألوهية ثم هجرته بدعوته تاركاً قومه إلى قوم آخرين ثم بنائه للبيت الحرام ودعوة الناس للحج تلبية لأمر الله ثم إقراره لأمر الله بذبح ابنه (٢). فرفضه لعبادة الأصنام ظهر في عدة مواقع من القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (٣).

ويقول تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (٤).

وقوله تعالى في نجاته: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ (٥). ومحاجّته للملك الذي أدعى الألوهية.

---

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور، السيوطي/ ج٦/ ٥٧١.

(٢) قصص الأنبياء، لأبن كثير/ ١٥٩. والبداية والنهاية/ ج١/ ١٥٧.

(٣) سورة الأنبياء/ الآية ٥٢. (٤) سورة الأنبياء/ الآية ٥٧ - ٥٨.

(٥) سورة الأنبياء/ الآية ٧١.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)﴾(١).

أما هجرته بعقيدته ففي قوله تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦)﴾(٢).

أما انصياعه لأمر ربه في ذبح ابنه ففي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥)﴾(٣).

وهٰذه الدلالات لا وجود لها في التوراة. سوى ما حرفت فيه من أن الذبيح هو النبي إسحاق عليه السلام(٤).

أما بناؤه البيت الحرام فهو دليل آخر على نبوته لأن بناء البيت يعني تأسيس عبادة للموحدين جميعهم يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)﴾(٥). ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧)﴾(٦).

وترتبط نبوة النبي إبراهيم عليه السلام بنبوة ولديه إسماعيل وإسحاق باعتبار أنهما عاشا مع النبي إبراهيم زمناً طويلاً، أما إسماعيل عليه السلام فقد ورد ذكر نبوته صراحة في القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)﴾(٧).

---

(١) سورة البقرة/ الآية ٢٥٨. (٢) سورة العنكبوت/ الآية ٢٦.
(٣) سورة الصافات/ الآية ١٠٢ - ١٠٥.
(٤) مقارنة الأديان اليهودية/ د. أحمد شلبي، قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ١٦٢.
(٥) سورة البقرة/ الآية ١٢٧ - ١٢٨. (٦) سورة الحج/ الآية ٢٦ - ٢٧.
(٧) سورة مريم/ الآية ٥٤ - ٥٥.

أما في التوراة فيرد حديث إسماعيل ليس فيه ما يدل على اعترافها بنبوته فقد ورد قولها: (وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً)[١].

وجاء في التوراة: (فسمع الله صوت الغلام. ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو قومي أحملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أُمة عظيمة)[٢]. وهٰذا الحديث الذي تكتفي به التوراة لا يشير من قريب أو بعيد إلى عقيدة إسماعيل أو نبوته أو رسالته أو أي دليل يدل على أنه نبي مرسل. أما في القرآن الكريم فقد أوضحت الآيات الكريمة الأمور التالية:

١) إسماعيل نبي بصراحة اللفظ في القرآن الكريم.

٢) يقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾[٣]. فمهمة إسماعيل إقامة الصَّلاة التي تعني رمزاً من رموز عقيدة التوحيد.

٣) اشتراك إسماعيل مع أبيه إبراهيم بإقامة قواعد البيت الحرام، وتعني إقامة البيت بناء صرح خاص لعقيدة التوحيد[٤].

وهٰذا الصرح يرتبط بركن من أركان عقيدة الإسلام وهو الحج. يقول تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾[٥].

٤) واستقرار إسماعيل في وادي مكة يعني أن مهمته متابعة الدعوة التوحيدية التي بدأها أبوه في الخليل وما جاورها.

٥) وقد صَّدق إسماعيل رؤيا أبيه وانصاع لأمره حين أمره أن يستعد للذبح.

٦) طالما أن القرآن الكريم أشار إلى صحف إبراهيم فمن الحق أن يقال: إن

---

(١) تك/ ١٧: ٢٠.

(٢) تك/ ٢١: ١٧ - ١٩.

(٣) سورة إبراهيم/ الآية ٣٧.

(٤) دائرة معارف القرن العشرين/ محمد فريد وجدي/ دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت - لبنان/ ط٣/ ١٩٧١/ المجلد الأول/ ١٠.

(٥) سورة البقرة/ الآية ١٢٧.

إسماعيل علم التشريعات التي وردت في هٰذه الصحف وطالما أشار القرآن الكريم إلى نبوته فهٰذا يعني أن رسالة التوحيد تعلمها على يد أبيه واستمر عليها.

أما إسحاق فقد ذكر القرآن الكريم نبوته صراحة وذٰلك في قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾[1].

أما في التوراة فقد وردت قصة إسحاق من مولده إلى وفاته والإشارة إلى كرامة إسحاق في التوراة واضحة دون تلفظ النبوة الخاصة به.

تقول التوراة: (وأباركها وأعطيك أيضاً منها أبناً)[2]، وتقول: (فقال إني ارجع إليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن)[3]، وتقول: (وأفتقد الرب سارة كما قال وفعل الرب لسارة كما تكلم فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابناً في شيخوخته)[4]، وتقول: (وصلى إسحاق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقراً فاستجاب له الرب فحبلت رفقة امرأته)[5]، وتقول: (وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر)[6]، وتقول: (فظهر له الرب في تلك الليلة وقال أنا إلٰه إبراهيم أبيك لا تخف لأني معك وأباركك وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عبدي)[7].

فإسحاق منحة من الله سبحانه لإبراهيم بعد أن شاخ وهرم ويبشر الله إبراهيم وزوجته بالكلام الذي ستحمل به سارة[8].

وإسحاق يصلي لله سبحانه ويدعوه أن تنجب امرأته فاستجاب الله له، وقد ظهر له الرب. أو ملاك الرب في الرؤيا بمعنى أن هناك صلة بينه وبين الله ويأتي نص التوراة صريحاً بقول الله سبحانه أنا إلٰه إبراهيم أبيك.

وكل ذٰلك يعني أن إسحاق سار على منهج التوحيد الذي كان عليه أبوه النبي إبراهيم.

---

(١) سورة الصافات/ الآية ١١٢ - ١١٣.
(٢) تك/ ١٧: ١٦.
(٣) تك/ ١٨: ١٠.
(٤) تك/ ٢١: ١ - ٢.
(٥) تك/ ٢٥: ٢١.
(٦) تك/ ٢٥: ٣.
(٧) تك/ ٢٦: ٢٤.
(٨) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ١٦٥، القران والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ٢/ ١٤٣.

١) فولادته معجزة من الله باعتبار أن أمه كانت عجوزاً حين حملت به وولدته.

٢) وقد رأى الله سبحانه بالرؤيا أو سمع كلامه، أو أُوحي له حسب قول التوراة.

٣) وقد صلّى لله وهٰذه صفة من صفات الموحدين.

أما في القرآن الكريم فيرد أن ملائكة الله سبحانه بشرته بغلام عليم[١]، ويقول تعالى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨﴾[٢]. ويقول تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ۝٧٣﴾[٣]، ويقول تعالى: ﴿قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ۝٥٥﴾[٤].

ولم يصرح القرآن الكريم برسالة ما كلف بها إسحاق، وكذٰلك لم تنص التوراة على ذٰلك وكان تركيزها على الوعد الذي زعمته بامتلاك إسحاق ونسله لأرض كنعان وهٰذا ليس له صلة بنبوة أو رسالة، وتشير التوراة إلى وفاته بقولها: (فأسلم إسحاق روحه ومات وأنضم إلى قومه شيخاً وشبعان أياماً ودفنه عيسو ويعقوب ابناه)[٥].

أما لوط عليه السلام، فهناك تناقض كبير حوله فيما ورد في التوراة وفيما ورد في القران الكريم، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢٦﴾[٦]

ويقول تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٦٠ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٦١ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ۝١٠٧﴾[٧].

ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٣٣ إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ۝١٣٤﴾[٨].

فلوط نبي مرسل وهٰذا ما صرحت به آيات القرآن الكريم، وقد أُرسل إلى قومه لأسباب كثيرة: إتيانهم الفاحشة وهي اللواط وقطع السبيل، والإتيان بالمنكر في ناديهم، وتكذيبهم للرسل.

لقد بدأت رحلة الإيمان لدى النبي لوط عليه السلام منذ أن هاجر مع إبراهيم عليه السلام

---

(١) المصدر نفسه/ ١٦٦.

(٢) سورة الذاريات/ الآية ٢٨.

(٣) سورة هود/ الآية ٧٣.

(٤) سورة الحجر/ الآية ٥٥.

(٥) تك/ ٣٥: ٢٩.

(٦) سورة العنكبوت/ الآية ٢٦.

(٧) سورة الشعراء/ الآية ١٦٠ - ١٦١.

(٨) سورة الصافات/ الآية ١٣٣ - ١٣٤.

من أور إلى الأرض التي باركها الله للعالمين. وكانت مهمته كنبي إبعاد قومه عن تكذيب الرسل والرسالات. وإبعادهم عما ينافي الأخلاق الحميدة ومن ثم نهيهم عن قطع السبيل وكانت العاقبة أن نجاه الله ودمر قومه تدمير كاملا[١].

أما التوراة فتورد أن الملاكين قد أتيا إلى سدوم (فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض)[٢]، وتقول التوراة (فقال لهما لوط لا يا سيد هُوَذا عبدك قد وجه نعمه في عينيك وعظمت لطفك الذي صنعت إلي باستبقاء نفسي)[٣]، ولٰكن التوراة لا تشير إلى الصراع بين لوط وقومه سوى ما حدث عندما جاءه الملكان وحاول قومه خلع باب بيته للوصول إلى الملكين اللذين على هيأة رجلين. ومع ذٰلك فأنها تلفق على لوط ما يتنافى وأبسط قواعد السلوك البشري[٤].

ولم تمنحه أية عصمه بشرية أخلاقية، حيث قالت أنه زنى بابنتيه بعد أن سقتاه خمراً حتى ثمل وحملتا منه، فلا علائم للنبوة ولا صفات إنسانية أخلاقية حميدة، إنما إلصاق التشويهات بشخص لا صلة بينه وبين ربه، أو عقيدة التوحيد التي تعلمها أساساً من عمه النبي إبراهيم عليهما السَّلام.

أما يعقوب فتتوسع الدائرة في الحديث عن نبوته إن كان ذٰلك في التوراة أو في القرآن الكريم.

تورد التوراة أن إسحاق بارك يعقوب ولٰكن هٰذه المباركة لم تتم إلَّا عن طريق الخدعة حيث كان إسحاق قد فقد بصره وكان يحب ابنه الأكبر عيسو ويريد مباركته ولٰكن أم يعقوب تآمرت مع ابنه ليكذب على أبيه وينال بركته، وكل ذٰلك موجود بالتفصيل في التوراة[٥].

وتقول التوراة: (ورأى حلماً وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهوذا الرب واقف عليها فقال أنا

---

(١) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ١٩٢، دائرة معارف القرن العشرين/ ج٨/ ٣٨٤.

(٢) تكوين ١٩ - ٢

(٣) تكوين ١٩ : ١٨ - ١٩.

(٤) القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ٢/ ١٤٥.

(٥) المصدر نفسه/ ٢/ ١٤٥.

الرب إلٰه إبراهيم أبيك وإلٰه إسحاق)[١]، وتقول: (وها أنا معك أحفظك حيثما تذهب وأردك إلى هٰذه الأرض لأني لا أتركك حتى أفعل ما كلمتك به)[٢]. وتقول: (وقال لي ملاك الله في الحلم يا يعقوب....)[٣]، وتقول: (وأما يعقوب فمضى في طريقه ولاقاه ملائكة الله، وقال يعقوب إذْ رآهم هٰذا جيش الله)[٤]، وتقول: (وقال يعقوب يا إلٰه أبي إبراهيم وإلٰه أبي إسحاق الرب الذي قال لي ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك فأحسن إليك)[٥]، وتقول: (ثم قال الله ليعقوب ثم أصعد إلى بيت أيل وأقم هناك وأصنع هناك مذبحاً لله الذي ظهر لك حين هربت من وجه عيسو أخيك)[٦]، وتقول: (فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم)[٧].

وتقول: (وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان آرام وباركه وقال له الله أسمك يعقوب لا يدعى أسمك فيما بعد يعقوب بل يكون أسمك إسرائيل)[٨]، وتقول: (وقال له الله أنا الله القدير أثمر وأكثر، أمة وجماعة أمم تكون منك)[٩]، وتقول: (فكلم الله إسرائيل في رؤى الليل وقال: يعقوب فقال هاأنذا فقال أنا الله إلٰه أبيك لا تخف من النزول إلى مصر)[١٠].

فمن خلال النصوص التي مرت معنا، نرى أن إسحاق النبي بارك ابنه يعقوب ثم أن الرؤيا تكررت لدى يعقوب، رأى من خلالها ملائكة الله وسمع من خلالها نداء ربه، ويرد أن الله تعهد له بحفظه وأمره عدة أوامر فنفذها يعقوب تلبية لنداء ربه، ثم إن يعقوب يدعو أهله وبنيه لعبادة الله الواحد وعدم الإيمان بالآلهة الوثنية التي اعتبرتها التوراة غريبة عن إلٰه يعقوب.

ثم إن الله سبحانه كلم يعقوب وغيّر اسمه إلى إسرائيل وهٰذه الكلمة تعني عبد الله، وجميع هٰذه المعالم هي من صفات النبوة عند يعقوب، إلّا إن التوراة لم

---

(١) تك/ ٢٨: ١٢ - ١٣.
(٢) تك/ ٢٨: ١٥.
(٣) تك/ ٣١: ١١.
(٤) تك/ ٣١: ٢.
(٥) تك/ ٣٢: ٩.
(٦) تك/ ٣٥.
(٧) تك/ ٣٥: ٢.
(٨) تك/ ٣٥: ٩ - ١٠.
(٩) تك/ ٣٥: ١١.
(١٠) تك/ ٤٦: ٢ - ٣.

تشر صراحة إلى نبوته ولا إلى رسالته ودعوته وهٰذا ما رأيناه أيضاً من التوراة حيث تحدثت عن بقية الأنبياء[١].

أما يعقوب في القرآن الكريم فتتضح معالم شخصيته النبوية بشكل آخر.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[٢].

ويقول تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾[٣].

فمن خلال الآيات السابقة ندرك أن يعقوب تلقى ديانة التوحيد عن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ثم وصّى يعقوب نفسه بنيه أن يظلوا على ديانة التوحيد فالله واحد أحد. والإيمان بوحدانيته هو إيمان متصل لا انقطاع فيه. ويقول تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[٤]. فهٰذه الآية توضح ثلاث نقاط تتعلق بنبوة يعقوب.

١) إن الله أنزل على إبراهيم وأبنائه ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى رسالة التوحيد.

٢) هٰؤلاء لهم صلة بالنبوة.

٣) عقيدتهم وعقيدة أتباع الرسول ﷺ واحدة وهي عقيدة التوحيد ويقول تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[٥].

فالواضح من الآية أن يعقوب مثل إسحاق وإبراهيم إمام في النبوة. وأوحي له

---

(١) القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ٢/ ١٤٦.
(٢) سورة البقرة/ الآية ١٣٠ - ١٣٢.
(٣) سورة البقرة/ الآية ١٣٣.
(٤) سورة البقرة/ الآية ١٣٦.
(٥) سورة الأنبياء/ الآية ٧٢ - ٧٣.

كما أُوحي للأنبياء قبله. وطبيعة الوحي أمر من الله بفعل الخيرات وإقامة الصَّلاة وإيتاء الزكاة وعبادة الله الواحد الأحد.

ويقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾[1].

فظاهرة الوحي تخص الأنبياء ويعقوب أُوحي له كما أُوحي لغيره من الأنبياء. ويضاف إلى ذٰلك أن النبي يعقوب ابتلي بتغييب ابنه يوسف من قبل إخوته وصبر على المصيبة التي حلت به وقال في معرض صبره[2]. وقال تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[4]. ويقول تعالى: ﴿يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[5].

فهٰذه الآيات تشير أيضاً إلى الإيمان الراسخ لدى النبي يعقوب عليه السلام، وهٰذا الإيمان لا يتحلى به سوى الأنبياء ومن سار على منهجهم.

والتفاصيل التي جاء على ذكرها القران الكريم لم نرها في التوراة. وعلائم النبوة التي رأيناها في آيات القران الكريم هي بمثابة الأدلة المتكاملة على نبوة متكاملة وتطالعنا نبوة النبي يوسف عليه السلام بعد النبي يعقوب عليه السلام باعتبار أن هٰذا النبي ورث عن أبيه وجده إسحاق والنبي الأسبق إبراهيم عليه السلام وقد وردت آيات كريمة تدل على نبوته. يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾[6].

ويجتبيك ربك ويصطفيك ثم يفهمك من معنى الكلام وتعبير المنام مالا

---

(١) سورة النساء/ الآية ١٦٣.

(٢) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٢٢٤، دائرة معارف القرن العشرين/ محمد فريد وجدي/ ج ١٠/ ٩٤٢ - ٩٤٣.

(٣) سورة يوسف/ من الآية ١٨.

(٤) سورة يوسف/ من الآية ٦٧.

(٥) سورة يوسف/ الآية ٨٧.

(٦) سورة يوسف/ الآية ٦.

يفهمه غيرك ويتم نعمته عليك بالوحي، ويحسن إليك بالنبوة كما أحسن بها إلى إسحاق وإبراهيم، وقد أوحى الله ليوسف في عدة مواقع[١].

يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾[٢].

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾[٣].

وإتيان الحكمة والعلم من دلائل النبوة بعد أن أكتمل يوسف وأصبح مهيئاً للنبوة وقد عصمه الله من الفحشاء عندما راودته امرأة العزيز، فهو من سلالة الأنبياء وقد حماه الله من مكر النساء.

وقد دعا يوسف صاحبيه في السجن إلى عبادة الله الواحد الأحد، وكانت دعوته لهما في هٰذا الحال في غاية الكمال.

يقول تعالى: ﴿يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[٤].

فهٰذه الدلالات إضافة لمسيرة حياة يوسف وهو يعمل عند ملك المصريين تدل بشكل واضح على نبوته، أما في التوراة فتظهر كرامات يوسف وحرصه على عقيدته وأخلاقه من خلال رفضه ما دعت إليه امرأة قائد الحرس لدى ملك المصريين ودخوله السجن، ثم مقدرته على تفسير الأحلام، ثم عفوه عن أخوته الذين أتوا إلى مصر بسبب المجاعة ليأخذوا القمح من ذويهم[٥].

لٰكن التوراة لم تشر إلى نبوة يوسف لا من قريب ولا من بعيد ولم تشر إلى دعوته إلى عقيدة التوحيد التي كلفه الله بها كما كلف الله بها آباءه وأجداده.

وبموت يوسف عليه السلام وتنتهي مرحلة مهمة من مراحل النبوة الأولى التي بدأت بإبراهيم عليه السلام وانتهت بيوسف عليه السلام.

وعندما نتوقف عند النبي موسى سنرى الوضع يختلف تماماً فسيرة موسى

---

(١) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٢٤٤، دائرة معارف القرن العشرين/ محمد فريد وجدي/ ج١٠/ ٩٤٣.

(٢) سورة يوسف/ الآية ١٥.

(٣) سورة يوسف/ الآية ٢٢.

(٤) سورة يوسف/ الآية ٣٩ - ٤٠.

(٥) القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ٢/ ١٥٠.

تأخذ مساحة واسعة في التوراة وكذلك في القرآن الكريم، ومعالم نبوته تكاد تتطابق في ما بين التوراة والقرآن الكريم.

وتعتبر شخصية النبي موسى من أهم الشخصيات النبوية في تأريخ الأنبياء، وذلك لأسباب كثيرة أهمها:

١) إن النبي موسى صاحب رسالة ونزل عليه كتاب هو التوراة وهو من بين أربعة كتب نزلت على أنبياء مشهورين، وهي التوراة والزبور والإنجيل والقرآن. وقد وضحت التوراة تشريعات دينية كثيرة وهي مبثوثة في أسفار الخروج واللاويين والعدد والتثنية.

٢) إن النبي موسى كلم الله سبحانه وتعالى، وهذا ما نصت عليه التوراة ونص عليه القرآن الكريم إضافة لما أُوحي إليه بواسطة الوحي أو ملاك الرب كما تقول التوراة.

٣) إن النبي موسى ظل على رسالته مجاهداً موحداً على الرغم مما لاقاه من بني إسرائيل من كفرٍ وانحراف ونفاق.

٤) لقد صرح القرآن الكريم وكذلك التوراة بنبوته بل إن التوراة لم تصرح بنبوة أحد من الأنبياء الأوائل سوى موسى عليه السلام.

٥) وفي القرآن الكريم وكذلك في التوراة قصة وضع موسى في صندوق وإلقائه في اليمّ ونجاته بقدرة الله.

٦) في القرآن الكريم يرد أن الله اصطفاه نبياً لنفسه.

٧) في القرآن الكريم منهج نبوي واضح لدى موسى خاصة في الدعوة إلى ديانة التوحيد وهنا يوجد اختلاف بين القرآن الكريم والتوراة حيث أن التوراة تركز على أمر واحد وهو إنقاذ بني إسرائيل من ظلم بني فرعون [1].

يقول تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [2].

ويقول تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [3].

ففي الآيتين السابقتين إشارة واضحة إلى أن موسى عليه السلام سيكون من

---

(١) القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ٢/ ١٥١. (٢) سورة القصص/ الآية ٧.

(٣) سورة طه/ الآية ٣٩.

المرسلين وأنه قد رعاه الله رعاية خاصة واصطفاه.

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾[1].

وهذه طبيعة رسالة التوحيد فالله سبحانه يهيئ من يريده أن يكون نبياً، ثم عندما يبلغ أشده ويصبح مؤهلًا لتحمّل الرسالة يؤتيه الله الحكمة والعلم والحكم، ويقول تعالى: ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾[2].

وقد منّ الله على موسى عليه السلام بأن منحه معجزة العصا، ومعجزة يده التي أمره الله أن يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء[3].

يقول تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾[4].

وقد عرف عدد من الأنبياء بمعجزات يقومون بها بأذن الله ومعجزة موسى عليه السلام كانت في العصا وفي يده. ويقول تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾[5]، ويقول تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾[6]. ناداه وكلمه دون وحي لذلك يقال موسى كليم الله، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿وكلم موسى تكليما﴾. ويبين القرآن الكريم دعوة موسى إذ يقول تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾[7]، فموسى عليه السلام دُعمت نبوته بكتاب وهو التوراة.

ويقول على لسان موسى: ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾[8].

---

(١) سورة القصص/ الآية ١٤.
(٢) سورة طه/ الآية ٤٠ - ٤١.
(٣) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٣١٣-٣١٤، ودائرة معارف القرن العشرين/ محمد فريد وجدي/ ٩/ ٥٥٠.
(٤) سورة طه/ الآية ١٧ - ٢٢.
(٥) سورة الإسراء/ الآية ٢.
(٦) سورة طه/ الآية ١١ - ١٤.
(٧) سورة طه/ الآية ٤٣.
(٨) سورة طه/ الآية ٣٣ - ٣٦.

ومن علاقات نبوة موسى عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾(١).

وقد امتازت نبوة موسى عليه السلام بإيذاء بني إسرائيل له، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٥﴾(٢).

فمن سمات الأنبياء أن أقوامهم كانوا يعاندونهم ويؤذونهم ويتمردون عليهم.

ويقول تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۝٥٣﴾(٣). وفي هٰذه الآية وغيرها من الآيات إشارة واضحة إلى نبوة موسى عليه السلام وكذلك نبوة هارون عليه السلام، أما في التوراة فتتجلى نبوة موسى عليه السلام على الشكل التالي:

١) (وظهر له ملاك بلهيب نار من وسط عليقة)(٤)، (فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى: فقال: هاأنذا فقال: لا تقترب إلى هاهنا اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة، ثم قال: أنا إلٰه أبيك إلٰه إبراهيم وإلٰه إسحاق وإلٰه يعقوب)(٥). وتقول التوراة: (فقال له الرب: ما هٰذه في يدك، فقال: عصا قال: أطرحها إلى الأرض فطرحها إلى الأرض فصارت حية فهرب موسى منها ثم قال الرب لموسى: مد يدك وامسك بذنبها ...)(٦)، ثم قال له الرب أيضاً: أدخل يدك في عبك فأدخل يده في عبه ثم أخرجها فإذا يده هي بيضاء مثل الثلج)(٧).

ومن علامات النبوة أيضاً أن بني إسرائيل تذمروا على موسى وكادوا يقتلونه وهٰذا ما وجدناه في آيات القرآن الكريم أيضاً(٨). تقول التوراة: (وتذمر الشعب على

---

(١) سورة الأعراف/ الآية ١٤٢.
(٢) سورة الصف/ الآية ٥.
(٣) سورة مريم/ الآية ٥١ - ٥٣.
(٤) خروج ١٣ - ٢.
(٥) خروج ٣: ٤ - ٦.
(٦) خروج ٤: ٢ - ٤.
(٧) خروج ٧٤: ٦ - ٤.
(٨) حكى الله تعالى عن تذمر هٰؤلاء على موسى بقوله: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۝٧٠﴾ [المائدة ٧٠].

موسى وقالوا: لماذا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش فصرخ موسى إلى الرب قائلًا: ماذا أفعل بهٰذا الشعب بعد قليل يرجمونني)[١]. وعن توراة موسى تقول التوراة: (فانصرف موسى ونزل من الجبل ولَوْحَا الشهادة في يده)[٢].

وتقول التوراة في نبوة موسى: (ولم يُقم بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعلمها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه)[٣]. وقد تكررت عبارة وكلم الرب موسى في هٰذا السفر عشرات المرات، لتؤكد أن موسى عليه السلام كان يكلم الله تكليماً في أغلب أوقاته دون وحي، وقد وردت بعض المقاطع في التوراة تدل على أن موسى عليه السلام قد التقى ملاك الرب.

ومما مر معنا في نصوص القران الكريم وفي نصوص التوراة نستدل على أن هناك اتفاقاً شبه كامل فيما ورد في الحديث عن النبوة لدى موسى عليه السلام، أما منهج الدعوة عنده فهو مجال اختلاف جذري بين الذي ورد في التوراة وما ورد في القرآن الكريم[٤].

أما النبي هارون عليه السلام فقد ورد الحديث عنه في سياق آيات القرآن الكريم وفي نصوص التوراة.

وقد ورد الحديث عن نبوته صراحة في آيات القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ۝﴾[٥]. وقد كانت رسالته رسالة التوراة التي أُنزلت على النبي موسى عليه السلام وقد رافقه في معظم حياته النبوية، حيث ترافقا معاً في دعوة فرعون إلى ديانة التوحيد وكان موسى عليه السلام يلقنه تعاليم التوراة يوماً بعد يوم، غير أن التوراة لم تُشر إلى نبوة هارون بل اتهمته بأنه هو الذي كان وراء صنع العجل الذهبي الذي عبده بنو إسرائيل أثناء غياب موسى عليه السلام للقاء ربه.

وادعت التوراة أن هارون كان وراء مقتل أخيه حسب ادعاء بني إسرائيل، وعندما نصل إلى معالم النبوة عند النبي داود عليه السلام نجد أن القرآن الكريم يشير إلى

(١) خروج ١٧: ٣-٤.
(٢) خروج: ٣٢: ١٥.
(٣) تثنية ٣٤: ١٠-١٢.
(٤) القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ٢/ ١٥٤.
(٥) سورة مريم/ الآية ٥٣.

أن الله سبحانه منحه النبوة والملك، وقد أنزل الله عليه كتاباً اسمه الزبور، إلّا أن التوراة ركزت على ملكه، واستثنت الحديث عنه كنبيّ له رسالة وله منهج[(١)].

يقول تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ﴾[(٢)].

ويقول تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[(٣)].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾[(٤)].

وهٰذه الآيات الكريمة تشير إلى نبوة داود بشكل واضح، وتشير أيضاً إلى أن الله سبحانه أنزل على داود كتاباً اسمه الزبور. ومن علامات تأييد الله سبحانه لنبوة داود تسخير الجبال والطير يسبحن له. يقول تعالى: ﴿مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾[(٥)].

ويقول تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾[(٦)].

ويقول تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾[(٧)].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[(٨)].

وقوله تعالى: وآتيناه الحكمة أي أتيناه النبوة.

ويقول تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾[(٩)].

وداود عليه السلام كان أعدل الناس في عصره وهٰذه منحة من الله سبحانه له وتقوية لعلائم نبوته.

---

(١) القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ٢/ ١٥٥.
(٢) سورة البقرة/ الآية ٢٥١.
(٣) سورة النساء/ الآية ١٦٣.
(٤) سورة الإسراء/ الآية ٥٥.
(٥) سورة الأنبياء/ من الآية ٧٩.
(٦) سورة سبأ/ الآيتان ١٠ - ١١.
(٧) سورة ص/ الآية ١٧.
(٨) سورة ص/ الآيات ١٨ - ٢٠.
(٩) سورة ص/ الآية ٢٦.

أما في التوراة فترد بعض النصوص التي تشير إلى إيمان داود عليه السلام بالله منذ صغره.

تقول التوراة: (لأنه يُعيرْ صفوف الله الحي) [(١)]، وتقول: (وأنا أتي إليك باسم رب الجنود إلٰه صفوف إسرائيل) [(٢)].

وتقول على لسان داود: (هٰذا اليوم يحبك الرب في يدي فأقتلك وأقطع رأسك) [(٣)].

ثم تأخذ التوراة بالحديث عن سؤال داود للرب فيما يتعلق وتحركاته. ثم تقول التوراة: (وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكاً على بيت يهوذا) [(٤)].

ثم تقول: (وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون فقطع الملك داود معهم عهداً في حبرون أمام الرب ومسحوا داود ملكاً على إسرائيل) [(٥)].

وتتوالى الفقرات التي تشير إلى أن الله تحدث لداود وأرشده في شؤون الحرب والقتال. وفي الإصحاح السابع من سفر صموئيل الثاني مقاطع تدل على مناجاة داود لربه وصلاته له.

وتقول: (فدخل الملك داود وجلس أمام الرب وقال: من أنا يا سيدي الرب وما هو بيتي حتى أوصلتني إلى هنا وقل هٰذا أيضاً في عينيك يا سيدي الرب) [(٦)]. وتقول (لذٰلك قد عظمت أيها الرب الإلٰه لأنه ليس مثلك وليس إلٰه غيرك حسب كل ما سمعناه بآذاننا) [(٧)].

وتورد التوراة أقوالًا منسوبة إلى النبي داود تدل بشكل واضح على صلته القوية بالله. ليس صلة الملك وإنما صلة الأنبياء على الرغم من أن التوراة تصر على تحييد النبوة عن داود وتركز على كونه ملكاً [(٨)] تقول: (وحي داود بن يتسي ووحي الرجل القائم في العلا مسيح إلٰه يعقوب ومرنم إسرائيل الحلو روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني. إذا تسلط على الناس بار يتسلط بخوف الله)[(٩)].

---

(١) صموئيل الأول/ ١٧: ٢٦.
(٢) المصدر نفسه/ ١٧: ٤٥.
(٣) المصدر نفسه/ ١٧: ٤٦.
(٤) صموئيل الثاني/ ١ - ٤.
(٥) المصدر نفسه/ ٥: ٣.
(٦) المصدر نفسه/ ٧: ١٨ - ١٩.
(٧) المصدر نفسه/ ٧: ٢.
(٨) ينظر: القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ٢/ ١٦٠.
(٩) صموئيل الثاني/ ٢٣: ١ - ٣.

ويأتي في التوراة أن داود وصى سليمان عندما قربت وفاته وتقول التوراة: (أحفظ شعائر الرب إلٰهك إذا تسير في طرقة وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وشهاداته كما هو مكتوب في شريعة موسى لكي تفلح في كل ما تفعل وحيثما توجهت)(١).

ومن خلال ما تقدم نرى أن كثيراً من الدلائل تشير إلى أن داود كان مع الله وكان الله معه لٰكن التوراة لم تشر إلى نبوته. وإنما أشارت إلى مزامير داود التي هي عبارة عن أناشيد وأدعية قالها على آله موسيقية. ولم تشر إلى أن الله سبحانه وتعالى أنزل عليه كتاباً اسمه الزبور ويعتقد كثيرون أن ما قاله داود عليه السلام في المزامير ليس سوى الزبور نفسه. ولٰكن آخرين نفوا ذٰلك إذ أن هٰذه المزامير من صنع داود ولم تنزل على داود من لدن رب العالمين.

وترتبط شخصية سليمان النبوية بشخصية داود عليهما السَّلام، فقد أستلم سليمان الملك في أواخر حياة أبيه وتمتع من صغره بالفطنة والذكاء مما أتاح له التعلم من أبيه أصول ديانة التوحيد والحكمة والعلم والملك.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾(٢).

والمراد بقوله (من كل شيء) كثرة نعم الله تعالى عليه ومنها تعليمه كلاماً لا يعلمه سواه وهٰذه المنحة لم تذكر في كتب أهل الكتاب. وإنما يذكرون أن سليمان كان عظيم الحكمة ولذٰلك يسمونه سليمان الحكيم ولا يلقبونه بالنبي أصلًا(٣). ومن نعم الله عليه لتقوية معالم نبوته تسخير الله له الريح يقول تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا﴾(٥). وقد آتاه الله ملكاً لم يعطه لنبيّ قبله أو بعده، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾(٦).

---

(١) ملوك الأول/ ٢: ٣.
(٢) سورة النمل/ الآيتان ١٥ - ١٦.
(٣) قصص الأنبياء/ عبد الوهاب النجار/ ٣٤٦.
(٤) سورة ص/ الآية ٣٦.
(٥) سورة الأنبياء/ الآية ٨١.
(٦) سورة ص/ الآية ٣٥.

وكذلك فقد أرسل الله له عين القطر أي النحاس ليدعم به ما بناه. وقد منَّ الله تعالى عليه وهداه إلى ما لم يهتد إليه أحد من قبله والتوراة خالية من ذلك[١].

وسخر الله له الجن. يقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾[٢].

ولم يمنح نبي قط تسخير الجن له. وهذه ما تخص نبوة سليمان دون غيره من الأنبياء[٣].

ومن نعم الله عليه أنه دعا ملكة سبأ إلى عقيدة التوحيد فآمنت. وكذلك من نعم الله عليه أنه عندما وافته المنية لم يعرف أحد من الجن والأنس أنه مات وما دلهم على موته سوى دابة الأرض. كما جاء في القرآن الكريم ولم يرد في التوراة.

وقد أوردت التوراة بعضاً من النصوص التي تشير إلى علاقة سليمان كملك بربه.

وتقول التوراة: (وأحب سليمان الرب سائراً في فرائض داود أبيه)[٤]. وتقول: (في جبعون تراءى الرب لسليمان في حلم ليلًا وقال الله: أسأل ماذا أعطيك فقال سليمان: إنك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك)[٥].

(فأعط عبدك قلباً فهيماً لأحكم على شعبك)[٦]. (وأميز بين الخير والشر).

وتقول التوراة: (ولما سمع جميع إسرائيل بالحكم الذي حكم به الملك خافوا الملك لأنهم رأوا حكمة الله فيه لأجراء الحكم)[٧]. وتقول التوراة: (وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بني المشرق وكل حكمة مصر وكان أحكم من جميع الناس)[٨]. وتقول: (وكان صيته في جميع الأمم حواليه. وتكلم بثلاثة آلاف مثل وكانت نشائده ألفاً وخمساً)[٩].

---

(١) قصص الأنبياء/ عبد الوهاب النجار/ ٣٥٧.
(٢) سورة سبأ/ الآية ١٣.
(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٤٥٠.
(٤) ١ مل: ٣: ٣.
(٥) ١ مل: ٣: ٥ - ٦.
(٦) ١ مل: ٣: ٩.
(٧) ١ مل: ٣: ٢٨.
(٨) ١ مل: ٤: ٣٠.
(٩) ١ مل: ٤: ٣٣.

وتقول: (وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته)[١].

إذاً فقد تبين لنا أن سليمان رأى الله في منامه. بمعنى إنه أوحي إليه، ومنحه الله الملك، ووسعه، وأعطاه منه ما لم يعط غيره، وكان حسب قول التوراة أحكم الحكماء. ومع هٰذا أكله فأن التوراة لا تقول بنبوته إطلاقاً ولا تأتي على ذكر دعوته التوحيدية وهٰذا ما يتناقض مع الحقيقة التي أوردتها آيات القرآن الكريم وفصلت في ذكرها.

لقد أوردنا ماذا قال القرآن الكريم بشأن الأنبياء الذي ورد ذكرهم في التوراة وكذٰلك في القرآن الكريم وتبين لنا أن ما أتت به آيات القرآن الكريم عن نبوة الأنبياء لم تأتِ به التوراة باستثناء النبي موسى عليه السلام [٢] إذ هو النبي الوحيد المعترف عليه من بين أنبياء العهد القديم أي الأنبياء الذين بدأهم النبي إبراهيم وانتهوا عند النبي سليمان.

وتجدد الإشارة إلى أن التوراة جاءت على ذكر كثير من الأنبياء وسمتهم ولٰكن هٰؤلاء الأنبياء كانوا خاصين لبني إسرائيل يخدمون الرب عن طريق تمسكهم بشريعة النبي موسى عليه السلام.

ومن هٰؤلاء صموئيل، حزقيال، دانيال، وارميا. وهٰؤلاء لهم أسفار في التوراة. وهناك ذكر لأنبياء جاء الحديث عنهم عرضاً مثل النبية مريم أخت موسى وهارون. ودبورة والنبي ناثان الذي كان مع النبي داود عليه السلام. وإيليا التشبي «إلياس»، وأليشع، ونحميا، وأيوب، وأشعياء، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان بن أمتاي، وميخا، وناحوم وحبقوق، وصفنيا، وحجي وزكريا، وملاخي.

ويرى الكثيرون من المفسرين وبعض المهتمين بالدراسات التوراتية أن إيليا هو النبي إلياس. وأن أيوب هو نفسه الوارد ذكره في القرآن الكريم. وأن يونان هو يونس عليه السلام. ولٰكن زكريا ليس زكريا النبي الذي ورد ذكره في قصة مريم وبعضهم يرى

---

(١) ١ مل: ٤: ٣٤.

(٢) ينظر: القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يتفرقان/ حسن الباش/ ٢/ ١٦٣.

أن كاهن مدين يثرون هو شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ باعتباره والد زوجة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وكما قلنا ينفرد القرآن الكريم بذكر صالح وهود وشعيب وعيسى ومحمد عليهم الصَّلاة والسَّلام [(١)].

١) هل النبي شعيب هو نفسه يثرون كاهن مدين؟ ما معالم نبوته في التوراة؟ وما معالم نبوته في القرآن الكريم؟

٢) هل النبي إيليا هو النبي إلياس؟

٣) هل النبي أيوب هو نفسه النبي أيوب الذي ورد ذكره في القرآن الكريم؟

٤) هل النبي يونان بن أمتاي هو النبي يونس؟

جاء في التوراة أن النبي موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما هرب من مصر بعد قتله المصري توجه نحو مدين ووجد فتيات يستسقين لغنمهن فساعدهن. وظهرت أخلاقه الحميدة أمامهن وعندما عُدن تحدثن إلى أبيهن. فبعث واحدةً منهن لتجلب موسى إليه. وقد ذهب موسى إلى ذٰلك الرجل الذي أطلقت عليه التوراة اسم يثرون ووصفته بأنه كاهن مدين. ثم تزوج موسى من ابنته التي تدعى صفورة. ثم يعود موسى إلى فرعون ليخرج بني إسرائيل من مصر. وعندما يعود إلى الصحراء مع قومه يتذكر حميه يثرون فيزوده ويروي له ما فعل الله بفرعون وجنوده نحمده يثرون ثم أشار عليه أن يقضي لبني إسرائيل ولم تزد التوراة عن ذٰلك شيئاً.

والواقع أن قصة زواج موسى من بنت يثرون تشبه تماماً القصة التي وردت في القرآن الكريم. فمن المحتمل أن يكون هو شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ باعتبار أن حدث الزواج ووجود اسم مدين هو نفسه في نص التوراة ونص القرآن الكريم. ومع ذٰلك لم تبرز أية معالم للنبوة عن يثرون سوى مدحه لإلٰه موسى الذي نجاه من الظالمين [(٢)].

بينما نجد في القرآن الكريم معالم النبوة لدى شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو نبي مرسل ودعا قومه إلى عقيدة التوحيد فرفضوا فصعقهم الله جزاءً على رفضهم دعوة نبيهم.

يقول تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ

(١) المصدر نفسه/ ٢/ ١٦٤.

(٢) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ٢/ ١٦٥.

رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾﴾[(١)]، فهٰذه الآية تشير بوضوح إلى أن شعيباً كان نبياً مرسلًا، وعقيدته واضحة من خلال الآيات الكريمة فهو يدعو إلى الله الواحد وعبادته.

يقول تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾[(٢)].

ثم نهاهم عن فعل السوء الذي تجلى في قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾﴾[(٣)].

وقد أشار القرآن الكريم في عدة مواضع إلى أن النبي شعيباً بعث لقومه من أهل مدين بقوله تعالى:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾[(٤)].

ويروي المفسرون أن قومه كانوا يعبدون الأيكة وهي شجرة الأيك حولها غيطه ملتفة بها، وكانوا يقطعون السبيل ويخيفون المارّة، ومن أسوأ الناس معاملة يبخسون المكيال والميزان، ويطففون فيهما ويأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص فبعث الله فيهم رجلًا هو رسول الله شعيب عليه السلام[(٥)]، ثم حاول قومه أن يطردوه إذا لم يعد إلى ملتهم وضلالهم. ولٰكن النبيَّ شعيباً رفض كفرهم فعاقبهم الله بعد ذلك، قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾[(٦)].

وهٰذا الذي نراه في القرآن الكريم لا نراه مطلقاً في التوراة.

أما النبي إلياس كما ورد اسمه بهٰذا اللفظ في القرآن الكريم فقد ورد اسمه في التوراة باسم (إيليا) وقد ورد في القرآن الكريم صراحة أنه من المرسلين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾[(٧)]. وقد بُعث إلى قومه الذين هم قسم من بني إسرائيل يدعونهم إلى عبادة الله الواحد وإلى ترك عبادة البعل.

---

(١) سورة الشعراء/ ١٧٦ - ١٧٩.
(٢) سورة هود/ ٩٠.
(٣) سورة هود/ ٨٥.
(٤) سورة الأعراف/ ٨٥.
(٥) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ١٨٦.
(٦) سورة الأعراف/ الآية ٩١.
(٧) سورة الصافات/ الآية ١٢٣.

تقول بقية الآيات: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾[١].

وتورد التوراة حديثاً موسعاً عن إيليا وصراعه مع عبده البعل. وتقول أنه وجد في زمن الملك الإسرائيلي الوثني (آخاب بن عمري) الذي تزوج من إيزابيل بنت ملك صيدا وتورد التوراة أن ملاك الرب التقى إيليا عدة مرات ونصره ضد عبده البعل. وأمره بالهروب من وجه آخاب الوثني فهرب وكان الرب معه. وقد ورد أنه أشفى ابن امرأة بعون الله.

تقول التوراة: (وقال ايليا انظري أبنكِ حيٌّ فقالت المرأة لإيليا هٰذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق)[٢].

وظل الصراع قائماً بين إيليا وعبده البعل حتى أنتصر عليهم وأزال عبادة الأصنام.

أما أيوب عليه السلام فقد أوردت آيات القرآن الكريم أجزاء صغيرة من قصته، وهو نبي بصريح العبارة في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾[٣]. وركزت الآيات على ابتلاء أيوب وصبره وحبه لله تعالى، يقول تعالى:

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾[٤].

ويقول تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾[٥].

وقد رافقت نبوة أيوب معجزة الماء البارد الذي اغتسل منه فشفي من جميع مرضه.

يقول تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾[٦]. أما التوراة فقد أفردت للنبي أيوب سفراً خاصاً أمام معالم نبوته في التوراة فإنها لا تظهر إلّا في بعض الأمور الجزئية[٧].

(١) سورة الصافات/ من الآية (١٢٤) إلى الآية (١٣٢). (٢) ملوك أول/ ١٧: ٢٤

(٣) سورة النساء/ الآية ١٦٣. (٤) سورة ص/ الآية ٤١.

(٥) سورة الأنبياء/ الآية ٨٣. (٦) سورة ص/ الآية ٤٢.

(٧) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ٢/ ١٦٧.

تقول التوراة: (فقال الرب للشيطان: هل جعلت قلبك على عبدي أيوب)[(١)].

وتقول: (وقال عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك. الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسمه الرب مباركاً. في كل هٰذا ما لم يخطئ أيوب ولم ينسب لله جهالة)[(٢)].

وتقول: (الخير نقبل من عند الله والشر لا نقبل في كل هٰذا لم يخطئ أيوب بشفتيه)[(٣)].

وهٰذه الأقوال تدل بشكل واضح على إيمان أيوب بالله إيماناً كاملًا. فهو كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر ثم وصفه الله بأنه عبده. وهو مؤمن بخلق الله له وموته وبعثه ثم هو يقبل الابتلاء، وبدأً من الإصحاح الثالث تنسب التوراة لأيوب أقوالًا هي أقرب إلى التجديف على الله والكفر به، أما في الإصحاح الأخير وهو الثاني والأربعون فتورد التوراة أن الله رد لأيوب عافيته ووهب له ضعف ما كان له من الأولاد والأموال. تقول التوراة: (وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاده ...)[(٤)].

أما النبي يونس عليه السلام فقد ورد في القرآن الكريم عنه وعن نبوته[(٥)].

يقول تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾[(٦)].

من خلال هٰذه الآية الكريمة يتضح لنا أن يونس:

أ) كان نبياً من المرسلين.

ب) وكان يسبح الله رغم ابتلائه العظيم.

ج) وقد أرسل إلى قوم يدعوهم إلى ديانة التوحيد.

أما في التوراة فتورد أن (يونان بن أمتاي) قد تنبأ في أيام برعام الثاني ملك

---

(١) أيوب/ ١: ٨. (٢) أيوب/ ١: ٢١ - ٢٢.

(٣) أيوب/ ٢: ١٠. (٤) أيوب/ ٤٢: ١٢.

(٥) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٢٨٦. القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ٢/ ١٦٨.

(٦) سورة الصافات/ من الآية (١٣٩) إلى (١٤٨).

السامرة وتنبأ برد حدود السامرة وكان موضوع نبوءته إنقاذاً لبني إسرائيل من ظلم الآراميين، والسوريين.

وتورد التوراة قصة الحوت الذي ابتلع يونان. وفي سفر يونان رموز إلى أمور مستقبلية كقيامة المسيح وتبشير الأمم.

ويقول السفر: (أن الله أمر يونان بالذهاب إلى نينوى عاصمة الآشوريين ليعلن خرابها وحاول التخلص من هٰذا الواجب فعاقبهُ الله بأن ركب في سفينة وقعت في عاصفة قوية فألقاه أهل السفينة في البحر بعد إجراء القرعة. فأبتلعه حوت عظيم وبعد ثلاثة أيام قذفه الحوت إلى البر. وبعدها صلى يونان إلى الله شكراً. وأطاع أمر ربه فذهب إلى نينوى فأصغى له سكانها وآمنوا وتابوا وصفح الله عنهم)[(١)].

ويعلق مؤلف الكلام في قاموس الكتاب المقدس بقوله: (وليس في سفر أخر في العهد القديم ما يظهر محبة الله بطريقة أعجب من المحبة التي يظهرها هٰذا السفر. أنه يحمل رسالة دينية لجميع العصور أنه احتجاج على العصبية والعنصرية اليهودية الضيقة ومقتها للشعوب الأخرى مقتاً بشعاً ظهر بنوع خاص بعد عصر السبي. إن الله في نظر مؤلف هٰذا السفر يهتم بجميع الناس ويغفر لجميع التائبين إليه سواء كانوا أمماً أو يهوداً)[(٢)].

ولعل الاتفاق على شخصية النبي يونس عليه السلام (يونان) بين التوراة وبين القرآن الكريم تقع في نبوته. وابتلاع الحوت له. وصبره وإيمانه الراسخ بالله. ثم إرساله إلى قوم يدعونهم إلى التوحيد فآمنوا به ولو إلى حين. وقد قال أكثر المفسرين المسلمين بأن يونس هو نفسه يونان. ويلقب أحياناً بذي النون. أي صاحب الحوت كونه اشتهر من خلال قصة ابتلاع الحوت له.

***

(١) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٢٩٠ - ٢٩١.

(٢) قاموس الكتاب المقدس/ د. جورج يوسف/ المطبعة الأمريكانية/ ط١/ بيروت/ ١٣٠٤هـ - ١٨٩٤م ص٣٦٠.

المبحث الثالث
أنبياء في القرآن الكريم
لا وجود لذكرهم صراحة في التوراة

ورد في القرآن الكريم ذكر أنبياء لم توردهم التوراة أو تحدث عنهم. ولعل السبب الأساسي في ذلك أن التوراة دونت تاريخ الأنبياء الذي ينسبون أنفسهم إليهم فلم يذكروا هوداً وصالحاً وقد ذكرهما القرآن الكريم وذكر نبوتهما.

وباعتبار أن التوراة دونت قبل ميلاد المسيح (عليه السلام) فإنها لم تأتِ على ذكر النبي زكريا والنبي يحيى والنبي عيسى (عليهم السَّلام) على الرغم من أن الثلاثة من أنبياء بني إسرائيل وكذلك لم تأتِ على ذكر رسولنا الكريم محمد (ﷺ).

وبسبب عدم ذكرهم في التوراة فإننا سنقتصر في الحديث عن معالم نبوتهم بشكل مختصر لنلقي الضوء على معالم النبوة لديهم جميعاً.

أما هود فهو نبي بصريح العبارة وذلك في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾﴾(١).

ودعا هود إلى عبادة الله الواحد الأحد وذلك في قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾(٣). ويذكر القرآن الكريم أن الله عاقب قوم هود ونجاه. يقول تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾(٤). ويقول تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾(٥).

---

(١) سورة الشعراء/ من الآية (١٢٣) إلى (١٢٥).
(٢) سورة الشعراء/ الآية ١٢٦.
(٣) سورة هود/ الآية ٥٠.
(٤) سورة الشعراء/ الآية ١٣٩.
(٥) سورة القمر/ الآية ١٩.

أما النبي صالح عليه السلام فقد بعث لقوم ثمود. يقول تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾(١). ويقول تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾(٢).

ويقول تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾(٣).

ودعا صالح إلى عبادة الله الواحد، يقول تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾(٤).

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾(٥). وقد دعم الله نبوته بمعجزة الناقة. كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾(٦). ويقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾(٧). ويقول تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾(٨).

ويرتبط النبي زكريا والنبي يحيى برباط واضح في آيات القرآن الكريم، فيحيى هو ابن زكريا ويستدل من آيات القرآن الكريم أنهما وجدا في الفترة نفسها التي وجد فيها السيد المسيح عليه السلام(٩). ومن خلال آيات القرآن الكريم يُستدل أن زكريا أوحي إليه من لدن رب العالمين وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾(١٠).

ويصفه القرآن الكريم بأنه عبد الله في قوله: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾﴾(١١). وقد منحه الله ابنه يحيى وهو رجل عجوز وامرأته عاقر وكان يصلى في المحراب تعبداً لله الواحد الأحد.

أما يحيى فيأتي القرآن الكريم على ذكره بأنه نبي مرسل وذلك بقوله تعالى:

---

(١) سورة الشمس/ من الآية (١١) إلى (١٣).
(٢) سورة الأعراف/ الآية ٧٣.
(٣) سورة الشعراء/ الآية (١٤١) إلى (١٤٢).
(٤) سورة الأعراف/ الآية ٧٣.
(٥) سورة النمل/ الآية ٤٥.
(٦) سورة الشعراء/ الآية ١٥٥.
(٧) سورة القمر/ الآية ٣١.
(٨) سورة النمل/ الآية ٥٣.
(٩) دائرة معارف القرن العشرين/ محمد فريد وجدي/ ٤/ ٥٦٨.
(١٠) سورة مريم/ الآية ٧.
(١١) سورة مريم/ الآية ٢.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾[1]. وهذا مفسر بقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩﴾[2].

فيحيى نبي بصريح عبارة القرآن الكريم ثم هو مكلف بتطبيق الكتاب (التوراة) بقوة.

ويقول تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾[3]. وكان يحيى براً بوالديه وكان تقياً.

وقوله من آل يعقوب: أي كما كان أبواه وأسلافه من ذرية يعقوب أنبياء فأجعله مثلهم في الكرامة التي أكرمتهم بها من النبوة والوحي وتروي روايات المفسرين المسلمين أن مهمة زكريا ويحيى كانت عبادة الله الواحد ونشر الدعوة لبني إسرائيل الذينَ خرجوا عن ديانة التوحيد وحاربوها[4].

وقيل: إن بني إسرائيل قد قتلوا زكريا ويحيى لأنهما حاولا إصلاح العقيدة اليهودية بعد أن أفسدوها ودنسوا معبد الرب في القدس.

وقيل: أن اليهود تعاونوا مع الرومان الوثنيين على قتل زكريا ويحيى وترى الأناجيل أن يحيى هو الذي عمّد المسيح في نهر الشريعة وهو الذي مسحه بالزيت المقدس على اعتبار أنه نبي قادم لبني إسرائيل وبعض المفسرين اعتبروا نبوة زكريا ويحيى تمهيداً لنبوة المسيح عليه السلام.

أما عيسى عليه السلام فقد تحدث عنه وعن نبوته القرآن الكريم بشكل مسهب ومفصل وذلك باعتباره ينتمي إلى بني إسرائيل ولأن الله سبحانه أنزل عليه كتاباً هو الإنجيل ومعالم نبوة المسيح عليه السلام جاءت متكاملة في القرآن الكريم وإذا نظرنا إلى أخباره في الإنجيل وجدنا أن نبوته أيضاً واضحة على الرغم من محاولات التي أرادت أن تضفي عليه صفة الألوهية وقد تناول سيرته التلمود بالذم والبهتان والشتم واعتباره مارقاً خارجاً على ديانة بني إسرائيل.

---

(١) سورة مريم/ الآية ٧.
(٢) سورة آل عمران/ الآية ٣٩.
(٣) سورة مريم/ الآية ١٢.
(٤) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ ٣/ ١٠٠.

ويصرح القرآن الكريم بنبوة المسيح (عيسى ابن مريم عليه السلام) وذٰلك في عدة مواضع.

يقول تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾[١]. ويقول تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٢]. فهو نبي رسول بصريح العبارة بالقرآن الكريم. قد بُعث إلى بني إسرائيل ثم يصرح القرآن الكريم بأن الله سبحانه يعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل فهو صاحب رسالة والكتاب الذي أنزل عليه هو الإنجيل ثم إن في خلقه من دون أب معجزة لم تحدث إلّا مع أدم عليه السلام وقد صرح بذٰلك القرآن الكريم: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾[٣].

وكرم الله عيسى عليه السلام بأن وصفه بكلمته ألقاها إلى مريم وهو روحٌ منه. ووصفه بالعبد لله وكذا دأب الأنبياء فأفضل صفه لهم بأنهم عباد الله[٤].

ثم كرمه الله سبحانه بأنه رفعه إليه ولم يستطع اليهود صلبه. وأنزل الله له ولأتباعه مائدة من السماء. وقد باركه الله وأمره بالصّلاة والزكاة مادام حياً. وكان براً بوالدته ولم يجعله جباراً عصياً أو شقياً. وقد منحه الله سبحانه بعض المعجزات كأحياء الموتى وشفاء المرضى وقد أوحي إليه من قبل الله سبحانه بواسطة جبريل عليه السلام وهٰذه المعالم جميعها كانت رداً على من شكك بنبوته أولًا وعلى من أدعى ألوهيته ثانياً.

وقد بشر المسيح عليه السلام بالرسول محمد ﷺ ونجد ذٰلك صريحاً في القرآن الكريم. ويقول تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[٥].

***

(١) سورة مريم/ الآية ٣٠. (٢) سورة آل عمران/ الآية (٤٨ - ٤٩).
(٣) سورة آل عمران/ الآية ٥٩.
(٤) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٥٦٩، ودائرة معارف القرن العشرين/ محمد فريد وجدي/ ٦/ ٧٨٣.
(٥) سورة الصف/ الآية ٦.

المبحث الرابع
أنبياء في التوراة لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم

للتوراة أنبياء كما سمتهم. وهٰؤلاء الأنبياء لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم. إلَّا أن نبوءاتهم. وما أوردته التوراة عن صلتهم بالله وبملاك الله. يوضح أن لهم منزلة معينة عند بني إسرائيل امتازوا بها من خلال عملهم اللاهوتي وإرشاداتهم وغضبهم على بني إسرائيل لعبادتهم آلهة الشعوب والابتعاد عن عبادة رب إسرائيل.

وتستخدم التوراة للنبي عادةً التسمية العبرية (نابي) جمعها نابيم وهٰذه الكلمة يمكن ترجمتها بأشكال مختلفة منها (المنبئ) أو الذي ناداه الله. وقد ظهرت هٰذه التسمية متأخرة بعد تسربهم إلى فلسطين. ولقد رأينا أن التوراة تجاهلت نبوة إبراهيم وأبنائه وأحفاده. واقتصرت على الاعتراف بنبوة موسى فحسب. وتطلق التوراة أحياناً على النبي الرائي. وقد وردت ذٰلك في سفر صموئيل الأول[1]. وفي سفر القضاة وجد أنبياء رجال ونبيات من النساء مثل (دبورة). وكان بنو إسرائيل يذهبون إليها للقضاء.

أما أنبياء التوراة فهم كثيرون، أول من ظهر منهم النبي صموئيل. ثم النبي عاموس ثم النبي هوشع ثم النبي إشعيا والنبي ميخا والنبي صفنيا والنبي ناحوم والنبي ارميا والنبي حبقوق ثم النبي حزقيال إشعيا الثاني ثم إشعيا الثالث ثم النبي حجي ثم النبي زكريا ثم النبي زكريا الثاني ثم عوبديا ويونان وملافي، ثم نحميا وعزرا ثم دانيال.

أما النبي صموئيل فقد أشارت له آيات القرآن الكريم دون التصريح باسمه.

---

(١) الإصحاح ٩ الفقرة ٩.

وارتبطت قصته باختيار ملك لبني إسرائيل يقودهم في الجهاد[(١)].

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾[(٢)]. وكذلك في الآيتين (٢٤٧) و(٢٤٨) من سورة البقرة تتمه للحديث عن النبي الذي أنبأهم أن الله أختار طالوت ملكاً عليهم وبين أن آية ملكة أن يأتيهم التابوت الذي فيه بقية من التوراة.

وقد وافقت قصته في القرآن ما جاء في التوراة. لٰكن التوراة أوردت اسمه بينما القرآن الكريم لم يورد اسمه وقد قال أكثر المفسرين المسلمين القدامى إن هٰذا النبي هو صموئيل أو شموئيل ومعناه سمع الله[(٣)].

وأهم علامات نبوة صموئيل حسب نصوص التوراة أن أمة وهبته لمعبد الله. وقد تفرغ لعبادة الإلٰه وخدمة معبده. تقول التوراة: (وكبر صموئيل وكان يهوه معه ولم يدع شيئاً من كلامه يسقط على الأرض وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر السبع أنه قد أؤتمن صموئيل نبياً)[(٤)] ثم قضى لبني إسرائيل طوال حياته وأشارت التوراة كثيراً إلى أن الرب كان يكلم صموئيل.

أما النبي عاموس فأن التوراة تشير إلى نبوءات له وذٰلك أيام الملك الإسرائيلي يربعام. تقول التوراة: (لست أنا نبياً ولا أنا ابن نبي بل أنا راع وحياني جميز فأخذني يهوه من وراء الضأن وقال لي يهوه أذهب تنبأ لشعبي إسرائيل)[(٥)].

وقد حذر عاموس بني إسرائيل لكثرة خطاياهم فتنبأ بأن الله سيحل عقابه بهم عن قريب وقد تنبأ بموت يربعام بالسيف وسبي بني إسرائيل.

فيرى أيضاً: (لقد أتت النهاية على شعبي إسرائيل لا أعود أصفح له بعد)[(٦)].

---

(١) قصص الأنبياء/ ابن كثير/ ٤٧٨. القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ٢/ ١٧٤.

(٢) سورة البقرة/ الآية ٢٤٦.

(٣) البداية والنهاية/ ابن كثير/ ٢/ ٥.

(٤) صم: ٣ - ٢٠.

(٥) عاموس: ٧: ١٤ - ١٥.

(٦) عاموس ٢: ٨.

والإلٰه عند عاموس هو إلٰه على كل الكون خالق ومدبر العالم. فهو الذي خلق النجوم في السماء والجبال على الأرض والذي يخلق الليل والنهار ويصنع الرياح وعنه تصدر الزلازل حين تطمر الأرض مثل ماء النهر[(١)].

ويتضح من خلال بعض الفقرات في سفر عاموس أن هٰذا النبي كان يحذر بني إسرائيل من يوم الآخرة حيث الحساب والعقاب. فهو يشير إلى أن الإلٰه سوف يدق الخاطئين بالسيف شخصياً ولن يهرب منه أو ينجو أحد.

ويرى عاموس أن الطبيعة ستقاسي صدمه رهيبة، ستغيب الشمس ظهراً ويغطي الظلام الأرض التي ستبدأ بالارتجاج وهو يعبر عن يوم القيامة بتسمية يوم يهوه أو ذٰلك اليوم للدلالة على يوم الحساب والعقاب.

أما النبي هوشع فتشير التوراة إلى نبوته بقولها: (قول يهوه الذي صار إلى هوشع بين بثيري في أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهودا أيام يربعام بن يوآش ملك إسرائيل. وقد عكست نبؤاته الأحداث العاصفة التي جرت في مملكة إسرائيل وقد تنبأ بيوم الله الذي يعاقب فيه بني إسرائيل لأنهم خانوا إلٰههم. ويعنف هوشع بني إسرائيل ويقرعهم لأنهم ذهبوا وراء الأصنام، وعبدوا العجلين.

ويرى أن انحرافهم سقوط أخلاقي للشعب. ويتنبأ هوشع بسقوط إسرائيل بيد الآشوريين[(٢)].

والإلٰه عند هوشع هو إلٰه قبلي متطور. إذ أنه بنظر هوشع يعاقب من يخالف من بني إسرائيل.

ويقول: (من هو حكيم حتى يفهم هٰذه الأمور وفهيم حتى يعرفها فإن طرق الرب مستقيمة والإبرار يسلكون فيها وأما المنافقون فيعثرون فيها)[(٣)].

أما النبي إشعيا فهو أكثر الأنبياء الإسرائيليين شعبيه ويتنبأ هٰذا النبي بسقوط بابل لأن ملكها كان ظالماً على حد قوله وتقول التوراة أنه بدأ يتنبأ في سنة وفاة

---

(١) عاموس ٤: ١٣ - ٥: ٨ - ٩: ٥.
(٢) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ٢/ ١٧٦.
(٣) ملوك ٤٢: ٩ - ١٠.

الملك عزيا وإشعيا نفسه يروي ذٰلك.

تقول التوراة: (رأيت يهوه جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل... عندها أصيب إشعيا بالهلع فقال: ويل لي إني هلكت لأنني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عيني قد رأتا يهوه رب الجنود)[1].

وبقية الأنبياء ميخا وصفتيا وناحوم وحبقوق وإشعيا الثاني وإشعيا الثالث والنبي حجي وزكريا وعوبديا ويوئيل وملاخي ونحميا وعزرا تنبؤوا بأمور سيئة ستحدث لبني إسرائيل لأنهم خرجوا عن تعاليم الرب وانحازوا إلى عبادة الأصنام. وكان صراع مستمر قد حدث بينهم كأنبياء وبين الملوك الذين تسلطوا على يهودا وإسرائيل.

وقد اقتصرت نبوءاتهم على هٰذا الجانب. فكانوا إصلاحيين يريدون أن يعود اليهود إلى عبادة الرب الواحد والابتعاد عن عبادة الأوثان والأصنام[2].

ويبرز لنا ثلاثة أنبياء كبار لدى بني إسرائيل كان لهم دور في تطوير مفهوم الألوهية. وقد تنبأ الواحد منهم بأمور كثيرة. وقد وصفتهم التوراة بأنهم كانوا مع الله وقد تراءى لهم جميعاً ملاك الرب.

وعانوا الويلات من عذاب وسجن من قبل ملوك اليهود وهٰؤلاء الأنبياء هم ارميا وحزقيال ودانيال.

أما ارميا فيروي هو نفسه كيف أصبح نبياً فقد كانت إليه كلمة يهوه في أيام يوشيا ابن آمون ملك يهوذا. ويعرض ارميا مضمون كلمة يهوه بقوله: (قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبياً لشعوب. فقلت آه يا سيد الرب إني لا أعرف أن أتكلم لأني ولد.

فقال: يهوه لي لا تقل: إني ولد لأنك إلى كل مَن أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به)[3].

---

(١) ملوك ٦٢: ٩ - ١٢.

(٢) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ٢/ ١٧٦.

(٣) ارميا ١: ٥ - ٨.

وقد انتقد ارميا اليهود انتقاداً عنيفاً لأنهم انحازوا عن طريق الرب واعتبرهم زناة مع الآلهة الغربية.

ويهاجم ارميا أخلاقهم وظلمهم الاجتماعي. ولم ينج من لسانه بعض الذين ادعوا النبوة.

فانتقد جمعهم للمال وممالأتهم للملوك وخيانتهم لتعاليم الشريعة وقد نقل ارميا بعض الأمور في العقيدة اليهودية إلى تطور جديد حينما يصف الله بأنه كلي الجبروت وحكيم وعادل ومنصف يعاقب على الشر ويكافئ على الخير. وقد تنبأ ارميا بسقوط الإسرائيليين في يد البابليين باستمرار حتى أن الملك الإسرائيلي (يهوياقيم) قد سجنه في بئر وعذبه وأراد قتله إلَّا أن مجيء البابليين إلى فلسطين خلصه من الموت.

أما حزقيال فقد تنبأ أيام السبي وكان من بين المسبيين[١]. وقد أوردت التوراة في سفر حزقيال أول لقاء بين حزقيال وبين الرب أو ملاك الرب.

وعندما رأى حزقيال ربه. خر ساجداً على وجهه. لٰكن الإلٰه أمره بالنهوض وقال له: (يا ابن آدم قم على قدميك أنا مرسلك إلى بني إسرائيل إلى أمة متمردة قد تمردت علي. هم وآباؤهم عصوا علي إلى ذات هٰذا اليوم. وهم إن سمعوا وإن امتنعوا لأنهم بيت متمرد يعلمون إن كان نبياً بينهم)[٢].

وقد أوحى الآلهة له مرات عدة وهو على ضفاف الفرات وقد عنف حزقيال سلوك بني إسرائيل، خاصة انحرافهم إلى العبادات الوثنية وتركهم إلٰههم. ويشخص أورشليم والسامرة كزانيتين تخونان على الدوام زوجهما (يهوه) مع عشاق آشوريين ومصريين. ويرمز حزقيال بذٰلك إلى خيانة الإسرائيليين لعقائدهم.

أما دانيال فتقول التوراة: (إنه حكيم ونبي عاش في القرن السادس قبل الميلاد في بابل وقد حافظ على ديانة التوحيد رغم أنه شغل مناصب عدة في بلاط ملوك وثنين، وقد تنبأ دانيال بسقوط بابل وانتقالها إلى يد الفرس وتحطيم الدولة الفارسية

---

(١) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ٢/ ١٧٧.
(٢) حزقيال ٢: ١ - ٥.

من قبل الإسكندر المقدوني وتفكك المملكة بعد موته، والحروب التي جرت بين الذين شقوا دولته.

وقد تنبأ دانيال بمجيء المسيح المخلص. وكذلك بالقيامة والحساب والعقاب تقول التوراة:

(كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي)[١].

وفكرة قيامة الموتى تعتبر تطوراً هائلًا في العقيدة اليهودية. إذ أن التوراتيين يبتعدون كثيراً عن تصور يوم البعث[٢]. ومن خلال قراءتنا لأسفار التوراة التي تتحدث عن أنبياء بني إسرائيل نرى أنهم جميعاً حاولوا جاهدين إرجاع بني إسرائيل إلى عقيدة التوحيد ولم يفلحوا إلَّا في فترات زمنية قليلة. والواقع أنهم بعد نزول توراة النبي موسى عليه السلام لم ينزل عليهم كتاب آخر. وقد كانت سمة التنبؤ لديهم تكمن فقط في قولهم أن الرب تراءى لهم وأمرهم بتصحيح اعوجاج قومهم.

***

(١) دانيال ١٢ : ٢.

(٢) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ٢/ ١٧٨.

المبحث الخامس
نبوة محمد (ﷺ) في التوراة والقرآن

محمد ﷺ خاتم النبيين وآخر سلسلتهم. ورسالته أكمل الرسالات وأعمها جاءت لتجمع كافة خصائص التوحيد التي سبقت منذ آدم ونوح وإبراهيم (عليهم السَّلام) حتى المسيح (عليه السلام).

وقد نص القرآن الكريم على نبوته وعالميه دعوته في كثير من الآيات القرآنية الكريمة. أنزل عليه القرآن الكريم من الله سبحانه عن طريق الوحي الأمين جبريل (عليه السلام) خلال ثلاث وعشرين سنة. وانتشر الإسلام في كافة أصقاع الدنيا وجميع المسلمين يرفعون شعار التوحيد (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله) وتمتاز خصائص نبوته بشموليتها وتكاملها، إن كان ذٰلك على المستوى الشخصي، أو كان على المستوى الغيببي أو على مستوى الدعوة(١).

١) فقد اصطفاه الله سبحانه ليكون أخر الأنبياء وخاتمهم.

٢) حياته قبل النبوة أربعون عاماً من التعبد التفكير والحماية الإلٰهية.

٣) أوحي إليه وكان الوحي جبريل (عليه السلام).

٤) اصطفاه الله بكتاب هو (القرآن الكريم) الذي تحدى الأنس والجن أن يأتوا بمثله.

٥) بدأ الدعوة فرداً وصمد في وجه الكفار حتى النهاية، ونشر الدعوة حتى عمت فأصبحت عقيدة إنسانية لا تقتصر على أمة أو شعب.

وعلى مدار التاريخ البشري عرفنا أنبياء حدثنا عنهم القرآن الكريم. فوجدنا بشراً، ولٰكنهم يختلفون عن البشر، حيث اصطفاهم الله سبحانه ليكونوا أنبياء. ومن

---

(١) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان/ حسن الباش/ ٢/ ١٨٩.

يصطفيه الله سبحانه لا بد أن يكون الاصطفاء. واقعاً فالنبي محمد عليه الصَّلاة والسَّلام أختاره الله سبحانه ليكون نبي آخر الزمان وخاتم النبيين ولم يدّع من نفسه النبوة أو يتمثلها بدافع شخصي ذاتي. يقول تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[1]. فالآية الكريمة توضح أن الله أختار هٰذا الإنسان ليكون خاتم النبيين ورسالته خاتمة الرسالات. ويقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾[2].

وهٰذا الاختيار الرباني لا يأتي عبثاً. فالنفوس التي يختارها الله لتحمل رسالة السماء هي نفوس تربيها الذات الإلٰهية تربية خاصة مميزة. وقد تربى النبي (ﷺ) لا أُمٌّ ترعاه ولا أبٌ. وكانت رعاية الله هي التي حفظته لأنها اختارته ليولد في هٰذا العالم ليكون أول نبي وآخر نبي يبعث للناس كافة وليس لقوم محددين والفرق بين من يختاره الله ليكون نبياً، وبين من يظن ظناً أنه سيكون نبياً فرق شاسع فقد أنتظر بعض الموحدين أن ينزل عليهم الوحي، ومن هٰؤلاء (أمية بن أبي الصلت) ولٰكن أرادة الله التي أوجدت محمداً اصطفته ليكون نبياً. وخلقت ظروفاً اجتماعية وتاريخية ونفسية ليكون خاتم الأنبياء هو الشخص بعينه في تاريخه قبل البعثة، عرف بالصدق والأمانة والاستقامة. لم يعبد الأوثان والأصنام. ولم ينحرف في مسيرة حياته، فكان المثل الأعلى في المجتمع الجاهلي المكي، وكانت تلك المسيرة الكريمة حجه على قريش والعرب والناس جميعاً. فصاحب الرسالة معروف بنسبه وسلوكه وأخلاقه.

لم يكن الرسول محمد (ﷺ) يعرف أنه سيكون نبي آخر الزمان. وخاتم المرسلين. فلذٰلك راعه وأرعبه نزول الوحي عليه فذهب إلى زوجته يرتجف.

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾[3]. فالتطلع إلى الرسالات العظيمة ليس بالتمني والأمل ولٰكن بالاختيار الرباني والطاقة عليها. وكم من طامحين لا يملكون إلّا

---

(١) سورة الأحزاب/ الآية ٤٠.

(٢) سورة سبأ/ الآية ٢٨.

(٣) سورة القصص/ الآية ٨٦.

الجرأة على الأمل. وكم من راسخين يطويهم الصمت حتى إذا كلفوا أتوا بالعجب العجاب.

نزل عليه الوحي وهو في سن النضج والاكتمال سن الأربعين وأنزل الله عليه القرآن ليتحدى ويعجز العقول والألباب. وتوالى نزول القرآن على قلبه حتى أكتمل بعد ثلاثٍ وعشرين سنة.

امتاز رسول الله (ﷺ) بأنه شاهد ومبشر ونذير. وقد عرف ذٰلك أهل الكتاب من اليهود والنصارى فأكثرهم حرَّف الصدق وقليل منهم أنصف وصدق[(١)].

لقد أنزلت التوراة الحقيقية على موسى (عليه السلام) قبل نزول القرآن على محمد (ﷺ) بحوالي (١٨٠٠ عام)، وأنزل الإنجيل على المسيح (عليه السلام) قبل نزول القرآن بحوالي (٥٧٠ عاماً). ولٰكن سلسلة الأنبياء الربانيين سلسلة واحدة (عقيدتها التوحيد). وكل نبي يمهد الطريق أمام النبي الآتي بعده، ويبشر قومه بقدومه ولو بعد زمن طويل. وهٰذا ما حدث فعلًا.

لقد بشرت التوراة بقدوم سيد المرسلين محمد (ﷺ). وكتبت أوصافه في ذٰلك الكتاب وجاءت هي نفسها الأوصاف التي جاء بها القرآن الكريم. وبشر بقدومه المسيح (عليه السلام). ولٰكن اليهود أنكروا وهم يعرفون وأخفوا الحقائق وهم يدركون.

ومما بشرت به التوراة عن النبي محمد (ﷺ) ما ورد في سفر التثنية في الإصحاح الثامن تقول: (وسوف أقيم لهم نبياً مثلك من بين أخوتهم وأجعل كلامي في فمه ويكلمهم بكل شيء أمره به ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا الذي أنتقم منه فأما النبي الذي يجترئ على الكبرياء ويتكلم باسمي بما لم به أو باسم آلهة أخرى فليقتل. وإذا أحببت أن تميز بين النبي الصادق والكاذب فهٰذه علاقتك إن ما قاله ذٰلك النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولذٰلك لا تخشاه). وقد قال اليهود: أن هٰذه البشارة ليوشع بن نون. ولٰكنهم يعرفون أن يوشع ليس كموسى. ومع أنهم كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبياً أخر غير

---

(١) القرآن والتوراة/ حسن الباش/ ٢/ ١٩١.

المسيح [١]. وقد أرسلوا ليوحنا المعمدان (يحيى) يسألونه عن نفسه فقالوا له أنت إيليا فقال: لا فقالوا أنت المسيح فقال: لا فقالوا أنت النبي فقال: لا فقالوا ما بالك إذا تعمد إذا كنت لست إيليا ولا المسيح ولا النبي فهٰذه تدل على أن التوراة تبشر بإيليا والمسيح ونبي لم يأت بعد وحتى زمن المسيح. ثم أن التوراة تقول في صفة النبي أنه مثل موسى وقد نصت في آخر سفر التثنية على أنه لم يقم في بني إسرائيل نبي مثل موسى وورد في هٰذه البشارة أن النبي الذي يفتري على الله يقتل. ونبينا مكث بين أعدائه الألداء المشتركين واليهود ثلاثاً وعشرين سنة يدعوهم فيها إلى الله. ومع ذٰلك عصمه الله منهم كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [٢].

وقد أخبرتنا هٰذه البشارة عن العلامة التي نعرف بها صدق النبي من كذبه وهي الأخبار بما سيأتي.

وقد أخبر النبي (ﷺ) عن أشياء كثيرة فحدثت كما أخبر عنها كغلبة الروم على الفرس.

وروى القاضي عياض في الشفاء أن عطاء بن يسار سأل عبد الله بن عمر بن العاص عن صفة رسول الله (ﷺ) فقال: أجل والله أنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [٣]. إذ تقول التوراة وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس يقظاً وغلظاً ولا صخّاباً في الأسواق. ولا يدفع السيئة بالسيئة. ولٰكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم ربه الملة العوجاء بأن يقولوا لا إلٰه إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وأذاناً صماً وقلوباً غلفاً) [٤]. وتقول التوراة في ذٰلك: (نابي أقيم لا يقيم مقارب أحيهم كاموخا إيلارتشماعون) وتفسيره (نبينا أقيم له من وسط أخوتهم مثلك به فليؤمنوا).

ويعلق (السمؤال بن يحيى المغربي) [٥]. على ذٰلك بقوله إنما أشار إلى أنهم

---

(١) المصدر السابق نفسه/ ٢/ ١٩٢. (٢) سورة المائدة/ الآية ٦٧.
(٣) سورة الأحزاب/ الآية ٤٥.
(٤) رواه البخاري في البيوع باب كراهية الصخب في الأسواق/ رقم ٢١٢٥.
(٥) السمؤال بن يحيى المغربي: حبر من أحبار اليهود في القرن السابع الهجري أسلم ورد على اليهود بكتاب مهم جداً أسمه (غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود) وتوفي من مراغة من أعمال أذربيجان.

يؤمنون بمحمد (ﷺ)، فإن قالوا: (إنه قال من وسط إخوتهم، وليس في عادة كتابنا أن نعني بقوله إخوتكم إلَّا بني إسرائيل. قلنا: بلى قد جاء في التوراة إخوتكم بنو العيص وذلك في الجزء الأول من السفر الخامس قوله: أنتم عابرون في تخم إخوتكم بني العيص المقيم في سعير إياكم أن تطمعوا في شيء من أرضهم). فإذا كان بنو العيص إخوة لبني إسرائيل لأن العيص وإسرائيل ولدا فلذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم. وإن قالوا إن هذا القول إنما أشير به إلى شموايل النبي (عليه السلام) لأنه قال من وسط إخوتكم مثلك وشموايل كان مثل موسى من أولاد ليوي. يعنون من السبط الذي كان منه موسى فلنسألهم. فإن كنتم صادقين فأي حاجة بكم إلى أن يوصيكم بالإيمان بشموايل وأنتم تقولون أن شموايل لم يأتِ بزيادة ولا ينسخ أشفق من أن لا تقبلوا لأنه أرسل ليقوي أيديكم على أهل فلسطين وليردكم إلى شرع يخالف تكذيبكم من ينسخ مذهبكم ويغير أوضاع ديانتكم. فالوصية بالإيمان به مما لا يستغني مثلكم عنه. ولذلك لم يكن بموسى حاجة أن يوصيكم بالإيمان بنبوة يرميا ويشعيا. وغيرهما من الأنبياء. وهذا يدل على أن التوراة أمرتهم في هذا الفصل بالإيمان بالمصطفى (عليه السلام) وأتباعه)[١].

ويرى البروفيسور عبد الأحد داود[٢]. أن الكلمات الواردة في التوراة في الفصل ٣٣ والجمل ٢ تنص على ما يأتي:

وجاء الرب في سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ قادماً من جبل فاران وجاء معه عشرة آلاف قديس ومن يده اليمنى يروق نار شريعة لهم.

ولم تكن لأي واحد من الإسرائيليين بما فيهم المسيح أية علاقة بفاران فإن هاجرَ مع ولدها إسماعيل تجولا في متاهات بئر السبع وهم الذين سكنوا بعد ذلك في قفار فاران.

وقد أفرد البروفيسور عبد الأحد داود كتاباً خاصاً تحت عنوان. محمد في

(١) غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود. السموأل بن يحيى الغربي. مخطوط ص٢٧.
(٢) عبد الأحد داود: هو كاهن مسيحي آشوري اسمه الأصلي بنجامين كلدافي. أستاذ في علم اللاهوت وقس سابقاً وهو من ديجالًا في إيران. اعتنق الإسلام (١٩٠٥ م) في استانبول.

الكتاب المقدس. حلل فيه كافة النبوءات الإشارات التوراتية والتي تشير إلى رسول الله محمد (ﷺ). كما حلل نصوص الإنجيل المرتبطة بالنبوءة الخاصة التي تقول بمجيء الرسول محمد (ﷺ).

وقد فضح القرآن الكريم تزييف أهل الكتاب للحقائق المتعلقة بنبوة النبي محمد (ﷺ). فهم يعرفون صفاته ومهماته من خلال كتابهم التوراة ومن خلال وصايا أنبيائهم بأتباعه والسير على طريقه. يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[2].

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾[4]. ويقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[5]. ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾[6]. ويقول تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾[7].

---

(١) سورة البقرة/ الآية ١٤٦.
(٢) سورة الأعراف/ الآية ١٥٧.
(٣) سورة البقرة/ الآية ٩١.
(٤) سورة النساء/ الآية ١٦٢.
(٥) سورة البقرة/ الآية ٨٩.
(٦) سورة آل عمران/ الآية (٧٠ - ٧١).
(٧) سورة آل عمران/ الآية ٨٦.

الخاتمة

وبعد أن وصلنا إلى نهاية هٰذه الدراسة، نذكر بعض ما توصلنا إليه من نتائج وتوصيات ومن أهمها:

أولا: أهم النتائج:

١) إن التوراة التي بين أيدينا اليوم، لا علاقة لها بالتوراة المنزلة على موسى (عليه السلام) في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ولم يتحقق العلماء حتى الآن من لغتها والخط الذي دونت به لأنها فقدت بعد موسى (عليه السلام).

٢) إنه توجد توراتان: إحداهما للسامريين والأخرى للعبرانيين. بينما الاختلاف كبير خاصةً في عمر الآباء الأقدمين مع أن مضامين كلتا التوراتين تتناقضان مع الحقائق العلمية الحديثة، وتوراة السامريين لم نتحقق من الزمان الذي دونت فيه، أما توراة العبرانيين فأنها ترجع إلى عهد عزرا في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد.

٣) إن التوراة التي بين أيدينا اليوم لا علاقة لها بالتوراة المنزلة على موسى (عليه السلام) وأنها محرفة كتبها اليهود في السبي البابلي - بعد زمان موسى بوقت طويل - سعياً نحو هدف أساسي وهو ترسيخ الخرافات في أذهان اليهود وإقناعهم بحق مكذوب في أرض غريبة عنهم.

٤) إن اليهود الأقدمين الذين سكن بعضهم فلسطين وأقام مملكة يهودية لفترة من الزمن فيها لا علاقة لهم بيهود اليوم الذين يغتصبون فلسطين بدعوى: «وعد الرب في أرض الميعاد»، حيث أنهم خليط من شتى بقاع العالم.

٥) إن اليهود قد سخروا توراتهم المحرفة خدمة لأغراضهم التوسعية

والعدوانية وروح التعالي على حساب مصالح الشعب العربي.

٦) إن مقارنة بين ما جاء في القرآن الكريم والتوراة - من حقائق تاريخية وعلمية - تظهر أن بينهما اختلافاً شاسعاً؛ لكون التوراة قد تعرضت للتحريف مرات عديدة، أما القرآن الكريم فقد تكفل الله تعالى بحفظه وصيانته من كل غش وتلاعب.

ثانياً: التوصيات:

١) تشجيع الباحثين للدراسة والتوسع في العلوم التي تتناول الأديان الأخرى. وتوفير الوسائل المساعدة للبحث ليتمكن الباحث بالوصول إلى النتائج المرجوة من ذلك.

٢) أن يدرس الباحث مادة التاريخ في عصوره المختلفة. لكون التاريخ مرتبط ارتباطاً وثيقاً في كثير من العلوم التي تتناول الأديان السماوية.

٣) ترجمة بعض الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية حتى لا يكون الباحث في حيرة من أمره.

***

المصـــادر

القران الكريم.

أ - الكتب المقدسة:

(١) إنجيل يسوع المسيح لـ لوقا، دار المعارف القاهرة ١٩٧٨م ترجمة (لجنة اعتمدت تشكيل البابا كيرلس السادس مكون من: الأنباغريغوريدس وزكي شنوده ود.بأهور ليب ومحلي مراد.

(٢) التوراة السامرية (باللغة العربية) مطبعة دار البيان القاهرة/ ١٩٧٨م ترجمة الكاهن السامري أبو حسن إسحاق الصوري وأعداد ودراسة د.أحمد حجازي السقا.

(٣) التوراة العبرانية (باللغة العربية). مطبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط/ ١٩٨٥.

(٤) الكتاب المقدس (العهد العتيق والعهد الجديد) ط٢ مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين - بيروت - ١٨٨٢م.

(٥) الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد). إصدار جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى - بيروت ١٩٧٧م.

ب - الكتب والرسائل:

(١) إسرائيل والتلمود/ إبراهيم خليل أحمد/ القاهرة، مكتبة الواعي العربي، ط٢، ١٩٨٣.

(٢) إسرائيل فتنة الأجيال/ القاهرة/ ١٩٨٥.

(٣) إسرائيل حرفة الأناجيل والأسفار المقدسة/ د.أحمد عبد الوهاب/ ط١/ مطبعة

الاستقلال الكبرى - القاهرة - ١٩٧٢م.

(٤) أصول الدين في الدين اليهودية، د.إسماعيل راجي الفاروقي/ القاهرة، ١٩٦٣م/ ١٩٦٤م.

(٥) أزيلوا إسرائيل هٰذا هو الحل/ د. آيلين بيتي/ دار العلم للملايين بيروت ط١ سنة ١٩٥٧م.

(٦) إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الرحمٰن العثماني الكيرانوي الهندي (الإمام العلامة الشيخ، ت ١٣٠٨هـ - ١٨٨١ م)، مطبعة الرسالة - القاهرة/ ١٩٦٤م.

(٧) الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية/ سامي سعيد الأحمد/ مطبغة الإرشاد - بغداد - سنة ١٩٦٩م.

(٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (المشهور بتفسير البيضاوي)/ عبد الله بن عمر البيضاوي (ناصر الدين أبو الخير، ت ٧٩١هـ)/ ط٢/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة/ ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

(٩) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة/ عبد القادر شيبة الحمد/ مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر/ جدة/ السعودية/ ١٣٨٧هـ.

(١٠) الأيدلوجية الصهيونية/ عبد الوهاب محمد المسيري (الدكتور) - الكويت - سلسلة عالم المعرفة/ المجلس الوطني للثقافة والفنون/ ط/ ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.

(١١) الاقتصاد السياسي الإسرائيلي: فؤاد مرسي (الدكتور).

(١٢) الأصيل والدخيل في نص العهد القديم: يوسف داغر المخلص (الأب)، بحث منشور في مجلة (الرسالة المخلصية) ص٢٣ ع٣ (آذار ١٩٥٦ ص٢٣٥ - ٢٥٠).

(١٣) الاستعمار والصهيونية العالمية: محمد مصباح حمدان/ المكتبة العصرية/ ١٩٦٧ (لم يذكر مكان الطبع).

(١٤) الادعاءات الصهيونية والرد عليها/ عبد الحميد رشوان/ القاهرة/ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ١٩٧٧م.

(١٥) إسرائيل قيامها واقعها مصيرها: محمد كمال الدسوقي (الدكتور)

وعبد التواب عبد الرزاق، دار المعارف/ مصر/ القاهرة/ ١٩٦٨م.

(١٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المشهور بتفسير أبو السعود: محمد بن محمد العمادي (القاضي أبو السعود ت٩٥١)، طبعة جديدة، دار إحياء التراث العربي - بيروت (د.ت).

(١٧) أوضح التفاسير: محمد بن محمد عبد اللطيف بن الخطيب، ط٧ - المطبعة المصرية ومكتبتها - القاهرة (د.ت).

(١٨) بذل المجهود في إفحام اليهود/ السموأل بن يحيى بن عباس المغربي (أبو العباس ت ٥٧٠ هـ)/ مطبعة الفجالة الجديدة/ القاهرة/ (د. ت). تقديم: محمد الشامي.

(١٩) بنو إسرائيل بين نبأ القرآن الكريم وخبر العهد القديم/ بيروت/ عالم الكتب/ ط١/ ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

(٢٠) بروتوكولات حكماء صهيون/ عجاج نهويض/ بيروت/ من منشورات مجلة فلسطين المحتلة/ ط٢ ١٩٨٠م.

(٢١) بصائر ذوي التمييز في الطائف الكتاب العزيز: محمد بن يوسف الفيروزآبادي (مجد الدين ت ٨١٧هـ)، مؤسسة دار التحرير - القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، تحقيق: جماعة من العلماء.

(٢٢) بن غوريون وبناة إسرائيل: محمود العايدي/ منشورات وزارة الثقافة والإعلام، المطبعة الأردنية، عمان/ ١٩٦٩م.

(٢٣) البيان في تفسير القرآن: محمد بن الحسن الطوسي (شيخ الطائفة أبو جعفر ٣٨٥ - ٤٦٠هـ، المطبعة العلمية - النجف الأشرف ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م،تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قيصر العاملي وأحمد شوقي الأمين.

(٢٤) بنو إسرائيل في القرآن والسنة (رسالة دكتوراه): محمد سيد طنطاوي (الدكتور)، ط١، دار حراء - القاهرة - ١٣٨٨هـ - ١٩٨٦م.

(٢٥) البشارات والمقارنات بين القرآن والعهدين: محمد الصادقي الطهراني (اندكتور)، ط١، مطبعة الغربي الحديثة - النجف الأشرف ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

(٢٦) بشرى الخلاص (حياة سيدنا المسيح من خلال الأناجيل الأربعة): يوسف

نعمات (الأب)، ط٢، البطركية اللاتينية الأورشليمية سنة ١٩٨١م.
(٢٧) التلمود والصهيونية/ د.أسعد رزوق/ منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - القاهرة - ١٩٧٠م - سلسلة فلسطينية رقم (٣).
(٢٨) توازن القوى بين العرب وإسرائيل/ أمين النفوري/ دار الاعتدال للطباعة والنشر/ دمشق، ط١، سنة ١٩٦٨م.
(٢٩) التوراة - العقل - العلم والتاريخ/ بدران البدران/ القاهرة.
(٣٠) تفسير القرآن العظيم المسمى بالسراج المنير،الخطيب الشربيني (الفقيه الشافعي ت٩٧٧هـ - ١٥٦٩م)/ / ط٢/ (بالأوفسيت) دار المعارف بيروت (د. ت).
(٣١) تاريخ شعب العهد القديم، ديلي (الأب)/ المطبعة الكانوليكية بيروت ١٩٦٢ - عرّبه: الأب جرجس ما رديني.
(٣٢) تدوين الكتب المقدسة (التوراة - الإنجيل - القرآن)، حميد عادل يزدين: (رسالة ماجستير)، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م - جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية.
(٣٣) تاريخ شعب إسرائيل/ ارنيست رينان.
(٣٤) تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية/ سعدون الساموك (الدكتور). ورشدي عليان/ مديرية دار الكتب للطباعة والنشر/ جامعة الموصل/ ١٩٨٨م.
(٣٥) التاريخ في العهد القديم/ سكرور.
(٣٦) التوراة، تاريخها - وغايتها (ترجمة) ط٢/ سهيل ديب - دار النفائس - بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
(٣٧) تاريخ العالم/ السيرجون. أ. هامرتن/ القاهرة/ مجلد ٢/ ط٢/ ١٩٥٩م.
(٣٨) تاريخ إسرائيل/ شاهين ميكاريوس، ت (١٨٥٣ - ١٩١٠ م)/ مطبعة المقطف - القاهرة/ ١٩٠٤م.
(٣٩) التلمود، أصله، وتسلسله، وآدابه (ترجمة وشرح)/ شمعون يوسف مويال (الدكتور)/ مطبعة العرب (بدون ذكر مكانها)/ سنة ١٩٠٩ م/ سنة ٥٧٦٩ للخليقة.
(٤٠) التعليم المقدس أو تعاليم الحاخامين اليهود/ (أ) أبو صادق/ دار منشورات البصري/ بغداد ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
(٤١) التراث اليهودي والفكر الفرويدي/ أضواء على الأصول الصهيونية/ صبري

جرجس/ عالم الكتب مطبعة مخيمر/ القاهرة/ ١٩٧٠م.

(٤٢) تفسير القرآن العظيم - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (الإمام الجليل الحافظ..) ت٧٧٤ هـ/ دار العلم بيروت - لبنان (د.ت).

(٤٣) التوراة الهيروغليفية: فؤاد حسنين علي (الدكتور)، دار الكاتب العربي - القاهرة (د.ت).

(٤٤) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث: ابن كمونة الإسرائيلي.

(٤٥) التلمود شريعة بني إسرائيل: محمد صبري/ القاهرة/ مكتبة مدبولي (د.ت).

(٤٦) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: محمد عزة دروزة، مكتبة نهضة مصر، الفجالة١٣٧٧ - ١٩٥٨.

(٤٧) التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة/ ١٣٨١ - ١٩٦٢م.

(٤٨) التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط: محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي (٦٥٤ - ٧٥٤هـ)، مكتبة ومطابع النصر الحديثة - الرياض (د.ت).

(٤٩) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم/ ط١/ (ترجمة نخبة من الدعاة) وأشرفت على هٰذه الترجمة (مجلة الفكر الإسلامي) الصادرة عن دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية - بيروت - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

(٥٠) تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها: نعوم بك شقير/ مطبعة المعارف/ مصر/ القاهرة (د.ت).

(٥١) تاريخ سورية الدنيوي والديني: يوسف إلياس الدبس الماروني (المطران ١٨٣٣ - ١٩٠٧ م)، المطبعة العمومية الكاثوليكية المارونية - بيروت ١٨٩٣ - ١٩٠٥م.

(٥٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم/ طنطاوي جوهري (الشيخ)/ ط٢/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة/ ١٣٥٠هـ.

(٥٣) الجذور الأيدلوجية للمفاهيم الإسرائيلية حول الحدود/ عمر الخطيب/ مجلة مركز الدراسات الفلسطينية/ بغداد/ عدد ٣٤ - ٣٥/ ١٩٧٩م.

(٥٤) جذور البلاء/ عبد الله التل (الدكتور)/ ط١/ مطابع دار القلم - بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

(٥٥) جامع العلوم في إصلاحات الفنون/ عبد النبي عبد الرسول الأحمد (القاضي فكري).

(٥٦) الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر (أبو عبد الله القرطبي ت٦٧١ هـ)، دار الكتاب العربي - القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

(٥٧) حياة إبراهيم: محمود شلبي، مكتبة القاهرة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

(٥٨) الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون): محمد خليفة التونسي/ مطبعة السنة المحمدية/ القاهرة/ ١٩٧٢م.

(٥٩) دائرة المعارف/ بطرس البستاني (المعلم ١٨١٩ - ١٨٨٣م) مطبعة المعارف بيروت ١٨٧٦م.

(٦٠) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (مترجم): موريس بوكاي (الطبيب الفرنسي)،ط٤، دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٧م.

(٦١) دراسة الأسفار والتوراة والعهد القديم/ عمر الطيبي/ المطبعة التعاونية (بدون ذكر محلها) سنة ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

(٦٢) دعوى الصهيونية في حكم القانون الدولي: محمد طلعت الغنيمي (الدكتور)/ مطبعة جامعة الإسكندرية/ مصر/ ١٩٧٠م.

(٦٣) دليل القضية الفلسطينية/ إبراهيم العابد (أسئلة وأجوبة)

(٦٤) رسالة اللاهوت والسياسة. حسن حنفي (الدكتور) (ترجمة وتقديم)/ مراجعة د. فؤاد زكريا

(٦٥) روح الدين الإسلامي - عفيف عبد الفتاح طبارة، ط٢١، دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٨١

(٦٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود البغدادي الآلوسي (أبو الفضل شهاب الدين ت ١٢٧٠ هـ)، المطبعة المنيرية، القاهرة - ١٣٤٥هـ.

(٦٧) رد على اليهودية واليهودية المسيحية: ندرة اليازجي، ط١، مطبعة الآداب والعلوم - دمشق - ١٩٦٩م.

(٦٨) زاد المسير في علم التفسير/ عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي (أبو

الفرج جمال الدين البغدادي ٥٠٨ - ٥٩٧ هـ/ ط١/ المكتب الإسلامي/ دمشق وبيروت/ ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧

(٦٩) الشخصية اليهودية عبر التاريخ/ جودة السعد/ ط١/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت/ ١٩٨٥م.

(٧٠) الشخصية اليهودية الإسرائيلية - العدائية، رشاد عبد الله الشامي (الدكتور) - سلسلة عالم المعرفة.

(٧١) صبح الأعشى/ أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (الشيخ أبو العباس) ت ٨٢١/ المطبعة المنيرية/ القاهرة - ١٣٣٧ - ١٩٢٨م.

(٧٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية إسماعيل بن حماد الجواهري (ت ٣٩٣هـ - ١٠٠٥م) ط٢٠، دار العلم للملايين - بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تحقيق. أحمد عبد الغفور عطار.

(٧٣) الصراع العظيم في سيرة الآباء والأنبياء/ الزهوايت.

(٧٤) الصهيونية وربيبتها إسرائيل - عمر رشدي/ مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥م.

(٧٥) الصهيونية العالمية... وأرض الميعاد، علي إمام عطية، ط١، مطابع دار الشعب - القاهرة ١٣٨٣هـ.

(٧٦) الصهيونية والعنصرية: فايز صايغ/ حول قرار الأمم المتحدة التاريخي.

(٧٧) الصهيونية في الكتاب المقدس: الفريد جيوم.

(٧٨) العلم والمدنية: محمد علي صبح.

(٧٩) عروبة فلسطين في التاريخ/ محمد أديب العامري/ المكتبة العصرية - بيروت/ ١٩٧٤م.

(٨٠) العقائد، محمد عنايت، مطبوعات مجلة العصور لنشر المعرفة والآداب/ سنة ١٩٢٨.

(٨١) العبور إلى القدس/ عرفات حجازي/ ط١/ سنة ١٩٧٤ م/ (لم يذكر مكان الطبع).

(٨٢) العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة والإسلامية - علي حسين الخربوطلي، معهد البحوث والدراسات

العربية/ القاهرة/ ١٩٦٩م.

(٨٣) فضح اليهود (تعاليم الحاخامات السرية)/ برناليتس (أي. بي. برناليتس)(ط١/ بيروت - ١٩٧٤م أعداد زهري الناتج.

(٨٤) الفولكلور في العهد القديم، جيمس جورج فريزر (١٨٥٤ - ١٩٤١ م)/ الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٢م، ترجمة د. نبيلة إبراهيم. ومراجعة د.حسن ظاظا.

(٨٥) في مواجهة إسرائيل/ إسماعيل صبري عبد الله، سلسلة أقرأ ٣١٩، دار المعارف، مصر، القاهرة/ ١٩٦٩م.

(٨٦) الفكر الديني الإسرائيلي (أطواره ومذاهبه)، حسن ظاظا (الدكتور)،معهد البحوث والدراسات الفلسطينية، سنة ١٩٧١م.

(٨٧) فلسطين في ضوء القانون الدولي،حسن الجلبي (الدكتور)/ معهد البحوث والدراسات العربية سنة ١٩٦٩م.

(٨٨) في سوسيولوجية الصراع العربي الإسرائيلي/ سعد الدين إبراهيم/ ط١/ دار الطلبة للطباعة والنشر بيروت/ ١٩٧٧م.

(٨٩) فتح البيان في مقاصد القرآن/ صديق حسن خان (العلامة المحقق، ت ١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م) مطبعة العاصمة/ القاهرة/ (د. ت)/ الناشر عبد المحي علي محفوظ.

(٩٠) فصول من الكتاب المقدس/ عزرا حداد، ط١، مطبعة الاعتماد - بغداد - ١٩٤٧ - إصدار لجنة المدارس الإسرائيلية ببغداد.

(٩١) الفصل في الملل والأهواء والنحل - علي بن حزم الأندلسي الظاهري (الإمام أبو محمد ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ) - مكتبة المثنى ببغداد.

(٩٢) في الطريق إلى الإسلام/ د.أحمد نسيم سوسه/ المطبعة السلفية - القاهرة، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م

(٩٣) قاموس الكتاب المقدس، جورج يوسف (الدكتور ١٨٣٨ - ١٩٠٩)/ ط١، المطبعة الأميركانية - بيروت ١٣٠٩ - ١٨٩٤م.

(٩٤) القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يتفرقان، حسن مصطفى الباش/ / دمشق/ دار

قتيبة/ ط١/ ١٩٩٧م.
(٩٥) قصص الأنبياء/ عبد الوهاب النجار/ ط٣/ دار إحياء التراث العربي - بيروت - (د. ت).
(٩٦) قصص الأنبياء/ منشورات مكتبة النهضة - بغداد - ١٩٨٣.
(٩٧) القدس ومعاركنا الكبرى: محمد صبيح حمدان، دار الشعب، القاهرة (د.ت).
(٩٨) قاموس الكتاب المقدس: نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، ط٢، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى - بيروت - ١٩٧١م.
(٩٩) قصة الحضارة: ول ديورانت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٦٤، ترجمة جماعة من العلماء.
(١٠٠) كيف وصلنا العهد القديم/ أحد الآباء الراهبات/ بطريقة الأقباط الأرثوذكس - القاهرة ١٩٨٣
(١٠١) كتابنا المقدس/ بيشوي (الراهب مكسيموس)
(١٠٢) الكشاف الفريد في معادل الهرم ونقائض التوحيد، خالد محمد علي الحاج/ - مطابع الدوحة الحديثة في قطر ١٩٨٣م.
(١٠٣) الكتاب المقدس كتاب كل العصور/ غريغوريوس (الأنبا)، أسقفية الدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي - القاهرة - ١٩٧٣.
(١٠٤) الكتاب المقدس والمكتشفات الحديثة: فكتور (الأب)، ط١/ ١٩٩٠.
(١٠٥) كتاب جمهرة اللغة: محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣ - ٣٢١هـ)، ط١، دائرة المعارف - حيدر آباد بالهند - ١٣٤٤هـ.
(١٠٦) الكتب التاريخية في العهد القديم: مراد كامل (الدكتور)، المطبعة الفنية الحديثة - القاهرة - ١٩٦٨م.
(١٠٧) كيف نما الشعب اليهودي: مردخاي آي سولوف.
(١٠٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر الزمخشري (الإمام جار الله ت٥٣٨ هـ)، نشر دار الكتاب العربي ببيروت (د.ت).
(١٠٩) الكنز المرصود في قواعد التلمود (ترجمة) يوسف نصر الله/ ط٢، بيروت

١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

(١١٠) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ)، دار صادر ودار بيروت - ١٣٧٤ - ١٩٥٥م.

(١١١) مفصل العرب واليهود في التاريخ (حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية)، احمد سوسه ط٥ - دار الحرية - بغداد - ١٩٨١م

(١١٢) الملل المعاصرة في الدين اليهودي، د.إسماعيل راجي الفاروقي/ القاهرة، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(١١٣) محيط المحيط/ طبع ببيروت ١٢٨٦هـ - ١٨٧٠م أعادت نشره لبنان بيروت.

(١١٤) موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية/ زكي شنودة المحامي/ ط١/ مكتبة النهضة المصرية/ القاهرة/ ط/ ١٩٧٣م.

(١١٥) المرشد إلى الكتاب المقدس/ سيكل سيل (القس)/ بيروت/ ١٩٥٨ م/ الجزء الثاني والثالث

(١١٦) الماسونية بلا قناع/ مطبعة دار البصري - بغداد/ ١٩٦٧م.

(١١٧) الماسونية ذلك العالم المجهول/ عبد الحليم إلياس (الخوري)/ دار العلم للملايين/ بيروت

(١١٨) الملل والنحل/ عبد الكريم الشهرستاني (أبو الفتح ت ٥٤٨ هـ) (مطبوع مع كتاب الفصل لأبن حزم الأندلسي).

(١١٩) مدارك التنزيل وحقائق التأويل/ عبد الله بن أحمد النسفي (الإمام حافظ الدين، ت ٧٠١ هـ)/ المطبعة البهية المصرية/ القاهرة/ ١٣١٨ هـ/ (مطبوع على هامش تفسير الخازن).

(١٢٠) موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية/ عبد الوهاب المسيري (الدكتور)، وسوسن حسين/ مطبعة الأهرام/ القاهرة/ ١٩٧٤م.

(١٢١) محنة التوراة على أيدي اليهود/ عصام الدين حنفي ناصف/ القاهرة/ دار العلم الجديد/ ط١/ ١٩٧٥م.

(١٢٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر - علي بن الحسين بن علي المسعودي - أبو الحسن ٣٤٦هـ، ط٤ مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٨٤ - ١٩٦٤م، تحقيق

محمد محي الدين عبد الحميد.
(١٢٣) ميزان الحق: فاندر (الدكتور).
(١٢٤) مجمع البيان في تفسير القرآن: الفضل بن الحسين الطبرسي (الشيخ أبو علي ت٥٤٨ هـ)،ط٢، نشر: دار الفكر ودار الكتاب اللبناني، ببيروت ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.
(١٢٥) مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً: ليلى حسن سعد الدين.
(١٢٦) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ)،دار الكتاب العربي - ببيروت، (١٤٠٠هـ - ١٩٨١ م).
(١٢٧) المنطق (مجموعة محاضرات): محمد رضا المظفر/ ط١/ مطبعة الزهراء - بغداد - ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م.
(١٢٨) موقع العقيدة من الفكر الصهيوني: محمد محمود ربيع (الدكتور)/ مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، عدد ٤٢ - ٤٣/ ١٩٨١م.
(١٢٩) مدى مشروعية أسانيد السيادة الإسرائيلية في فلسطين: محمد إسماعيل السيد/ عالم الكتب، القاهرة/ ١٩٧٥م.
(١٣٠) المستصفى من علم الأصول: محمد بن محمد أبو حامد الغزالي،ت ٥٠٥هـ،دار صادر بيروت،ط (١) ١٩٩٥.
(١٣١) المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل: محمود نعناعة/ دار الاعتدال للطباعة والنشر/ دمشق/ ط١/ ١٩٦٨م.
(١٣٢) مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، ط٧ (منقحة) المطبعة الأمريكية - بيروت - ١٩٣٧
(١٣٣) المنجد في اللغة: المطبعة الكاثوليكية.
(١٣٤) المورد (قاموس انكليزي - عربي):منير البعلبكي، ط١، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٧م
(١٣٥) مقتنيات الدرر: مير سيد على الحائري الطهراني (المعروف بالمفسر)، مطبعة الحيدري - طهران ١٣٣٧هـ. ش.

(١٣٦) المفسدون في الأرض: ناجي (س. ناجي)، ط٢، العربي - دمشق ١٩٧٣م.
(١٣٧) مصر والشرق الأدنى القديم: نجيب إبراهيم ميخائيل (الدكتور) - سورية/ ط١، دار المعارف - القاهرة/ ١٩٥٩م. المدخل إلى العهد القديم: هيريال شتراك.
(١٣٨) مدخل إلى قراءة الإنجيل: ميخائيل جميل (الأب)، بحث منشور في مجلة (الفكر المسيحي) ص١٢ ع١١٣ و١١٤و١١٥ (آذار ونيسان وأيار ١٩٧٦) ص١١٨ - ١٢٤ و١٥٠ - ١٥٥و٢١٠ - ٢١٤ على التوالي.
(١٣٩) مجلة الأبحاث الدينية: مور (الأب).
(١٤٠) المسيح في مصادر العقائد المسيحية/ دار غريب للطباعة - ط١/ ١٩٧٨ - القاهرة.
(١٤١) نظرة على الخطر الصهيوني، حاتم صادق، دار المعارف - مصر - القاهرة/ ١٩٦٨م.
(١٤٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية: لويس شيخو اليسوعي (الأب ١٨٥٩ - ١٩٢٧ م)،مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين - بيروت ١٩١٢.
(١٤٣) همجية التعاليم الصهيونية بولص حنا مسعد/ تقدم محمد خليفة التونسي/ دار الكتاب العزي، بيروت، ط١، ١٩٦٩م.
(١٤٤) الهدى إلى دين المصطفى: محمد جواد البلاغي (الشيخ ت ١٩٣٣ م)،ط٢، المكتبة الحديثة، ومطبعتها النجف الأشرف ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
(١٤٥) هٰؤلاء اليهود بين الإسلام والمبادئ والأديان: محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي، مطبعة الآداب - النجف الأشرف (د.ت).
(١٤٦) الوحدانية مع دراسة في الأديان والفرق/ د.بركات عبد الفتاح دويدار.
(١٤٧) وثيقة الصهيونية في العهد القديم، جورجي كنعان (الدكتور) س بيروت/ ط/ ١٩٨٢.
(١٤٨) وعد الله ليس لبني إسرائيل: محمود عبد الرحمٰن عبد اللطيف، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط ١٩٧١م.
(١٤٩) اليهود في القرآن/ السيد سابق/ القاهرة/ الفتح للإعلام العربي -

ط٣/ ١٣١١هـ - ١٩٩٢ م

(١٥٠) اليهود بين الدين والتاريخ/ صابر طعيمة/ ط١/ دار الجيل - بيروت - ١٩٧٦م.

(١٥١) اليهودية والصهيونية وإسرائيل/ عبد الوهاب محمد المسيري (الدكتور) - المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ ط١/ ١٩٧٥م.

(١٥٢) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى/ غوستاف لوبون (الدكتور)، عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٧٠ ترجمة عادل زعيتر.

(١٥٣) اليهود ... قديماً وحديثاً: محمد إبراهيم الجنابي (الشيخ)، مطبعة الآداب - النجف الأشرف ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

(١٥٤) اليهودية، د. احمد شلبي/ مطبعة النهضة المصرية/ القاهرة/ سلسلة مقارنة الأديان رقم (١).ط(١) ١٩٦٩.

ج - المقالات والبحوث

(١٥٥) (١٥٣) (كلمة توراة) بحث منشور في مجلة (المشرق): أوغسطين مرمرجي الدومنيكي (الأب) م٢٩ لسنة ١٩٣١ ص٤١١ - ٤١٨ و٤٩٨ - ٥٠٤.

(١٥٦) (١٥٤) الجامعة (مجلة) مقال (الفلسفة التناشحية) س١ ع٢ ص٩٧ - ١١٢، مطبعة العراق - بغداد (شوال ١٣٤٤هـ نيسان ١٩٢٦م.

(١٥٧) (١٥٥) العربي (مجلة) استطلاع عن نابلس (السامريون طائفة لا نظير لها في العالم) ع٢٩ لسنة ١٩٦١ ص٨٣ - ٨٦.

فهرس المحتويات

- الفصل التمهيدي ١١
- المبحث الأول: نزول التوراة ١٣
- المبحث الثاني: تدوين التوراة........................ ١٦
- المبحث الثالث: موقف العلماء من التوراة........ ٣٥
- المبحث الرابع: بنو إسرائيل والتوراة ٥٠
- الفصل الأول: تعريفات التناقض وبيان الألفاظ المرادفة له ٧٧
- المبحث الأول: تعريف التناقض لغةً واصطلاحاً.... ٧٩
- المطلب الأول: التناقض في اللغة.................. ٧٩
- المطلب الثاني: التناقض اصطلاحاً ٨١
- المبحث الثاني: تعريف التوراة لغةً واصطلاحاً ٨٦
- المطلب الأول: التوراة لغة ٨٦
- المطلب الثاني: التوراة اصطلاحاً.................. ٨٩
- المبحث الثالث: الألفاظ المرادفة للتناقض ٩٤
- المبحث الرابع: التوراة في القرآن الكريم ٩٩
- المطلب الأول: التوراة في القرآن الكريم ٩٩
- المطلب الثاني: كتاب التوراة...................... ١٠٧
- الفصل الثاني: التناقض في الأسفار الخمسة وأثره ١١٧
- المبحث الأول: التناقض في الأسفار الخمسة...... ١١٩
- المطلب الأول: التناقض في سفري التكوين والخروج........................ ١٢١
- المطلب الثاني: التناقض في أسفار اللاويين والعدد والتثنية........................ ١٥٢
- المبحث الثاني: أثر التناقض في الأعمال السلبية .. ١٦٤
- المطلب الأول: أرض الميعاد ١٦٦
- المطلب الثاني: شعب الله المختار ١٨٤
- المطلب الثالث: أثر التناقض في فساد عقيدتهم ... ١٩٥
- أولاً: مع الله تعالى ١٩٥
- ثانياً: مع الأنبياء (عليهم السَّلام) ١٩٨
- المطلب الرابع: أثر التناقض في فساد أخلاقهم ٢٠٣
- أولاً: علاقتهم مع الآخرين........................ ٢٠٣
- ثانياً: علاقتهم مع أنفسهم ٢٠٧
- الفصل الثالث: المقارنة بين ما جاء في التوراة والقرآن الكريم ٢١١
- المبحث الأول: خلق السماوات والأرض.......... ٢١٣
- المطلب الأول: رواية الخلق في التوراة ٢١٥
- المطلب الثاني: رواية الخلق في القرآن الكريم ٢١٧
- المبحث الثاني: قصص الأنبياء.................... ٢٢٦
- المبحث الثالث: أنبياء في القرآن الكريم لا وجود لذكرهم صراحة في التوراة........................ ٢٥٦
- المبحث الرابع: أنبياء في التوراة لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم ٢٦٠
- المبحث الخامس: نبوة محمد ﷺ في التوراة والقرآن الكريم ٢٦٦
- الخاتمة والتوصيات ٢٧٣
- المصادر........................ ٢٧٥

HD

١ - ضرورة التعريف بحقيقة زيف وتحريف التوراة.
٢ - الكشف عن العقيدة اليهودية الزائفة والمنحرفة.
٣ - الكشف عن الأثر السلبي في أعمال الشخصية اليهودية.
٤ - تسليط الضوء على الأطماع الصهيونية وفق ما جاء في التوراة المحرّفة.
٥ - قلة الدراسات الجادة التي تنطلق من الفهم العربي والإسلامي لمخاطر هذا التحريف وفق تصور العقل الصهيوني المعاصر.
٦ - محاولة لفت أنظار الباحثين للتركيز على مثل هذه الدراسات، وخاصة في هذا الزمن الصعب، زمن العلوّ الصهيوني الاستعماري الأمريكي.

وقد توصّل الباحث في خاتمة بحثه إلى جملة من النتائج والتوصيات، وهي:

أولاً: أهم النتائج:

١) إن التوراة التي بين أيدينا اليوم، لا علاقة لها بالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام في حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ولم يتحقق العلماء حتى الآن من لغتها والخط الذي دونت به لأنها فقدت بعد موسى عليه السلام.

٢) إنه توجد توراتان: إحداهما للسامريين والأخرى للعبرانيين بينما الاختلاف كبير خاصةً في عمر الآباء الأقدمين مع أن مضامين كلتا التوراتين تتناقضان مع الحقائق العلمية الحديثة، وتوراة السامريين لم نتحقق من الزمان الذي دونت فيه، أما توراة العبرانيين فإنها ترجع إلى عهد عزرا في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد.

٣) إن التوراة التي بين أيدينا اليوم لا علاقة لها بالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام وأنها محرّفة كتبها اليهود في السبي البابلي - بعد زمان موسى بوقت طويل - سعياً نحو هدف أساسي وهو ترسيخ الخرافات في أذهان اليهود وإقناعهم بحق مكذوب في أرض غريبة عنهم.

٤) إن اليهود الأقدمين الذين سكن بعضهم فلسطين وأقام مملكة يهودية لفترة من الزمن فيها لا علاقة لهم بيهود اليوم الذين يغتصبون فلسطين بدعوى: «وعد الرب في أرض الميعاد»، حيث إنهم خليط من شتى بقاع العالم.

٥) إن اليهود قد سخّروا توراتهم المحرّفة خدمة لأغراضهم التوسعية والعدوانية وروح التعالي على حساب مصالح الشعب العربي.

٦) إن مقارنة بين ما جاء في القرآن الكريم والتوراة - من حقائق تاريخية وعلمية - تظهر أن بينهما اختلافاً شاسعاً؛ لكون التوراة قد تعرضت للتحريف مرات عديدة، أما القرآن الكريم فقد تكفّل الله تعالى بحفظه وصيانته من كل غش وتلاعب.

ثانياً: التوصيات:

١) تشجيع الباحثين للدراسة والتوسع في العلوم التي تتناول الأديان الأخرى، وتوفير الوسائل المساعدة للبحث ليتمكن الباحث من الوصول إلى النتائج المرجوة من ذلك.

٢) أن يدرس الباحث مادة التاريخ في عصوره المختلفة، لكون التاريخ مرتبط ارتباطاً وثيقاً في كثير من العلوم التي تتناول الأديان السماوية.

٣) ترجمة بعض الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية حتى لا يكون الباحث في حيرة من أمره.

دار الكتب العلمية ®
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
11 - 9424 Beirut-Lebanon
1107 2290 Riyadh Solh-Beirut
+961 5 804 810/11/12
+961 5 804 813
http://www.al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
E-mail : sales@al-ilmiyah.com
9 782745 151483
DESIGN & PRINTED BY : D.K.I